محمد سعيد الطريحي

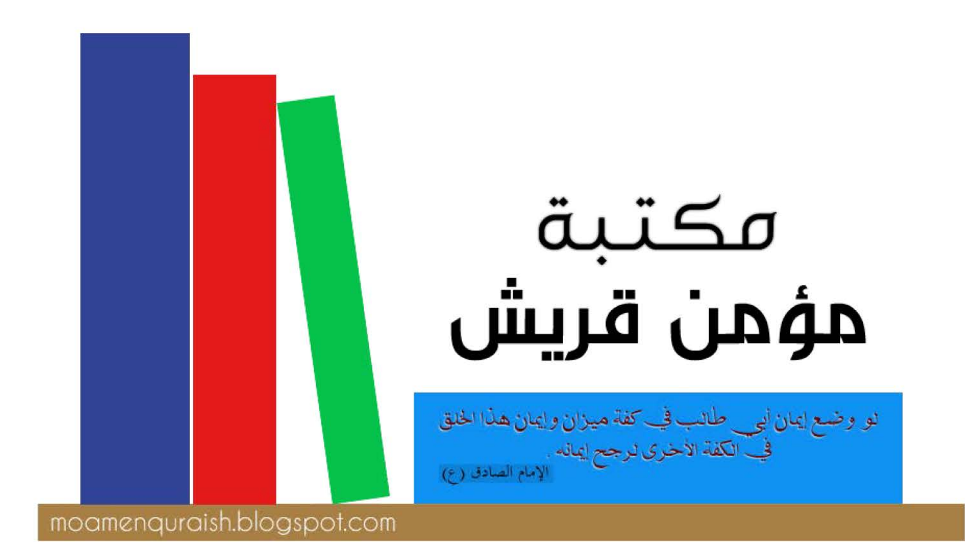
تاريخ الأسرة الإربانية في اليمن وسير أعلامها



الطبعة الأولى

2015

دار الرافدين


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تــاريــخ

الأسرة الإريانيّة في اليمن

وسير أعلامها

تاريخ الأسرة الإريانيّة في اليمن
وسير أعلامها

المؤلف: محمد سعيد الطريحي

الطبعة الأولى : ٢٠١٥ م

القياس :١٧ × ٢٤

عدد الصفحات : ٣٠٠ صفحة



طباعة ونشر وتوزيع:

بيروت-لبنان
٠٠٩٦١ ١ ٥٤١٩٨٠
العراق-بغداد
٠٠٩٦٤ ٧٨١٠٠٠١٠٠٥
Email: **daralrafidain@yahoo.com**

تــاريــخ
الأســرة الإريانيّة في الـيـمـن
وسـير أعـلامـهـا

محمد سعيد الطريحي



فهرس

تقديم

الشيخ عبد الرحمن الإرياني، أحد أكبر الشخصيات العربية الإسلامية في القرن العشرين، وهو من الرواد الأوائل الذين خاضوا عدة أدوار طليعية واختزلها في شخصيته المتميزة، فهو العلامة الفقيه، والمفكر، والشاعر، والحكيم، والثائر المناضل، والإنسان الحر، ورجل التقريب والتسامح والمصالحة، ورئيس المجلس الجمهوري، والزعيم المتنور الذي قاد اليمن في ظروف تاريخية بالغة الدقة والتعقيد، واستطاع أن يحافظ على وحدة اليمن واستقلاله، مؤيّداً بمعجزة ربّانية بعد نجاته من الموت في ميدان الإعدام الذي أُعدّ له ولرفاقه الأحرار الذين سبقوه فاستُشهدوا على مذبح الحرية، ثم هيأ الله ـ سبحانه ـ له العمر المديد لمواصلة النضال وحماية الوطن وتحريره مع ثلة رائدة من مجايليه ورفاقه الأبطال.

اتصلتُ به وعرفته عن قرب، وأُعجبت بحكمته وحنكته وأخلاقه وتواضعه، كما استفدت من خبرته وتجاربه ونصائحه، وغزارة علمه ومعرفته وثقافته، وبدافع من الود والاحترام لأستاذيّته وأبوته الروحية كتبت وجمعت هذه الأوراق التي ضمَّت لمحات من سيرة حياته وسير الأعلام من أسرته العريقة (آل الإرياني) وقدمتها كعربون وفاء وذكرى للأيام الرائعة التي قضيتها بجواره، ونشرت خلاصة أولية لما في هذا المجموع في العدد الأول من موسوعتنا التراثية «الموسم» السنة ١٩٨٩، ص١٠٥-١١١ـ وكان بودّي أن أستمر في إغناء الكتاب بمعلومات إضافية لا سيما وأن تاريخ (آل الإرياني) والعطاء العلمي والأدبي لهذه الأسرة الكريمة قد استمر لقرون من الزمن، ولكن انشغالي وتنقلي في البلدان وبُعدي عن اليمن السعيد قد حال دون ذلك، وأجد الفرصة مؤاتية لشباب

(آل الإرياني) وسواهم من طلائع الباحثين اليمنيين للجري في هذا المضمار بإظهار ما خفي عني من تاريخ هجرة إريان وأعلامها النوابغ، وأمثالهم من الأسر العلمية ورجالات الفكر والأدب في اليمن، لأنني أجدُ أن من الواجب الديني والوطني والقومي الاهتمام بدراسة آثارهم وتتبع مآثرهم ومخطوطاتهم والبحث عن جهودهم الكبيرة في خدمة الأمة الإسلامية، وبذلك نحافظ على تراثنا ونصونه من التلف والفوات، ولنا وطيد الأمل بالجيل اليمني الجديد الذي يطمح إلى رفعة الأوطان وعزها بحفاظه على تراثه والاستفادة من سير نوابغه وأعلامه.

إننا نعتبر ما نقوم بنشره في هذا مدخلاً لعمل أوسع نرجو أن نوفق له أو يُوفق لتأليفه من عَهِدْنا بخبرتهم من الباحثين اليمنيين.

رحم الله أستاذنا القاضي الإرياني، وسلام على اليمن، وأهل اليمن.

والحمد لله رب العالمين.

لاهاي

محمد سعيد الطريحي

الإرياني (عبد الرحمن بن يحيى)

(١٣٢٨ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩١٠ ـ ١٩٩٨م)

إرْيان بكسر الهمزة وسكون الراء آخرها نون قرية في رأس جبل بني سيف الذي يرتفع عن سطح البحر نحو ألفي متر في قضاء يريم، على مسافة ١٥٥ كيلومتر جنوباً من صنعاء. وهي من أجمل القرى اليمنية وأعدلها هواء. وتسمى كشك اليمن، لإشرافها على بلاد اليمن وغيرها. وتحيط بها الأودية كشيعان وهبران وعبدان وغيرها.

وفيها القضاة الأعلام النبلاء الفضلاء الأدباء آل الإرياني. وبيتهم من البيوت المعمورة بالعلماء والأدباء منذ قرون. ولعل جدهم الصديق بن محمد خرج من العراق وسكنها في نحو القرن الثامن للهجرة. وفي أهل هذا البيت من العلماء الكملاء الأدباء العدد الكثير الطيب ومن أشهرهم وأنبلهم وأكثرهم تدريساً للعلوم بصنعاء في العقد السادس من القرن الماضي المولى العلامة الحافظ يحيى بن محمد بن عبد الله الإرياني رئيس المحكمة الشرعية الاستئنافية بصنعاء. مولده سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م وتوفي سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م[1]. أما أشهر مشاهير هذا البيت العريق في عصرنا الحاضر فهو أستاذنا العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني رحمه الله تعالى. وترجمته كما يأتي:

فهو عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني اليحصبي قاضٍ عالم أديب شاعر وكاتب مترسل وزعيم سياسي، ولد في إريان في غرة جمادى الأخرى سنة ١٣٢٨هـ الموافق ١٥ حزيران ١٩١٠م.

درس في مسقط رأسه ثم في جبلة ثم انتقل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م إلى صنعاء حيث درس في المدرسة العلمية النحو والبيان والأصول والحديث والفقه،

---

(١) محمد بن محمد زبارة، أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ. القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م. إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط٤، ٢٠٠٢م. الموسوعة اليمنية ٢٦٥.

وتتلمذ على يد طائفة من علمائها، ومنهم: عبد الواسع الواسعي وعبد الوهاب المجاهد الشماحي وحسين بن علي العمري. وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م غادر المدرسة العلمية ليواصل دراسته على يد والده العلامة يحيى بن محمد الإرياني في إريان، وكان والده من أبرز علماء عصره وأوسعهم فكراً وأكثرهم اضطلاعاً بشتى العلوم، وعلى يده تَشَرَّب الميل إلى حرية الفكر والتفتح على العلوم الحديثة. وفي أواخر عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م لازم والده في صنعاء حين عين في محكمة الاستئناف، أنهى المترجم له مرحلة التحصيل في رجب ١٣٥٥هـ/ سبتمبر ١٩٣٦م، وعُين قاضياً حاكماً في النادرة، وبقي فيها سبع سنوات، ثم عين حاكماً لقضاء العدين، ولم يبق فيها سوى شهرين.

وقد بدأ الإسهام مع الأحرار المناوئين والمعارضين لحكم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين والحاكمين من أولاده في أعمالهم، وأنشأ قصيدته المشهورة التي نَدَّدَ فيها بمظالم الإمام يحيى حميد الدين وتسليطه أولاده على رقاب الشعب، ومطلعها:

إنما الظلم في المعاد ظلام ... وهو للملك معول هدام

ومنها يخاطب الإمام يحيى حميد الدين:

أنصف الناس من بنيك وإلاّ ... أنصفتهم من بعدك الأيام

إن عشر السبعين عنك تولَّى ... ودنا مصرعٌ وحانَ حِمام

فكان الأمر كما توقع وصارت هذه الأبيات مضرباً للاستشهاد في مقاومة الظلم والمحاباة.

ثم وجه الخطاب إلى الحسن ابن الإمام يحيى أمير لواء إب:

حسن ابن الإمام لا أحسن الله ... إليه، ولا عَدَاهُ السقام

وقد كانت هذه القصيدة التي طارت شهرتها في اليمن آنذاك سبب اعتقاله مع من اعتقل من الأحرار في إب وتعز وذماء وصنعاء سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ثم سيقوا جميعاً إلى تعز، ومنها أرسلوا إلى سجون حجة، وكان أحدهم، وقد بقي هنالك معتقلاً ستة أشهر، ثم أفرج عنه. ونضاله في هذه المرحلة كان ضمن إطار

تنظيمي هو جمعية الإصلاح التي أسسها مع القاضي محمد بن علي الأكوع، وغيرهما في إب سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

واستمر في مزاولة نشاطه الوطني للإطاحة بحكم الإمام يحيى حميد الدين وبعض أولاده حتى قتل الإمام يوم الثلاثاء ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ/ ١٨ فبراير ١٩٤٨م. وخلفه في الحكم الإمام عبدالله بن أحمد الوزير على رأس حكومة دستورية، وقد كان منصبه حسب الميثاق المقدس أمين سر مجلس الشورى وكان المترجم له آنذاك في مدينة إب، فقام بأعمال اللواء وأدارها بحزم ونشاط، واستمر إلى أن سقطت العاصمة صنعاء في أيدي القبائل الموالية للإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الذي استغل فرصة مقتل أبيه لينتقم ممن سلبوه الحكم، واعتقل المترجم له هو ومن شاركه من الأحرار في إدارة الأعمال في لواء إب فسيقوا في السلاسل إلى تعز، ومنها أرسلوا إلى سجون حجة مرة أخرى والقيود في أقدامهم، والسلاسل في أعناقهم، وقد لبث في السجن مدة ثم أفرج عنه سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م عقب خروجه من السجن مباشرةً تبنى أخذ البيعة لولاية العهد التي كانت قد رسمت أثناء السجن وعند خروجه اتجه إلى الحديدة، وتمَّ كتابة البيعة بخطه كما يذكر أحمد الشامي في ٧ رمضان ١٣٧٣هـ/ ٩ مايو ١٩٥٤م لسيف الإسلام محمد البدر، مما أدى إلى انشقاق الأسرة الحاكمة وكان سبباً مباشراً في محاولة انقلاب ١٩٥٥م/ ١٣٧٤هـ، وتولى منصب نائب رئيس الهيئة الشرعية في تعز، ولم تنقطع صلته بالأحرار، ولكن بحذر وتكتم.

وكان لا يفتأ ينصح الإمام أحمد في كثير من الأمور، وله مواقف حميدة مشهورة معه في تحذيره من الإصغاء إلى كلام الوشاة والمتزلفين الذين يسعون ليضروا بالناس لأغراض دنيئة، وكانت نصائحه تنفع عند الإمام أحياناً.

ولما تمرد بعض الجيش على الإمام أحمد في تعز في شعبان سنة ١٣٧٤هـ فيما عُرِفَ بحركة ١٩٥٥م استغل الفرصة العقيد أحمد يحيى الثلايا وتزعم تلك الحركة، وطالب الإمام أحمد بتنازله لأخيه عبدالله بن يحيى حميد الدين وجمع العلماء ومنهم المترجم له عنده لمساعدته للتخلص من حكم الإمام أحمد، ولكن حركته فشلت بعد

أيام قلائل، وخرج الإمام أحمد من قصره، وأخذ يقتل المشتركين في تلك الحركة حتى الذين لم يكن لهم أي عمل معروف فيها، وأمر بإحضار المترجم له من المعتقل إلى الميدان الذي يتم فيه قتل الأحرار، فلما مثل بين يدي الإمام والجلاد ينتظر أمر الإمام بقتله، وبدا للإمام أحمد أن يبقى عليه بشفاعة العلامة محمد بن يحيى الذاري وصالح محسن والبدر، فأمر بإعادته إلى معتقله فبقي فيه أياماً، ثم أفرج عنه، وعاد إلى عمله في الهيئة الشرعية، وكان الإمام أحمد يستشيره في قضايا عربية ودولية، كما كَلَّفَه بحضور الاجتماع التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

عُيِّنَ قبيل الثورة بأشهر وزيراً للدولة. وكان يترأس بعثة الحج حتى قامت الثورة سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م التي ألغت النظام الملكي، وأخذت بالنظام الجمهوري، فعين وزيراً للعدل، ثم عضواً في مجلس قيادة الثورة، ثم عضواً في مجلس الرئاسة. ورئيساً للمجلس التنفيذي (مجلس الوزراء) ولما عقد مؤتمر حرض سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م بين ممثلي النظام الجمهوري، وممثلي النظام الملكي لبحث الوسائل الكفيلة بإنهاء الحرب بين الجانبين تحت إشراف ممثلين للمملكة العربية السعودية، وممثلين للجمهورية العربية المتحدة، وكانت المملكة العربية السعودية قد اقترحت أن تستبدل (الدولة الإسلامية اليمنية بالجمهورية العربية) كشرط لوقف مساعدتها للملكيين، وكان حينها رئيساً لجانب الجمهوريين، فرفض التنازل عن النظام الجمهوري مهما كان الأمر مع أن ممثلي الجمهورية العربية كانوا قد وافقوا على فكرة المملكة العربية السعودية.

وحينما ساءت الأحوال الإدارية في اليمن بسبب تدخل المصريين المباشر في شؤون البلاد ذهب إلى مصر، ومعه عدد كثير من الشخصيات اليمنية، منهم نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء الفريق حسن العمري وأعضاء حكومته وعدد من كبار ضباط الجيش بالإضافة إلى عضو المجلس الجمهوري الأستاذ أحمد محمد نعمان محتجين على سوء تصرف المصريين في اليمن، فأمر جمال عبد الناصر باعتقال أكثرهم في السجن الحربي، وبقي المترجم له طليقاً، ولكنه لا يستطيع مبارحة مصر حتى أصيب العرب بالهزيمة النكراء في حربهم مع إسرائيل في يونيو سنة

١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ فعقد مؤتمر قمة عربي في الخرطوم اتفق خلاله جمال عبد الناصر مع الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، فيه على أن يسحب القوات المصرية من اليمن، وتم ترحيلها بالفعل، فواجهت الجمهورية العربية اليمنية مصيرها بنفسها، ولاقت تحدياً شديداً للقضاء عليها من الجانب الملكي وأعوانهم، وكانت رئاسة الدولة قد أفضت إلى المترجم له في شعبان سنة ١٣٨٧هـ/ الموافق ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٧م. بعد أن التقت عنده رغبات قادة الحركة من زعماء اليمن وعلمائها ورؤساء القبائل، والعشائر وكبار ضباط الجيش، والتفت حوله القوى المختلفة ليكون رئيساً لها حتى ينتشل البلاد من الهاوية التي تردت إليها، واستطاع بسياسته الحكيمة أن يمسك بدفة السفينة وسط أمواج مضطربة، وعواصف عاتية حتى حقق لليمن السلام والأمن والاستقرار. وتم في عهده عقد المصالحة مع الملكيين واعترفت المملكة العربية السعودية بالنظام الجمهوري عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، وكان له موقف حَكَمَتْهُ ظروف المرحلة آنذاك يتمثل بمعاداة التحزب والحزبية ويؤثر عنه قوله «إن الحزبية تبدأ بالتأثر وتنتهي بالعمالة» وقوله: «نرفض الحزبية سواءً جاءت بقرون الشيطان أو في مسوح الرهبان».

وقد شهد عهده محاولات مستمرة لبناء الدولة الحديثة وتميز بتأسيس أول مجلس نيابي هو (المجلس الوطني) وتأسس عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ثم شكل مجلس الشورى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م وأول انتخابات نيابية، وقد انتهى حكمه باستقالته يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٩٤هـ الموافق ١٣ يونيو سنة ١٩٧٤م، بضغط داخلي تؤازره قوة خارجية بحجة كثرة تغيير الحكومات والركون في حكم البلاد على من لا دراية له بأحوال اليمن، ومعرفة طباع أهلها إلى جانب ما كان يحدث أحياناً من الإهمال وضياع الحزم في أجهزة الدولة.

وكان قد فَضَّلَ التنحي قبل قيام هذه الحركة بعدة أشهر وسافر إلى سوريا بحجّة الاستجمام إلاَّ أنه تحت إلحاح الكثير من اليمنيين عاد إلى سُدَّة الحكم حتى قامت حركة ١٣ يونيو بقيادة الفقيد إبراهيم الحمدي، وقد استقال ورحل إلى

سوريا، وبقي هناك إلى أن سمح له علي عبدالله صالح بالعودة إلى بلاده، فعاد مكرماً مبجلاً، وقد منحه الرئيس صالح أعلى وسام هو وسام الجمهورية وذلك في ٧/ ٧/ ١٩٩٥م - ٩ صفر ١٤١٦هـ.

والإرياني شاعر مطبوع، وظّفه للقضايا الوطنية، والإخوانية الاجتماعية، وقد اشتهر في شبابه بقصيدته «الميمية» التي ندد بها على وضع الصبرة في الزكاة في بلاد إب وملحقاتها أيام سيف الإسلام الحسن وقد مرت الإشارة إليها.

ومن شعره قصيدة هنأ بها مفتي اليمن في عصره أحمد بن محمد زبارة بِقِرانه بابنة الإمام الناصر أحمد مطلعها:

أسعديني يا زاهرات المعاني	أسعفيني بسحرك الفنّان

وفيها:

فنُهنّي بدر النقاء واحد الفضل	بعرس وافى نبيل المعاني
ظفرت كفّه بعِلق نفيس	وبسمط من مفردات الجمان
بِحَصَان تُنمى إلى الشرف البا	ذخ في مصدر الإيمان
جدها واحة الجزيرة ظل	الله في أرضه عظيم الشان
وأبوها شمس المعالي ولي العهد	خير الملوك بدر الزمان
جنحت نحوه وقد علمته	في بني العصر سيد الشُّبّان

علمته كفؤاً سَرِيّاً وما الكفؤ لشمس الضحى سوى الزبرقان

وقوله من قصيدة أخرى يرثي بها الشيخ ابن زبارة (١٣٠١ ـ ١٣٨٠هـ):

طوى الموت شمساً كم أشعت بأنوار	وغُيّب بدراً كم هدى نوره الساري
وأضحى إماماً للعلوم وجهبذاً	يفيض كَيُمٍّ بالمعارف زخار
لقد شيّعوا في النعش تاريخ أمة	وواروا ببطن الأرض أمجاد إعصار
ولفّوه في الأكفان طيباً وحكمة	وفضلاً وعرفاناً وكعبة أنظار

ووارء مثوى (جربة الروض)[1] بينما غـدت روحـه في جنـة ذات أنهـار
ولو أنصفوا العليا لـواروا محمـداً سـليل المعـالي في قلـوب وأبـصار
بكينـاه بالـشعر الحـزين قوافيـاً وجُـدنا بـدمع أحمـر اللـون مـدرار
ففـي كـل شـطر حـسرة وتـأوه وفي كـل بيـت كامـل مـدمع جـار

وله في رثاء والده القاضي يحيى بن عبدالله الإرياني قصيدة ذكرناها بطولها في ترجمتنا لأبيه العلامة (ضمن تراجم الاريانيين).

ومن شعره قوله في وصف مظالم الإمام يحيى حميد الدين:

مـا لـه هـمّـة سـوى جمعـه الأمـ ـوال مـن غـير وجهها المـأنوس
قـد تَقَـضَّت حياتـه غـير مأسـ ـوف عليهـا فـما بهـا مـن نفـيس

كما نشر بعض الرسائل ذات الطابع السياسي. ومن آثاره المنشورة أيضاً (الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن). وقد صدر مطبوعاً باسم الأستاذ أحمد بن عبد الرحمن المعلمي.

وكما كان صاحب الترجمة سياسياً وأديباً شاعراً فقد كان عالماً فقيهاً ناقداً، ووجد في استقراره في دمشق الشام فرصة ووقتاً قام فيه بتحقيق ونشر عدد من الكتب اليمنية منها (الأبحاث المسددة في فنون متعددة) للعلامة صالح بن مهدي المقبلي؛ هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين لوالده؛ السيف الباتر لأعناق عباد المقابر لأخيه عقيل، وقد نشر معه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير، و«شرح الصدور بتحريم رفع القبور» و«الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد» كلاهما للإمام الشوكاني، كما أشرف على تحقيق وطبع كتاب «غربال الزمان في وفيات الأعيان» ليحيى بن أبي بكر العامري؛ وحقق ونشر مع زميله المرحوم عبد الله عبد الإله الأغبري ديوان الشاعر عبد الرحمن بن يحيى الآنسي المسمى (ترجيع الأطيار في مرقص الأشعار) حين كانا في سجن حجة وطبع في القاهرة

---

(١) وتنع في جنوب صنعاء.

(سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م) وكذا ديوان عمارة اليمني في مجلدين بالمشاركة في التحقيق مع أحمد عبد الرحمن المعلمي، ط ١، ٢٠٠١م.

توفي بدمشق في يوم السبت ١٤ مارس ١٩٩٨م/ ١٥ ذي القعدة ١٤١٨هـ، ونقل جثمانه حيث وُوري الثرى في صنعاء[1]، عليه شآبيب الرحمة والرضوان.

صلتي بالقاضي الإرياني

بدأت صلتي بالأستاذ العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني (طاب ثراه وجعل الجنَّة مثواه)، في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، وكان ينزل بدمشق في بيت قصر السُّبكي ضيفاً على الرئيس الراحل حافظ الأسد، ثم اتخذ بيتاً له في (المزة)[2] وكان هذا البيت الأخير على مقربة يسيرة جداً من دارنا فكنت أزوره دائماً في بيته هذا، وأتجاذب معه أحاديث العلم والأدب والفكر والتراث كما كنت أستشيره في بعض الكتابات أو التحقيقات التي كنت أمارسها آنذاك، وكان لا يبخل عَليّ بما كان يرفدني به من علم وتوجيه، بل كنت أنظر إليه كالوالد حقاً وصدقاً لما كان يرعاني فيه من حنوٍّ وحدب واستفسار دائم عن أحوالي وأعمالي، وقد استأنس كثيراً لعملي في التحقيق، وقدّم لأحد كتبي المحققة وهو (غرر الحكم ودرر الكلم) للآمدي، ونُشر تقديمه في أول الكتاب المذكور المطبوع في بيروت عام ١٩٨٥، ثم اطلع على كتب ودراسات أخرى كنت قد أنجزتها من قبل، ففاتحني في صباح أحد الأيام من عام ١٩٨٦ بتحقيق كتاب (المنار في المختار من جواهر البحر الزخّار)

---

(١) مراجع: إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م؛ القاضي الإرياني حكيم الثورة اليمنية، وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٩٨م؛ صنعاء؛ أحمد عبد الرحمن المعلمي: الصديقان الإرياني والمعلمي على طريق النضال، مطبعة عكرمة، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م؛ أحمد الشامي: رياح التغيير في اليمن، ط ١، ١٩٨٤م. نزهة النظر: ٣٥٤ ـ ٣٥٥. الموسوعة اليمنية ٢٦٨ ـ ٢٧٤.

(٢) بعد انتقاله لمنزله في المزَّة، نزل في بيت قصر السبكي الشاعر المعروف محمد مهدي الجواهري، فما برحت ارتاده لزيارة الجواهري، في ثمانينيات القرن الماضي.

للعلامة المقبلي، وأن يشاركني في تحقيق هذا العمل الجليل وقد قمت بالتحقيق في ذلك الكتاب، ابتداءً بالمجلد الأول، اعتماداً على نسختين محفوظتين تفضل بإعارتي إياهما، الأولى مؤرخة في ٢٢ جماد الأول سنة ١١٦٠هـ.

جاء في آخرها ما يلي: «نقل من خط السيد العلامة صلاح بن يحيى عن خط السيد العلامة يحيى الناصر عن خط المؤلف سيدنا صالح بن مهدي المقبلي رحمهم الله تعالى عن خط سيدي أحمد بن إسحق بن إبراهيم رحمه الله بقلم كاتبها ومالكها الفقير إلى الله علي بن صالح بن علي الآنسي» (٢٤٤ ورقة) ٢٣ سطراً.

والنسخة الثانية: تم نسخها بخط حسن مشكول في الثامن من محرم سنة ١١٤٥هـ، ٢٥٧ ورقة، ٢٦ سطراً.

ولم تمر الأيام طويلاً حتى وافاني بالإجازة التي تفضل بمنحي إياها في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٨هـ الموافق لليوم السادس من ديسمبر ١٩٨٧م. ولا أنسى ذلك الصباح الجميل الذي استقبلني فيه شيخي وأستاذي الإرياني بوجهه البهي وقامته المديدة وإطلالته الرائعة وبابتسامته الآسرة والتي لم تفارقه طيلة أيامه، استقبلني من باب الدار وكان عنده صديقنا الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن المعلمي وبيد الشيخ المعلمي أوراق يقلبها بين يديه، ثم أن الأستاذ الإرياني طلب منه أن يقرأ ما في تلك الأوراق، بصوت جهوري كأنه كان يقرأ شعراً والمعلمي شاعر مرموق مُجيد، وهكذا قرأ إجازة الإرياني لي، ثم تقدم أستاذنا العلامة الإرياني ونظر فيها ووقّعها بتوقيعه ثم قدّمها لي بفرح غامر فشكرته أجزل الشكر على هذه المأثرة الكريمة التي خصَّني بها.

ورأيت أن أردّ على إحسانه وطيب معاشرته وثقته بي بالكتابة عن أسرته العلمية الضاربة في المجد والسؤدد، الأصيلة في نجابتها وعراقتها وكثرة النوابغ من أعلامها فطلبت منه بعض المصادر التي كانت لديه في الدار، وكما هي العادة كان يتحفني بكل ما أطلب من الكتب فيعيرني إيّاها في الحال ودون تردد، وكان من بين هذه الكتب كتب الرجال الخاصة باليمن السعيد العزيز علينا نحن العراقيين، وبهذا بدأت مشروعي للكتابة عن الإريانيين.

وأذكر أنني سألته عن أصل أسرته فأجابني رحمه الله «الذي كنت أسمعه من الوالد أن الإريانيين في أصولهم الضاربة في القدم من بقايا قوم سبأ الذين استمروا في اليمن بعد الإسلام، ولما كُتب البعث بالفتح الإسلامي للأندلس ذهب أجدادنا إليها وبعد تسلط الفرنجة قصدوا تونس وربما العراق ثم إلى مكة المكرمة ثم إلى اليمن» وأنشدني له أو لغيره ـ السهو مني ـ في مدح إريان، قال:

حُييتِ يا «أريان» كم من مهجة　　　تهفو إليك وكم فؤاد يخفق

يا مربض الأبطال من أُسُد الشُرى　　　بالمجد قلعتك العتيدة تنطق

وقال لي: إذا طالت بنا الأيام وساعدتنا الظروف ستذهب معي إلى حصن (ريمان) وأهداني رسماً فيه صورة الحصن وبجانبه صورة ابنه الأستاذ أحمد الإرياني، كما أهداني أوراق مخطوطة فيها قصائد لعدد من أعلام أسرته وأحد المراسيم الأمامية التي تتعلق بإريان، ومن المعلوم أن هنالك عدد من المرسومات الأمامية عن هجرة إريان منذ عام ٨٧١هـ، ومنها مرسوم سنة ١٠٤٠هـ. وتاريخ هذه الهجرة تاريخ ضارب في التاريخ كما وصفها صديقنا الشاعر أحمد محمد الشامي «والذي التقيته لآخر مرة في لندن في تموز ١٩٩٠» وحينما عرف صلتي بالإرياني فَرِح وقال لي: «أنا أُسمِّي إريان مدرسة البيان وكعبة العرفان».

قصيدة الجواهري في صنعاء

ولما كان الشيء بالشيء يذكر، فإن من الأمور التي طرب لها جداً قصيدة في مدح صنعاء نظمها عبد الهادي الجواهري، وهو شاعر وأديب من النجف الأشرف، وشقيق الشاعر الشهير محمد مهدي الجواهري، وكان قد شغف بالأسفار في شبابه فَدَخلَ اليمن من جهة الحديدة ثم أقام في اليمن عدة أشهر، ومدح صنعاء بقصيدة بالغ فيها جداً في جمال صنعاء وهام بها حباً وغراماً، وقد أنشدتها لأستاذي الإرياني، فاستأنس بها، وبهذه المناسبة أذكر هذه القصيدة التي قالها شاعرنا الجواهري عام ١٩٢٩، والتي ربما لم تطلع عليها الأجيال الجديدة من الأخوة في اليمن الحبيب، أدام الله المودة بين شعبينا الكريمين، على أن هنالك الكثير من هذه الطرائف الأدبية

التي احتفظ بها من المراسلات بين أعلام اليمن وأدباء العراق، ومن بينها مجموعة مراسلات شعرية بين اليمنيين والنجفيين[1]:

---

(١) لقد وقعت إليَّ أوراق الشاعر عبد الهادي الجواهري، وبضمنها قصائده وبعض كتبه المخطوطة، فنشرت عنها حلقات عدة في جريدة (العدل) الصادرة في النجف خلال السبعينيات من القرن الماضي، ورتبت ديوانه المخطوط وفيه عدد من المراسلات بين الجواهري وأعلام من اليمن منهم العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي وأبنائه يحيى ومحمد الدكتور محمد مراد ومن ذلك قصيدة للشاعر أحمد بن عبد الواسع يمدح بها الجواهري وهي مؤرخة ١٩٦١ ومنها:

أمــا وقوافيــك الحـسان الجـواهر	وروعتهــا يــا فخــر آل الجــواهري
لقــد هيجــت شــوقاً إليــك مبرحــاً	يــرى الجسم إلاّ مــا حوتــه سرائــري
حليــف المعــالي أن نكــن ذا صــبابة	إلى سفح صنعا وهـي شـمس الحـواضر
فقــد شــفَّ عــن مجـد عريـق ومحتـد	لعليــاك يُنْبـي عــن كـريم العنــاصر
تحــنُّ إلى (صــنعا) حنــين متّــيم	لــذكرى عهــود ســالفات المــآثر
تهــيم بأخــدان بهـــا وأحبـــة	وفــوك عهــوداً أودعــت في الــذخائر

وحين مرض الإمام يحيى حميد الدين طلب أطباء من العراق لمعالجته وكان الشفاء بهم، فأرسل الشيخ محمد رضا بن هاشم الخطيب (المولود في الهندية سنة ١٣١١ هـ والمتوفى سنة ١٣٦٥ هـ) في العراق إلى الإمام يحيى قصيدة طويلة وذلك سنة ١٣٥٣هـ ومنها:

ثغــر الزمــان تبــسم	والبُشر كـل النـاس عـمْ
أن الإمــام أبــلَّ مِــن	ألمٍ بـــصحته ألـــمْ
(يحيــى) سـليل (محمـد)	حامي الـذمار أخـى الـشيم
وسـليل مـن وضـعت لـه	كتــف النبــي لــه قــدم
مــا خــصّ أمتــه الـسرور	وإنــما عـــمَّ الأمـــم
تـشكو المعــالي أن شـكى	(يحيــى) ويعتــلّ الكــرم
منـــه إلى أعدائـــه	قـــد زال وانتقـــل الألم
مــا لي أقـيم عـلى الهـوان	ولي بـــ(صـنعا) معتـصم
ما عـذر مـن يـرد الـسراب	ويــترك البحــر الخـضم
فالفـضل (يحيـى) أن بقـي	(يحيـى) ويـسلم مـن سـلم

وأرسل السيد محمد رضا بن هاشم الخطيب (المذكور) هذه القصيدة إلى الإمام يحيى:

لــك أســنى الــسلام يــا (صــنعاء)	مــن عليــل أشــفى وفيــك الـشفاء
وســليم وماســـواكِ لـــه راق	وصـــب وفي هـــواكِ الـــدواء =

= إنـــما أنـــت جنـــة الخلـــد بـــالأ رض بعيـــد عـــن ســـاكنيك الـــشقاء

هــي ذا أرضــك الــشريفة أضــحت تغـــبط الأرض تربهـــا والـــسماء

قــسماً بالـــذي علـــوت بـــه قـــد راً فـــذلّت لقـــدره الجـــوزاء

ذاك (يحيــى) ســليل طــه ومــن قــد أنجبتـــه البتولـــة العـــذراء

غـصن قـدس مـن دوحـة النـور مـن جـاء لموســى مــن جانبيهــا النــداء

يــا إمــام الهــدى ومــن ورثتــه في القـــديم الإمامـــة الآبـــاء

لـك ذات مـن جـوهر القـدس صيغت فكـــأن قـــد خلقـــت كيـــف تـــشاء

وإن مـــن أثنـــت المثـــاني عليـــه مـــا عـــسى فيـــه تـــنظم الـــشعراء

كـم لأهـل العنـاد دوخـت جميعـاً عجـــزت عـــن تدويخـــه الأمـــراء

وعليهـــا لـــذي الفقـــار بريـــق في خمـــيس لـــه (العقـــاب) لـــواء

طبَّــق الأرض هــول سـيفك حتــى خـــشيت وقـــع بأســـه الـــدأماء

يــوم صـبت عــلى (الزرانيــق) منـه نقـــمات يـــضيق منهـــا الفـــضاء

والتـــي منـــه بالحمايـــة قـــد لا ذت لتنجـــو وأيـــن منهـــا النجـــاء

معـــشر فـــضَّلوا الحمايـــة لكـــن مـــا حمـــتهم وبالندامـــة بـــاءوا

حــاق فــيهم يــوم مـن ابـن رسـول الله شـــابت لهولـــه الرضـــعاء

أوســعتهم يــد الحمايــة نبــذاً ولأمـــر المهـــيمن العـــدل نـــاءوا

ورأت أن في (الحديـــــدة) حقـــــاً لـــك مـــا فيـــه ريبـــة وامـــتراء

فتخلــت عــن (ابــن إدريــس) حتــى كـــان فيـــه أولى الأمـــور الجـــلاء

وبــدا العــسر في (عــسير) وصــبت فـــوق (صـــبياء) غمـــة ســـوداء

نفــضت مــن أمــير (جيــزان) كفّــاً مـــذ رأت منـــك مـــا لـــديها النجـــاء

حيـث عـادت (أسـاكل) البحـر منـه بعـــد حـــشد الجمـــوع وهـــي خـــلاء

أزعجتــه ســواعد مــن حديــد مـــا عراهـــا يـــوم الكفـــاح التـــواء

كيــف يــستعبد الــبلاد دخيــل قـــد تولـــت تثبيتـــه الـــدخلاء

لي ســـمعاً أي ابـــن عـــم قلـــيلا لـــك نفـــسي الفـــدا وقـــل الفـــداء

قــد سـئمت الثـوار دهـري بــأرض هـــي كـــرب لأسرتي وبـــلاء

زاد مقتـــي لهـــا وان زيّنتهـــا حلـــه سندســـية خـــضراء

تربــة مــن دمــاء أهــلي تــروت وهـــي للحـــشر تربـــة حمـــراء

ســال فيهــا دم الــوصي وحافــت بعـــد في آلـــه بهـــا البأســـاء

هــذه (ســبخة) بكوفــان قــد أو دت بزيـــد وهـــذه كـــربلاء =

= وكـذلك الأبنـاء أضـحت تقـاسي ... مـثلما قبـل قاسـت الآبـاء
ولعمـري قـد كنـت أحيـا سـعيداً ... لـو بـصنعاء لي أتـيح النـواء
فهنـاك النعـيم والملـك والعـز ... ة والخـير كلـه والهنـاء
(مـا مقـامي عـلى الهـوان) بكـو ... فـان وقـومي مقـامهم صـنعاء
(مـن أبـوهم أبي ومـولا ... هم مـولاي) إن سـامني الأذى البعـداء
إن خـوفي بـذلك الربـع أمـن ... وبأرجائـه ظـماي إرتـواء
وتـراني لـيلاً أبـث سـهيلاً ... مـن غرامـي مـا ضـمت الأحـشاء
وتـرى الكوكـب الـيماني يـصغي ... لحـديثي ودأبـه الإيـماء
ليـت شـعري هـلاّ تحقـق لي الأ ... يـام حلـماً زادت بـه البرحـاء
لـترى مقلتـي (مخيمـه المنـصور) ... إذ طـاب ظلـه والفنـاء
أو أرى موكـب الإمامـة قـد حفـت ... حمـاه الكتيبـة الـشهباء
أو تـرى عينـي (المظلـة) إذ قـد ... أدهـشت سـمعنا بهـا الأنبـاء
زينـت بـالنجوم والبـدر سـار ... تحتهـا وهـي قبـة زرقـاء
يـا حمـاة النزيـل والجـار يـا مـن ... بكـم اليـوم تكـشف الـلاواء
أبعـدتكم عنـا الـديار ومهـما ... أبعـدتكم فـأنتم القربـاء
الجفـا ضـنة وأنـتم كـرام ... لـيس مـن شـيمة الكـرام الجفـاء
فـيكم زينـة الـصدور ومـنكم ... جـاء والله للـصدور الـشفاء
وأبـوكم ذاك الـذي ظللتـه ... مـع شـبليه والبتـول العبـاء
لا عـدمنا مـنكم إمـام زمـان ... صـحّ للمـسلمين فيـه اقتـداء

فأجابه جلالة الإمام يحيى بالقطعة الآتية على الوزن والقافية وقد جاء في صورة الأصل منها وفي صدرها بعد البسملة (الطغراء اليمانية) وفيها هذه الجملة: (أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) وفي أسفل القصيدة هذه الجملة بخطه (تحريراً في ٨ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٠).

ابتـدت جـنح الظـلام ذكـاء ... أم سرت بعـد هجعـة أسـماء
بيـنما نحـن في سـوانح فكـر ... سـحراً إذ أضـاءت الأرجـاء
قلـدت جيـدها الكواكـب فـازدا ... دت بهـا الأرض زينـة والـسماء
بـل هـي الـدرة التـي ثقبتهـا ... كـف مـن أذعنـت لـه الخطبـاء
هيجـت شَـجْوَنا وأذكـت سـعيراً ... في ربانـا اليتيمـة العـصماء
نفثـة هاشـمية صـدرت مـن ... (حلـة) المجـد حيـث حـل الوفـاء
حبـذا بلـدة وخـير بـلاد ... كـان منهـا للمرتـضى وزراء =

= وازروا صنو أحمد وتفانوا ... دونه حين هاجت الهيجاء
ولقد خلف الكرام كراماً ... حبذا الوالدون والأبناء
منهم السيد الذي جل قدراً ... فتدانت عن شأوه الجوزاء
من عرفنا من نظمه كامل الو ... د لقرب به يزول الشقاء
واشتياقاً للوصل أي اشتياق ... هيجته مودة وإخاء
مرحباً خير مقدم بك يا من ... تتثنى لوصله (صنعاء)

وللشاعر النجفي الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي السهلاني الحميري (١٢٩٩هـ) هذه الأبيات التي أرسلها للإمام يحيى حميد الدين:

يا مدلج السير في مشبوبة قطعت ... بيد القفار طوت سهلا على حدب
تغمى نهاراً وطول الليل مبصرة ... زمنى بلا أرجل خفت ولا ركب
تموت إن بردت تحيي إذا حميت ... رعاؤها الزيت لا بالنبت والعشب
رعد إذا زأرت، برق إذا خطفت ... ندى المسير تلف البعد بالقرب
دهماء لم يعلها فحل وقد حملت ... خمساً وإن وضعت تلقى بلا تعب
غربية صبحها تمسي بمشرقها ... لم تعي من كلل كلا ولا لغب
تطوي المفاوز ما زلَّت لها قدم ... تظمى ولكنها لم تشك من سغب
تسير من كرخ بغداد صبيحتها ... وإن دجى الليل باتت في ربى حلب
قد كونتها لنا الأفكار فاخترعت ... من غير روح فمهما حركت تثب
من عالم الكون حقاً بيننا برزت ... بجودة العلم لا باللهو واللعب
هذي العلوم وهذا فضل نائلها ... عليك طالبها بالجد والطلب
فأدّب النفس واجهد في العلوم لكي ... تنال حظاً فترقى غاية الرتب
فَسُر بها لا ترح في بلدة أبداً ... واحبس بصنعا بدمع منك منسكب
ولا تجزها ولح أعلى مناسمها ... واهتف بحَامية الإسلام ذي النسب
العالم الماجد القرم الذي اضطربت ... منه الأعادي شريف الاسم واللقب
(يحيى) الإمام من انقاد الأنام له ... يُحيي نفوس الورى ذكر اسمه العذب
فأنزل وحي حماه واخضعن كرما ... واصرخ ونح واندبن غوثاه وانتحب
وقل أتيتك محزون الفوائد فقم ... وانشر بسيفك وانظم بالقنا السلب
واهتف بقومك يا بن الأكرمين ترى ... تترى لك الغلب فوق الضُمَّر العرب
تجبك (يا بن حميد الدين) طائعة ... (وما لها غير نصر الله من أرب)
أدر رحى حربها يا قطب دارتها ... فلا تدور رحى إلا على قطب =

لا زال مــن عبــق لــه يهــديك ... فيــاح نــشر هــبَّ مــن واديــك
(صنعاء) يـا دار الحـضارة والعـلى ... ومقــر كــل سـميدع ومليـك
سـعدت بمـرآكِ النفـوس وهكـذا ... لا زال تــسعد نفــسه رائيــك
(باريس) دونك في الجمال و(لندن) ... وعواصــم الرومــان والأمريــك
فجــمال تلــك مزخــرف متكلــف ... وجمالــك المطبــوع مــن باريــك..
قـد هجـت بلبـالي بحـسن منـاظر ... وجــذبت قلبــي جذبــة المنهــوك
ما هـذه الأريـاف مـا هـذي الربـى ... ما الـروض مـا ورد الخميلـة فيـك
مـا المـاء يجـري سلـسلاً متـشابكاً ... مـا الطـير يـشدو في رُبـا واديـك
مـا مـأرب، مـا سـدّه، مـا حمـير ... مــا تبّــع، كــل أرى يعنيــك
يـا منبـت الـشرف الأثيـل وربـة الـروض الجميـل وجنـة المـضنوك
كيـف الـسبيل إليـك ثـاني مـرة ... هيـا اعلمـي صَـبّاً تـشبب فيـك
لا أرتضي عنـك البـديل ولـو أتـت ... بلقــيس في عــرش لهــا وأبيــك
هذي صحائف مجدك الماضـي فـما ... أيدي الظـروف تناوشـت ماضيك
هذي القصور الشامخات وقد علت ... هــام الــسماك تلـوح في عاليـك
هـذي المـدارس في بنيـك تزاحمـت ... مـا غَـيَّـرت غـيرُ الزمـان بنيـك

= فأنــت مــن معــشر غــرّ ســيوفهم ... قــد حليـت بـدم الأبطـال لا الـذهب
أبــوهم الــسيف والهيجــاء أمهــم ... لم يخــش واحــدهم حربــاً ولم يهــب
أمـا تـرى قَـصَّرت أعمارهـم ففنـوا ... لم يكتهــل أحــدٌ مــنهم ولم يــشب
نماهــم حيــدر فــالحرب عــادتهم ... والـضرب عنـدهم أحلى مـن الـضرب
أُسـدٌ إذا غـضبوا عنـد الـوغى ارتجـزوا ... أمـا الكـراسي وأمـا اللحـد في الـترب
فـانهض معـافى رعـاك الله أنـت لنـا ... حقــاً عميــداً فترعانــا وخــير أب
لا نبتغــي غــير (آل الله) ترأســنا ... يـا (آل هاشـم) أنـتم نخـوة العـرب
إنــا بنــو يعــرب لا نرتــضي أبــداً ... مليـك سـوء لئيم الأصـل والحـسب
فــسر بجيــشك مرفــوع اللــواء إلى ... خفــض العــدو رمــاه الله بالتبــب

ظنوك خائرة العزيمة والقوى خاب الذين بمثل ذا ظنوك
رجعوا الوراء وساورتهم حسرة إذ ليس فيما أمَّلوا وجدوك
ورجعت واضحة الجبين مهيبة لما لقيتِ غير ما يرضيك
فحذار يا أم الجمال من العدى وحذار ثم حذار من شانيك
لا زالت يا (صنعا) لرائدك المنى دوماً ولا برح الهنا أهليك

هذا بعض ما علق بذهني من الذكريات مع الأستاذ الإرياني، وكان آخر العهد به في مستشفى الشامي بدمشق حيث كان مسجى هناك على سرير المرض مستسلماً لإرادة الله وقدره وكان في غرفة الإنعاش وفيها لفظ أنفاسه المباركة الأخيرة، فانتقل إلى رضوان الله، ولحق بالرفيق الأعلى فسلام عليه وعلى روحه في الخالدين.

وإذا كان من شيء آخر قد علق من الذكريات معه فهو الدفتر الذي سلمنيه وفيها بعض ذكرياته السياسية، التي تنشر ضمن هذا الملف، والذي أعرفه أن صديقنا الشاعر أحمد بعد الرحمن المعلمي كان مختصاً به وكان يجمع رسائله ومذكراته ويترجم له ولمعاصريه ويوثق الأحداث التي مرّت في حياته، ولعل ذلك من أهم من كُتب عن سيرة الإرياني وحياته السياسية والاجتماعية والأدبية والزمن وهمة المخلصين من أسرته وهواة الأدب والتاريخ أن يتحفونا بآثار الإرياني ومن كتب عنه مطبوعاً لتستفيد أجيالنا الواعدة من تراثه وتجربته الوطنية ونضالاته الطويلة في سبيل اليمن والأمة العربية والإسلامية.

رحم الله الزعيم الأستاذ الشيخ الإرياني رحمة واسعة وجزاه الله أفضل جزاء المحسنين وحشره مع محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمدلله رب العالمين.

* * *

قالوا عن الإرياني

الرئيس الأخ علي عبد الله صالح:

لقد مَثَّل القاضي الإرياني نموذجاً وطنياً نادراً.. آمن بالثورة أسلوباً، وبالجمهورية نظاماً وبالسلام الاجتماعي نهجاً وطنياً ودافع عن الثورة بإيمان وتصميم راسخين.

وإن هذه المسيرة الحافلة بالعطاء الزاخرة بالمواقف الوطنية الرائدة تجسد بحق الدور الوطني الهام للمثقف الذي استشعر مسؤوليته إزاء الشعب الذي عانى من الظلم والقهر الإمامي البائد[1].

وأبى قلم وضمير ولسان القاضي الإرياني أن يؤدي رسالته وينحاز إلى جانب الشعب الرازح تحت وطأة الظلم والاستبداد.

إن فقيدنا الكبير لم يكتف بالدور الاعتيادي الذي يتطلبه منه عمله اليومي في القضاء، بل دفعه واجبه الديني والفكري إلى تمثل قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى تحقيق عدالة اجتماعية شاملة توفر للفرد حياة حرة وكريمة.

ذلك أن الفقيد امتلك شعوراً وطنياً عالياً بالمسؤولية التي أولاه إياها ضميره الحي وعزيمته المتوقدة، وحلمه الكبير. إن تضحيات الفقيد ما تزال حية في أذهان أجيال الثورة فقد قاسى وخاطر بحياته ذوداً عن صدق المبدأ ونبل الهدف دون أن يمن بعطائه الجم، راضياً مختاراً لنتائج فعله اليقيني الراسخ. وها هو الشعب اليمني الكريم، قد شيع الفقيد الكبير، بما يليق به من حب ووفاء، وأكد مكانته في القلوب. باراً بأبنائه النجباء الذين ذادوا عن حياضه، وأبلوا في سبيل عزته وسؤدده.

وقد خسر الوطن برحيله واحداً من خيرة رجاله الأفذاذ ومناضلاً صلباً كرس كل حياته لمقارعة الكهنوت الأمامي والتسلط الاستعماري والتجزئة المقيتة، كما خسرت اليمن برحيله عالماً جليلاً وسياسياً لامعاً ومربياً فاضلاً أعطى الأجيال عصارة فكره وخلاصة تجربته العميقة.

---

(١) وأنا أقرأ هذه العبارة أقول: «ما تأتي أمة إلاّ ولعنت التي قبلها» وأقول أيضاً:

يا ليت ظلم بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار

ليت شعوبنا بقيت في ظل الملكيات السابقة، فإن الظلم والقهر الذي يزعمون أهون علينا مما عانيناه وما نكابده في الجمهوريات المستبدة.

فلقد كان الوالد المناضل القاضي عبد الرحمن ين يحيى الإرياني رحمه الله علماً في كل ساحة ونجماً أشع على الحياة اليمنية يوم كان الشعب يرزح تحت أغلال الاستبداد وفي ظلمات كهوف التخلف وامتطى صهوة الكفاح الوطني مع الثلة الأولى من مناضلي الحركة الوطنية وتعرض لأبشع صنوف الاضطهاد والقمع ودخل المعتقلات والسجون وحمل الأغلال والقيود وشاهد الموت أكثر من مرة واستحق أن يلقب «بالشهيد الحي» و«أبا المناضلين اليمنين» وبرغم كل ما واجه من اضطهاد وقهر وصعاب لم تكف له عزيمة ولم تقهر له إرادة بل واصل كفاحه وتضحياته حتى تحقق النصر المؤزر لشعبنا والثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر.

لقد خسرت برحيله شخصياً الأب والناصح الصادق الحكيم الذي لم يبخل علينا أبداً في أي لحظة وخلال فترة العشرين سنة الماضية التي تسلمنا فيها مسؤولية قيادة الوطن وعبر كل المراحل والمنعطفات التي مر بها وطننا لم يبخل بنصحه الصادق الأمين ورؤيته الثاقبة السديدة من أجل مصلحة الوطن والأمة.

ولقد عرفت فيه الإنسان الوطني المخلص الغيور والعالم الجليل المجتهد والمجرب النقي السريرة والمكافح القوي عن الحق الذي لا يخاف فيه لومة لائم.

أ. د. عبد العزيز المقالح:

ليس يسيراً ولا سهلاً على أمثالي ممن عرفوا فقيد اليمن الكبير عن قرب وشهدوا فصولاً من نضاله الوطني وهو في ذروة عنفوانه ليس يسيراً ولا سهلاً عليهم أن يتخلصوا من هول المفاجأة ويتركوا لأقلامهم الانطلاق بعفوية للتعبير عن المشاعر العميقة والإجلال الكبير لرجل كان القدوة المثلى والتجسيد الحي للوطنية المتمثلة في الالتزام بالمبادئ والحرص على سيادة الوطن وكرامته.

ومن تحصيل الحاصل القول بأن القاضي عبد الرحمن الإرياني كان واحداً من الرجال القلائل الذين تعتز بهم اليمن في تاريخها الحديث وأن حياته الحافلة بجلائل الأعمال منذ أواسط الثلاثينات - أي منذ شبابه الباكر - كانت منذورة للوطن

وللقضية الوطنية وللنضال المستمر، من المهد إلى اللحد ومن تحصيل الحاصل أيضاً القول بأنه كان واحداً من مشاعل التغيير والتنوير ولم يكن في العهد ـ المباد ـ يخرج من السجن إلا ليدخل في سجن آخر غير مبال بكل ما كان يحيط به من أخطار، وما يتعرض له من محن، وكما استطاعت تلك الصعاب والأخطار أن تصقل روحه وأن تعلمه الحكمة والصبر، فقد أكسبته قدرة على المناورة والمحاورة والوقوف في وجه الطغيان الرهيب بالكلمة الصادقة والموقف الشجاع مما جعله في كل الظروف وفي كل الحالات مهاباً محترماً من أنصاره ومن خصومه على حد سواء.

وكان ـ رحمه الله ـ وهو العلامة المدقق والمحقق على صلة وثيقة بثقافة العصر وإنجازاته العلمية والإبداعية يقرأ أحدث الكتب ويناقش أحدث الآراء دون تعصب أو تفريط وكان مع إيمانه بضرورة استلهام الماضي والرجوع إلى ينابيعه الأصيلة حريصاً على الاهتمام بالحاضر والرحيل إلى المستقبل، لا يتردد عن نقد الجامدين الذين يتهيبون الحاضر ويخافون المستقبل ولعل كراهيته للجمود في مقدمة الأسباب التي دفعته إلى الانتماء إلى الحركة الوطنية التي أصبح واحداً من قادتها البارزين، كما أن حرصه على أن يعطي المسلمون الحاضر والمستقبل ما يستحقانه من جهد وعناية كان واحداً من سمات فكره المستنير. وإذا كان الفقيد الجليل قد امتاز بميزتين عظيمتين هما الصلابة في الحق وفي الدفاع عن ثوابت الوطن والمرونة في التعامل مع المخالفين في الرأي، فقد كان قلبه الكبير أشبه بالنهر العميق الذي يتسع لكل الشاربين والسابحين، لا يضيق بالرأي الآخر ولا ييأس من كسب الجولة النهائية، بالمنطق والإقناع، فقد كان من القلائل الذين يمتلكون قدرة فريدة على الإقناع واستقطاب المخالفين في الرأي.

ولا ننسى أنه كان شاعراً مبدعاً، ومفكراً صاحب رؤية متميزة ولولا انشغاله بهموم السياسة وقضايا الوطن الفريدة في تعقيداتها، لأثرى حياتنا بفيض من عطائه الفكري والشعري، علماً بأنه كان موقناً ومؤمناً بأن التغيير عن طريق السياسة أجدى وأسرع من التغيير عن طريق الفكر والأدب، وهي وجهة نظر جديرة

بالتأمل، فالذين صنعوا أهم المتغيرات في حياة الشعوب هم السياسيون والقادة والزعماء وليس الأدباء أو المفكرون.

وأعود إلى ما بدأت به هذه الإشارات من أنه ليس يسيراً ولا سهلاً على أمثالي ممن عرفوا الفقيد الكبير عن قرب أن يبسطوا أمام القارئ صورة ولو موجزة عن حياته النضالية الحافلة بالمواقف الوطنية والقومية والإنسانية، وإذا كان في العقود الأخيرة من حياته قد اختار البقاء خارج الساحة فقد كان ذلك بجسده فقط أما روحه ومشاعره وحكمته فقد كانت كلها مع الوطن تغمره بالمحبة والوفاء، ولم يكن يبخل بالنصح الصادق الأمين لكل من يهمه أمر البلاد سواءً كان في السلطة أو قريباً منها أو حتى خارجها، وعندما زرته إلى منزله في رحلته قبل الأخيرة وجدته ملماً بتفاصيل الأحداث الجارية في البلاد أكثر في معظم العائشين فيها والمشاركين في إدارتها.

فهل نقول أن عصراً بكامله من عصور اليمن الحديث انطوى بانطوائه، وأن رعيلاً من الرجال المتفانين في حب بلادهم قد غاب؟ وهل آن للأجيال الجديدة من مواليد ما بعد سنوات الثورة ومن شباب ما بعد الوحدة أن يقرأوا سيرة هؤلاء المناضلين بعيداً عن غبش السياسات الآنية والتحاملات الحزبية الناشئة عن اختلاف وجهات النظر تجاه الأحداث والمتغيرات؟؟! وإن حزني الشخصي عليه لكبير تغمده الله بواسع الرحمة والرضوان..

المناضل القاضي عبد السلام صبره:

ـ لقد كان القاضي العلامة الفاضل الحر المناضل عبد الرحمن بن يحيى الإرياني رفيق النضال المثابر والمجاهد الوفي القدوة والمثل في الإيمان والثبات على الحق والشرف والصدق.. وظل كذلك طيلة حياته رجلاً لا تزعزعه الكوارث والأهوال.. بل لم تزده إلاَّ قوة وإرادة وتصميماً.. وكان له أدوار عظيمة قام بها في كل المنعطفات الهامة والخطيرة التي أمسك فيها زمام القيادة بعقل وحكمة وحرص ومراعاة لكل ما يضمن السلامة للوطن والحفاظ على المبادئ والأهداف الوطنية السامية.. وكان ذلك الرجل

الوطني الصارم القوي الواثق الشجاع الذي ظل يطرح بعلم وفهم وتوازن وموضوعية كل الثوابت والأسس والممتلكات العامة والخاصة ويعلنها على الملأ سواءً كانوا من أصحاب النفوذ السلطوي أو من أصحاب الزعامات والتأثير الشعبي.. وإلى جانب ذلك فقد كان رجلاً تحلى بالزهد والفضيلة وتزود بالعلم والمعرفة.. وبهذه وتلك تملكته قضية كبرى وهي الوقوف ما بين الحق والباطل ليضع ضميره هو الحافز والوازع لتحديد الاتجاه والمسار الصحيحين.. ولم يخضع أبداً لأي مؤثر وإنما جعل من العقل هو الحاكم والمقرر.. وربط ما بين كل هذا وذاك واختار لنفسه البحث والتأمل لكي يصل للتوفيق بين راحة الضمير وسلامة العقل وذلك من خلال التوجه نحو ما يجب عمله من أجل مقاومة المظالم والشرور والسعي إلى حشد وتأليب كل قوى الخير لمقاومة أسبابها ومقوماتها مهما كلف الأمر ولو بالدفع نحو الرفض والتصدي والثورة في سبيل اقتلاع ومقارعة التسلط والطغيان وكان هو المثل الأعلى في إتباعه لأفضل الطرق المتفقة مع فهم مكنونات النفوس وخباياها واستطاع التعامل مع القضايا الوطنية بأرقى وأنجع الأساليب الدينية والأخلاقية والدبلوماسية والحضارية والعرفية والإنسانية.. وطرحها بأجمل وأوسع ما يمكن من اللباقة والتقديم وبما ينسجم مع القبول والتقبل.

لقد كان القاضي عبد الرحمن الإرياني ـ رحمه الله ـ رجلاً تجسدت في شخصه موضوعات عظيمة ورائعة وفاعلة بل وخارقة برزت وأعطت وأثمرت وتجلت في المحيط الوطني والإقليمي والعالمي بأجمل وأرقى صور المعاني.. ومهما قلنا في هذه العجالة فإننا لا نستطيع أن نفيه حقه.. وإنما نقول رحم الله فقيد الوطن اليمني وفقيد الحركة الوطنية اليمنية وأسكنه فسيح جناته بعد أن أدى واجبه نحو وطنه وشعبه بإخلاص.

العميد يحيى محمد المتوكل:

ـ لا شك أن القاضي المناضل عبد الرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري الأسبق يعتبر علماً بارزاً في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية منذ ما قبل ثورة ١٩٤٨م

وحتى آخر يوم في حياته وقد خلف رحمه الله بصمات لا يمكـن أن ينـساها الـشعب اليمني ولا يهملها التاريخ في صياغة النظام الجمهوري منذ كان مجرد حلم سواءً من خلال ما ساهم في ثورة ١٩٤٨م وصياغة الدستور أو من خلال ما عـرف عنـه مـن تحريض ومساهمات في الإرهاصات التي مهدت لثورة ٢٦ سبتمبر المجيـدة ناهيـك عن أدواره الكبيرة المعروفـة والمشهودة التـي لعبـت دوراً بـارزاً في المرحلـة الأولى للثورة والدفاع عنها وتثبيت النظام الجمهـوري والمساهمة في تكـوين النـواة الأولى للشخصية الجمهورية سواءً في عهد المرحوم المشير عبدالله الـسلال أو مـن خـلال دوره المعروف في تكوين موقف قـوي وواضـح تجاه المحـاولات التـي اسـتهدفت الجمهورية في مؤتمر حرض وفي مساعي ما سمي بلجنة السلام المكونة من ممثلي أكثر من دولة عربية أما بعد تسلمه مقاليد الحكم بعد قيام حركة ٥ نـوفمبر ١٩٦٧م فقـد دشنها بتوجيه وقيادة النظام الجمهوري في مواجهة الهجمة الملكية في حرب السبعين يوماً.. وفي عهده يجب أن لا ننسى البدايات الأولى للديمقراطيـة المتمثلـة بـالمجلس الوطني ومن بعده مجلس الشورى والتي تعتبر ثمـرة أولى لـسعي المرحـوم الـرئيس الإرياني في اتجاه إنشاء نظام ديمقراطي.

ومن ناحيتي الشخصية لا أنسى ـ أبداً ـ الرعاية التي كنت أحظى بهـا مـن قبـل قيادة الرئيس الراحل عندما كنت نائباً للقائـد الأعـلى للقـوات المـسلحة عـام ١٩٦٩م وعضواً في المجلس الوطني ثم سفيراً في مصر.. فقد كنت أستمد من عطفـه وحكمتـه وحنكته وخبرته ما ساعدني على أداء مهامي كما أن كل الذين عملوا تحت قيادة الـزعيم الراحل يذكرون له الرعاية الأبوية وحنكتـه الـسياسية المستمدة مـن تاريخـه النـضالي الطويل ومن علمه الغزير لشخصية (كارزمية) رحم الله الزعيم الراحل القـاضي عبـد الرحمن الإرياني الذي لا شك أن غيابه يترك فراغاً كبيراً في الساحة السياسية فهـو ظـل حتى آخر رمق من حياته النضالية يقدم النـصح والمشورة لـلأخ الـرئيس وللقيـادات السياسية اليمنية المختلفة من أجل خـير وصـلاح الـوطن والأمـة. تغـشاه الله برحمتـه وأسكنه فسيح جناته أنه سميع مجيب.

الإرياني ضمير اليمن ورمز كرامتها

العميد محمد علي الأكوع:

كـادت شـموس الجيـل أن تغربـا   وأوشـــك الينبـــوع أن ينـــضبا

ـ منذ عرفت القاضي عبد الرحمن بـن يحيـى الإريـاني في ١/ ٤/ ١٩٥٥م يـوم فَجَّر المقدم أحمد الثلايا لثورته ضد جبروت وفردية الإمام أحمـد، حيـث أقمنـا أول مجلس لعلماء وكبـار مـوظفي ذلـك العهـد ثـم الزمالـة الطويلـة معـه طيلـة العهـد الجمهوري سواءً كنا في السلطة أو خارجها، فهو ذلك الطـود الـشامخ الـذي يـشع بالبهاء والوجاهة والمحبة والاحترام، وكان مرجعاً تلـوذ بـه جميـع الفئـات لتـستنير بصائب رأيه وصادق فتواه وعظيم تجاربه.

كما كان ثمار أسرة ضاربة جذورها في بحور العلم والأدب والوطنية والـوعي المبكر والحرص الشديد على تقدم اليمن وتحررها ومواكبة دواعي إصـلاحه، حيـث جاهدوا في سبيل ذلك بالنصح نثراً ونظماً وعملاً، وكان القاضي عبد الرحمن كالعلم العالي في قمم تلك الرواسي الراسخة في العلم والحس الحضاري الذي يترك عوامل التطور التاريخي وراءه، ويشكل طلائع رائدة متحدية.. ففي عام ١٩٥٥م رغم محبته وتقديره العالي للمقدم الثلايا، إلاَّ أن بُعد نظـره وسـابق سـعيه في العمـل لتقـويض أركان العهد الملكي حيث رأس الدعوة لولاية العهد للبدر فإنه سـعى سـعياً حثيثـاً لتنسيق مواقفه مع رفيقه النعمان في الداخل والزبيري في الخارج كما أثبت ذلك أحمـد شرف الدين في مخطوطته عن تلك الثورة.

ورغم ذلك فإنه أخرج إلى الميدان لإعدامه بعد اعتقالـه مـع الـذين قـرر الإمـام إعدامهم وسقطوا أمام عيني فقيدنا، ولولا بقية من الأجـل سـبقت في علـم الله لكـي يلعب دوراً بالغ النفع في مستقبل اليمن ولكي يقود الثورة والجمهوريـة إلى بـر الأمـان والسلام العظيم الذي حقن دماء كل أبناء اليمن ملكيين وجمهوريين حيث تضامن مـع داعيتي السلام النعمان الأكبر وولده محمد وغيرهما من الطرف الآخر فحقق فقيدنا مـع

أولئك ما لم يستطع أن تحققه القوات العربية البالغ عددها سبعين ألف جندي مع الاعتراف بخطورة رسالة مصر وترسيخها لكيان الثورة والجمهورية.

وقد يسر الله لفقيدنا في ميدان الإعدامات ١٩٥٥م تدخل العلامة الجريء في سبيل الحق محمد يحيى الذاري فأقنع الإمام أحمد بغض النظر والعفو عن القاضي عبد الرحمن، وقد أعيد من الميدان هو والأخ العميد حسين الغفاري حيث كانا في قاب قوسين أو أدنى من سيف الجلاد، وقد حاول البعض إنكار هذا الموقف عن فقيدنا لأنه لم يظهر في الصور كالأخ الغفاري ولكن شهود عيان أكدوا ذلك وعلى رأسهم الوالد العلامة المؤرخ الكبير القاضي محمد بن علي الأكوع، حيث قال لي: (لقد وصلنا من حجة ساعتها إلى الميدان ومررت بجوار القاضي عبد الرحمن وهو مع المعدّين للإعدام، فالتفت إلي قائلاً: «مصائب قوم عند قوم فوائد» لأن إطلاقنا كان بسبب ثورة المقدم الثلايا).

شارك الفقيد في الإعداد للثورة والجمهورية كرائد ومرجع لكل القوى الثورية، وطيلة رئاسة المشير عبدالله السلال ظل فقيدنا قمة في الاحترام وفي الاستئناس برأيه في عظائم الأمور.

وفي سنة ١٩٦٧م كان على رأس المستنكرين لتردي الأوضاع حتى طار مع وفد كبير من رجالات اليمن إلى عبد الناصر الذي كانت مراكز القوى قد حجبته عن رؤية الحقيقة كشمس بدران وعامر وأنور وغيرهم، فزج بالوفود إلى معتقل أبو زعبل لكن مهابة وفضل فقيدنا وقفا ضد أقدام معتقلي الوفد لاعتقال القاضي بل رأوا أنه يبقى مجللاً محترماً في سكن مناسب ومثله القاضي عبد السلام صبره وكان قبل ذلك قد شارك في المعارضة بفاعلية مع رفيقيه النعمان والزبيري الذي استشهد يومها وبعد النكسة واستمرار تردي الأوضاع في اليمن اضطر عبد الناصر لاتخاذ قرار بأن يتولى فقيدنا ورفاقه تحمل مسئولية الحكم في اليمن، وفي ٥ نوفمبر ١٩٦٧م رأس المجلس الجمهوري وقاد المسيرة بجدارة واحترام لكل فرد من أبناء اليمن

وكرامة الوطن حتى قال سيف الإسلام الحسن: «قد وصلت إلى يد الفقيه فليس لنا أي أمل قط» وانسحب الحسن من الميدان.

كان سلاحه العدل والصبر والابتسامة والود والإخلاص المكين لله وللوطن، وكان يقدم استقالته كل ثمانية أشهر حسب الدستور فيتمنع الأعضاء عن موافقته وظل أباً ورؤوفاً لكل أبناء اليمن، وإليه يرجع الفضل في المبادرة والمشاركة بتحقيق الوحدة مع سالم ربيع علي وغيره منذ ١٩٧٢م وحتى آخر أيام في الحكم فقد ترك المسئولية راضياً نتيجة ضيق بعض الدول من صموده، وتحريك بعض المغرر بهم ضده ممن ندموا بعد ذلك ندماً شديداً فغادر اليمن معززاً مكرماً ترفع له الأكف بالتحية ويعزف له السلام الجمهوري ويرفرف على رأسه العلم اليمني المجيد.. ولنا عودة فهو بحر من الشمائل والفضائل والتقى بغير حدود رحمه الله.

السفير عبدالله عبد السلام صبره:

ـ ماذا يمكن للمرء أن يقوله في رجل لم تخسره اليمن فحسب وإنما خسرته كل قوى الخير والتقدم والذي كان في حياته وسيظل بعد مماته رمزاً شامخاً بين رموز من أسسوا وناضلوا ووهبوا حياتهم كلها وكرسوها لمقارعة الظلم ومقاومة الشر والطغيان والدجل والتضليل والبهتان بهمة وشجاعة وعزيمة لا تلين، أن أحد لا يستطيع أن ينكر ما قدمه المرحوم الرجل الحر المناضل العظيم الوالد القاضي عبد الرحمن الإرياني من الأعمال الخالدة لوطنه ولشعبه ولم يبخل براحته وصحته وهو يضع كل هموم وقضايا اليمن في عقله وضميره على مدى الزمن الذي عاشه طيلة حياته وقدم جهده ودمه في سبيل ما آمن به من القضية الوطنية الكبرى وما حمله من الرسالة الخالدة على مدى أكثر من ٦٥ عاماً عاشها وهو يحمل الشعلة والقلم حتى وهو داخل السجن حبيساً فلم يصمت أو يخفت له صوت بل ظل كالأسد في عرينه ثم إنه قد قطع في حياته طريقاً طويلاً حافلاً بالأعمال الوطنية المجيدة والتضحيات الهائلة والمخاطر الرهيبة فمنذ أن بدأ حياته

العملية وعيون الطاغية لا تتركه وقد ظل سيف الجلاد مسلطاً فوق عنقه وأصابع التربص والغدر تحوم من حوله في محاولة الإيقاع به والنيل منه ولهذا فلقد سمي بالشهيد الحي لأنه أفلت من الموت لعدة مرات ابتداءً لما تعرض له في عام ١٩٤٨م واستمراراً لما واجهه في الخمسينات والستينات والسبعينات، ونذكر منها على سبيل المثال: عندما أخرجه الطاغية أحمد إلى ميدان الإعدام في تعز عام ١٩٥٥م مع عدد من الأحرار وذبحهم الطاغية جميعاً أمام ناظريه ولم ينجو إلا هو بأعجوبة وكذلك في حادث اغتيال الشهيد العظيم محمد محمود الزبيري التي طالته أيادي الغدر والخيانة وهو في برط ففي أثناءها كان القاضي الإرياني والأستاذ النعمان يسيران بجوار الشهيد ولم يفلتا من تلك الحادثة إلا بمعجزة ولهذا فقد ظل يطلق على المرحوم القاضي الإرياني اسم الشهيد الحي الذي لم ينثني أو يتوانى أو يتراجع ويتهاون تجاه كل الأعاصير والمصاعب والتحديات عن مواصلة البذل والعطاء في سبيل وطنه وشعبه وأمته وبلاده بكل ما وهبه الله وزودته الحياة من العلم والمعرفة والحصافة والكياسة، وفي يقيني أنه لم يتبوأ أحد إلى مثل ما وصل إليه من الصفات والكمالات فقد كان إلى جانب ما حمله من تاج الوطنية المخلصة الصادقة كان هو الشاعر والأديب والسياسي والحكيم الحصيف النظيف الرجل القوي الأبي الذي سخر كل مواهبه لتوجهاته النبيلة والسامية ولم يطأطأ له رأس أو تهتز له إرادة في شتى المواقف والأحوال ولم تأخذه الدنيا بزخرفها ومغرياتها قيد شعرة فواجهها وتحداها بكل ما أوتيت له من الفرص والمناسبات بآفاقها وسخائها وعاش متمسكاً بمبادئه وقيمه وكل عطائه الذي ارتكز دائماً باستمرار للخير ومقاومة الظلم والطغيان وقد تحلى في كل علاقاته وتعاملاته بالآخرين سواء كانوا أصدقاء أو أعداء كباراً أو صغاراً ضعافاً أو أقوياء كان ودوداً متسامحاً وصبوراً متواضعاً وحليماً وتمسك بكل هذه وتلك إلى أن توفاه الله وانتقلت روحه الطاهرة إلى جوار ربه تغمده الله بواسع الرحمة والغفران وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.. وإنا لله وإنا إليه راجعون..

المناضل محمد الفسيل:

ـ أنا أعتقد أن القاضي عبد الرحمن الإرياني لم يكن زميلاً لنا وإنما زعيماً وطنياً لليمن كاملاً.. توفرت فيه كل صفات الزعامة وقد بذل حياته كلها لليمن ولخير اليمن وتقدم اليمن وللنظام الجمهوري وإذا كرمناه اليوم فإن هذا التكريم وفاء الشعب لقائد وزعيم قاد البلاد لسنوات طويلة رحم الله القاضي عبد الرحمن الإرياني وأسكنه فسيح جناته وألهمنا الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المناضل أحمد حسين المروني:

ـ القاضي عبد الرحمن الإرياني رحمه الله يجب أن يكرم في صفحات التاريخ لأنه من عمالقة الوطنيين وأصدقهم وقد عمل للوطن الكثير وتحمل المشاكل العديدة والكبيرة ونجح في تجاوز الكثير من المؤامرات التي كانت تحاك وضد الوطن اليمني وخرج منها سليماً معافى.. إضافة إلى أنه كثيراً ما خرج إلى ساحة الإعدام نتيجة لمواقفه الوطنية الشريفة.. وفي كل مرة كان ينجو بأعجوبة.. وشعبنا اليمني يجب أن يتذكر القاضي الإرياني وأمثاله من الذين أضاؤوا له الطريق وتحملوا الكثير من المشاق والمصاعب والسجون والتشهير لكن الله سبحانه وتعالى منحهم الصبر حتى قامت الثورة المباركة عام ١٩٦٢م وعاشوا تحت ظلها وحافظوا عليها وخططوا لبناء ومستقبل الوطن بما أسهموا به في إعلاء شأن الوطن اليمني ووصوله اليوم إلى ما وصل إليه من تقدم وازدهار.

الأستاذ أحمد جابر عفيف:

ـ الحقيقة أن القاضي عبد الرحمن الإرياني رحمه الله ترك فراغاً كبيراً في اليمن كونه من أوائل المناضلين الذين أسهموا بصورة كبرى في قيام الثورة السبتمبرية الخالدية.. وخدم القضية الوطنية في مختلف مراحل حياته.. إنه رجل يجب أن ينال من تكريم كل أبناء الوطن اليمني لما له من مكانة كبيرة ورفيعة فقد بذل كل ما يستطيع لخدمة اليمن ورفعته..

السفير عبده عثمان:

ـ الفقيد الراحل القاضي عبد الرحمن الإرياني فقيد الشعب والوطن كان شخصية عظيمة تتميز بالحكمة وبُعد النظر والصدق والتجرد والتضحية وكان رجلاً صاحب تاريخ حافل يصعب الحديث عنه من خلال هذا اللقاء السريع.. والشعب اليمني اليوم وهو يشيعه فهو يحييه على امتداد الوطن اليمني الواحد ويؤكد خلود وبقاء واستمرار القاضي عبد الرحمن الأرياني الذي سيظل حياً في ضمير شعبنا اليمني الوفي..

المناضل الدكتور حسن مكي:

ـ إن رحيل القاضي عبد الرحمن الإرياني خسارة وطنية كبيرة وإنه لمصاب جلل فلقد كان القاضي عبد الرحمن الإرياني محباً ومخلصاً لهذا الوطن ومضحياً بالكثير من أجله.. إضافة إلى أنه كان دارساً للتاريخ اليمني.. لذا كانت آرائه وأفكاره النضالية عميقة.. أسهمت في مساعدة المواطن اليمني على الحفاظ على الجمهورية وحماية الثورة المباركة من كيد أعدائها والمشاكل التي واجهتها، فله الرحمة والغفران.

المناضل شرف عبد الكريم المحرابي:

ـ القاضي عبد الرحمن الإرياني كان علماً بارزاً من أعلام الثورة المباركة.. لازم الثورة في كل المراحل وكان من أبرز المناضلين منذ توليه رئاسة المجلس الجمهوري حيث أسهم في تحقيق المصالحة اليمنية بين جميع الأطراف.. وبرحيله خسرت بلادنا شخصية وطنية عظيمة ومرجعاً هاماً من مراجع الثورة السبتمبرية الظافرة.

الدكتور يحيى الشعيبي:

ـ الفقيد الراحل القاضي عبد الرحمن الإرياني من الشخصيات المميزة التاريخية في بلادنا حيث كان أحد القادة الكبار الذي حملوا القضية الوطنية بحب وإخلاص وتحمل مسئولية الوطن في فترة هامة وحرجة من مسيرة.. وقيادتنا السياسية ممثلة بالأخ الرئيس علي عبدالله صالح تعمل على تكريمه تقديراً لدوره البارز في انتصار الثورة السبتمبرية الخالدة وتعميق الجمهورية.

الدكتور عبدالله عبد الولي ناشر:

ــ الفقيد الراحل له مواقف نضالية وطنية منذ زمن طويل ومنذ الأربعينات عندما كان أحد العظماء الذين قاموا بثورة ١٩٤٨م وله أدوار كبيرة بعد ذلك في مسيرة النضال الثوري الوطني إذ تولى قيادة الوطن في نهاية عقد الستينات ومطلع السبعينات ومطلع السبعينات في ظروف صعبة.. وها هي بلادنا اليوم تخسر خسارة كبيرة برحيل أحد أبرز قادتها المعاصرين الذين آثروا في تاريخها المعاصر تأثيراً إيجابياً..

العميد حسين المسوري:

ـ وفاة القاضي العلامة عبد الرحمن الإرياني خسارة فادحة.. لأن كل شخصية وطنية في بلادنا تعرف تاريخه ونضاله ودوره في انتصار الثورة والدور الذي تفرد به في مرحلة النضال ثم مشاركته في صنع الحياة السياسية اليمنية.. وقد عملت معه لسنوات طويلة في تحمل مسئولية القوات المسلحة لمست خلالها أن هذا الرجل يتمتع بكثير من الحكمة والصبر وأنه أكثر خبرة بالقضايا السياسية والعسكرية وكل قضايا الوطن التي عالجها بصورة، ولعل من إنجازاته التي يفخر بها كل يمني تحقيق المصالحة اليمنية عام ١٩٧٠م التي ثَبَّـت بها النظام الجمهوري..

المناضل يوسف الشحاري:

القاضي عبد الرحمن الإرياني يمثل مع الرعيل الأول النموذج الصحيح للإخلاص والتفاني في سبيل الوطن.. رحم الله هذا الرعيل الذي خلف وراءه الكثير من هذا الجيل الذين تعلموا على أيديهم ونهجوا نهجهم من أجل مواصلة المسيرة الوطنية.

رحمه الله ورحمنا جميعاً.

أحزان متفجرة

بكائية أحمد عبد الرحمن المعلمي

لا دموعي ولا دموع بياني ... تطفؤ الانفجار من أحزاني

دنفاً صرت، والمصائب تذكي ... حربها، عنوة ودون توانِ

سال دمعي دماً، ونور عيوني ... قد خبا، إذ تساقطت أجفاني

ووجومي أسىً يساوي صراخي ... واحتجاجي، وتركه سيّان

ما الذي انتابني؟ أنا لست أدري ... خبروني، فقد فقدت جناني

لفظتني مضاجعي وجهاتي ... وزماني جهلته، ومكاني

والنواحي أنّى ارتميت حريق ... صاخب الهول، جاحم النيران

أأراني في الحشر والنشر وحدي؟ ... فاقد الوعي، تائه الوجدان

غير أن الحشود حولي حيارى ... شاحبات وجوهها للعيان

وأنا، هل أنا على ما عهدتم؟ ... أم عراني مس من الشيطان؟

كيف عندي صار الكلام هراء ... فيه حُمّى التهويش والهذيان؟

يا إلهي: رحماك، كم ذا أعاني؟ ... ما دهاني؟ يا هول ما قد دهاني

إن فرشي يبكي لحالي، وحالي ... سكرات، مجنونة الغليان

ونهاري والليل بؤس حزين ... نائحات ساعاته والثواني

ينخر الداء في عظامي، وإني ... لطريح في شقوة متفانِ

ما مضت لحظة بدون أنين ... أصلد الصخر منه في ذوبان

لست حيّاً يرجى ولا أنا ميت ... من عنائي تريحني أكفاني

أوَيكفي يا دهر ما أنا فيه ... من بلاء عاتٍ، وسوء امتحان

فلما صعقة أفاجأ منها ... بجنون الزلزال والبركان

نبأ صكّ مسمع الناس طُرا ... فتناجوا فيه بلا آذان

ذهلوا، كيف ينمحي الضوء عنهم ... كيف يمشون مشية العميان؟

كيف أن النهار يطوى بقبر؟ ... كيف تودي المنون بالعرفان

كيف بالعلم ينشب الموت فيه ... مخلباً جارحاً كحد السنان؟

كيف يطوي الثرى زعيماً طهوراً ... لا مع الرأي، كالصقيل اليماني؟

الفقيد الوحيد من آل يحيى ... من به الشعب نال كل الأماني

جاءه الموت فجأة دون لف ... رهبة في اللقا ولا دوران

واقفاً مات مشرئباً كما كا ... ن أمام الخطوب غير جبان

كان عقلاً يضيء كل ظلام ... ثاقب الرأي، عادل الميزان

كان حلاً للمشكلات إذا ما ... التبس الأمر، واضح البرهان

كان فهماً لما تخبئ للشعب ... يبغض أهواء قالٍ وشان

كان إن هاجت الخطوب وماجت ... خير هاد إلى شواطئ الأمان

كان برجاً عليه رادار شعب ... منذر بالأخطار قبل الأوان

كان يدري ما في الخفا بشعور ... غير عاد، وسره رباني

هكذا قيض الإله لشعب ... قائداً منقذاً من الطوفان

ليش يخشى في الحق لومة من لا ... م شجاعاً في رأيه والبيان

عالماً فاضلاً حكيماً بصيرا ... طاهر العرض صادق الأيمان

والزعيم العظيم من ليس يغتر ... بفرط النفوذ والسلطان

عاش للشعب لا لجاه ومال ... أو لقصد مبهرج اللمعان

كم زعيم من قمة الحكم وَلّى ... صار وهماً في مهمه النسيان

وزعيم مثل الفقيد تخلى ... أو تولى، مخلد غير فان

يا صديقي، ويا رفيق دروبي ... وزميلي في السجن والسجان

يا حميمي، وأنت أوفى حميم ... وملاذي في السر والإعلان

عشت أحنى أخ عليَّ وخل ... قلبه طافح بكل حنان

كنت لي في مدارج العلم أستا ... ذاً، ووطدت في الحياة مكاني

لمَ فارقتني أقاسي من الأمر ... اض هولاً ما كان في حسباني

كان أولى بأن أموت وتبقى ... أنت ذخراً في الرأي للأوطان

«كنت أرجو بأن تقول رثائي» وتواري في قبره جثماني
يا وحيد الصفات يا أنزه الناس جميعاً قاصيهم والداني
نم سعيداً في جنة الخلد وانعم بجزيل الرضوان والغفران
وعزائي للشعب فيك وللغر الميامين من بني الإرياني

رثاء مرشد الثورة

عبد الكريم محمد يحيى الإرياني

عليك مدامعنا تسكب وهذي جماهيرنا تندب
ولا غرو إن فقدت صبرها فأنت محررها والأب
فبالرأي قد قدت ثورتها إلى نصر تزهو به تطرب
ولا يحرز النصر ذو مدفع إذا عدم الرأي ما يرقب
وخضت كفاحاً بذلت به أعز وأعظم ما يوهب
فتلك قوى الظلم عاصرتها صموداً ومن حولها تنقب
ولم تهجر الساح مبتعداً لخوف تزيا به ثعلب
ولم تستطع شفرات السيوف تحد مضاءك أو ترعب
فأفكارك الغر شامخة على الدرب سار لها موكب
وصارت تشع ربوع البلاد بنور وأنت لها كوكب
فكم استضاء بها ثائر وكم فاز في هديها معجب
بها يبلغ المجد أوج العلا ويفخر في صنعها يخصب
نقول لمن رام غمطاً لها لقد عز في صنعك المطلب
إذا تستطيع لحجب السهى فشمس الحقيقة لا تحجب
(أبا أحمد) عشت فذا أبيا وبالجد حققت ما يصعب
فكم لك من موقف في النضال وقفت وتَوَّجَه مكسب
وحزت بذلك ما ترتجيه وحققت للشعب ما يرغب

ففي (حرض) إذ سمعت الغواة بماضي آبائهم أطنب
فسارعت في صد ما ينشدو ن وصرت بساحاته تخطب
تفند ما يدعي الطامعون لكل مزاعمهم تشجب
وناظرت بالحق من ارتجوا من الزيف فوزاً فلم يكسبوا
مناظرة صغت فيها رؤى لدى الحاضرين فقد أعجبوا
كما كان في القول ردعاً لمن إلى الانحراف هم أقرب
وفي الخمس من شهر نوفمبر وقفت وللموت لا ترهب
وقفت مع الشعب في محنة تكاد مكاسبه تسلب
وقفت إلى إخوة في النضا ل ومن ينشد الحق لا يغلب
وقلت لأبناء عم الإمام إلى حيث لا رجعة اذهبوا
وللجاهلين بفضل النظام إلى الصف عودوا ولا تلعبوا
فأوجدت فيما صنعت السلام وحققت للشعب ما يطلب
وجئت إلى الحكم في حالة فقدت ينوء بأجوئها غيهب
وقدتَ المسيرة في حكمة وللعدل والحق تستصحب
وفي عفة قد تركت بها مثالاً لروادها يضرب
لذلك استيأس الطامعو ن وشلوا عصيهم واغربوا
وقالوا لقد قادها مدرك ملماً بأعمالها منجب
وأسست جامعة للعلوم لمن كان في نيلها يرغب
وأوجدت في الحكم قاعدة فمن يتولاه ولا يغصب
وقلت لنا إنه منحة من الشعب للمرء لا ينهب
ولا حق فيه لنائله فيستمرئ الظلم أو يغصب
وحطمت أسطورة للطغاة تمسك في دعمها أشعب
فلولاك ما نجحت ثورة ولا خاب في دحضها مذنب
فعش هانئاً في جنان الخلود يطيب لك الزاد والمشرب

فـــذكرك عمـــر تعـــيش بـــه مـــدى الـــدهر بالمجـــد لا يغـــرب
وشـــعبك مـــاض بثوراتـــه عـــلى نهجـــك الفـــذ لا ينكـــب
وإن رام بعـــض لهـــا نكـــسة فـــإن مزاعمـــه خلـــب
فلـــيس بـــآلات ضـــبط الزمـــان تعـــود إلى خلفهـــا عقـــرب

علو في الحياة وفي الممات

علي بن علي صبره

واليـــوم مـــات القـــاضي الإريـــاني رمـــز التقـــى والعـــالم الرّبـــاني
قـــد أقفـــرت فـــسترقبوا مـــن بعـــده «هـــالي» ونفـــخ الـــصور بـــالنيران
لكـــأنها قـــد زلزلـــت زلزالهـــا بـــل أخرجـــت أثقالهـــا بثـــواني
وكـــأنَّ يـــوم الحـــشر يـــوم مماتـــه فالنـــاس حـــول الـــنعش كالطوفـــان
في لهفـــة يتزاحمـــون عـــلى الـــردى معـــه لنيـــل الأجـــر والغفـــران
يستعجلون حـسابهم كـي يـدخلوا معـــه جنـــان الحـــور والولـــدان
أو غاب ثـالوث الزعامـة وانطـوى قداســـها في هيكـــل الأوطـــان
غاب (الزبيري) العظيم وصنوه (الـ نعـــمان) والعلامـــة (الإريـــاني)
يا قوم ما مات الـذي أحيـا الـورى وأقـــام صرح العـــدل والإحـــسان
تـــسعون عامـــاً قطرتـــه كالنـــدى سر الحيـــاة عـــلى فـــم الأكـــوان
لم يبـــق للإنـــسان إلاَّ شـــكله منـــه وإلاَّ اســـمه النـــوراني
كالـشمس تـشغل حيـزاً في أفقهـا وســنا ضــياها ملــؤ كــل مكــان
يجـري الزمـان بأمرهـا مـن فيـضها وتقـــسم الأعـــمار بـــالميزان
فغروبهـــا مـــا كـــان إلاَّ طلعـــة أخـرى عـلى الـدنيا يـصبح ثـاني
لا تنـــدبوا فرحـــاً بلقيـــا ربـــه خلـــوا مـــن الأوزار والأضـــغان
كـــم ظـــل يـــدعوه ويطلـــب قربـــه متبـــتلاً في الـــسجن والميـــدان

بــــل هنئـــوه بفـــوزه بحبيبــــه ... إذ صـــار في عـــرس وعقـــد قـــران

مـــن بعـــد أن أدى وأمهـــر غاليـــاً ... بأمانـــــة المـــــستحلف المتفـــــاني

حليت بــه ســود القيــود فأصبحت ... تــسبي فــؤاد الــسجن والــسجان

وســـطا بيـــسمته عـــلى جـــلاده ... فارتـــد مبتـــشراً بنهايـــة الطغيـــان

فارتـــدَّ عنـــه الـــسيف مـــذهولاً إلى ... الـــدجال والأصـــنام والأوثـــان

فتعجبت منـه المنايـا إذ عـن المنجــ ... ــي عليـه يـزوغ سـيف الجـاني

مـــن مثلـــه تثنـــي عليـــه خـــصومه ... وتــــدين بــــالإجلال والعرفــــان

مـــن مثلـــه جـــاع الليـــالي ســـاهراً ... من أجل زغب قطا عـلى الأغـصان

مـــن مثلـــه جـــاب الـــورى متجـــشماً ... ذل العزيـــز ببـــاب كـــل جبـــان

كالطـــائر الفينيـــق شـــيَّد عـــشه ... لفراخـــــه في حومـــــة النـــــيران

في الـــسلم زقاهـــا النجـــوم وفي ... حـــدق العيـــون وأكبـــد الفرســـان

حتـــى مـــثلن خوافيـــاً وقوادمـــاً ... وجوانحـــاً حامـــت عـــلى كيـــوان

واليـــوم صرنـــا نـــستظل بظلهـــا ... في رحلـــة شـــقت عـــلى الأزمـــان

ويـــسيمها خـــضر المنـــى محميـــة ... حزمـــا ويوردهـــا العـــذيب الهـــاني

فعـــلام نبكيـــه؟! ونندب حظنـــا ... منـــــه وحـــــل تراثنـــــا إريـــــاني

لو ينطق الصخر الأصم وكـل شبـــ ... ـــــبر في ثرانـــــا قالهـــــا ببيـــــان

في الصخر قد شـق الطريـق بظفـره ... مــــا كــــان بالعــــاني ولا المتــــواني

الرائد الفحل الذي لم يكذب الأهلـ ... ـــــين في حـــــل وفي إظعـــــان

لم تغـــره الـــدنيا وقـــد درت لـــه ... طوعـــاً كـــدر المرضـــعات حـــواني

فبكـــل عـــين لم يـــزل إنـــسانها الـــ ... ـبـــسام في الأفـــراح والأحـــزان

وبكــــل قلــــب ذكــــره في نبــــضه ... وبكـــــل جارحـــــة وكـــــل لـــــسان

وبكــــل منعطــــف وكــــل ثنيــــة ... نلقـــــاه يحـــــضننا بكـــــل حنـــــان

كالوالــــد الــــبر المحــــب عيالــــه ... في طاعـــــة مـــــنهم وفي عـــــصيان

السمح إن عض الزمان بنانه ... غيضاً عليه ولج في العدوان
فنراه يألم عنه لا منه ويا ... لله من قلب ومن وجدان
رب الكياسة والسياسة والحجى ... والصدق في سر وفي إعلان
ناشدتك التاريخ يا نوفمبر ... من شدها من مخلب السرحان
وحصار صنعا: كيف طوق خصرها ... حتى استهل النصر من عيبان
والفتنة الشنعاء كيف أذابها ... في حكمة بزت على لقمان
وبكل مؤتمر مجلّي قدحها ... السامي وقادح زندها القحطاني
حتى إذا ما ازيّنت في زخرف ... يغري عقول أناسها والجان
أنسلّ عنها وهي كالحسناء قد ... مدّت تثير نوازع الشيطان
متبرئاً منها فما قدت له ... ثوباً ولا مسّت له بعجان
لم يكترث غير المحاسن والتقى ... فقصوره في جنة الرضوان
واختار عنها البعد يمسك قلبه ... بيد ويدفع دونها بسنان
واليوم ها هي قطعت أكبادها ... حزناً عليه تصيح ياني ياني
ومضى ولم يذخر سوى الحسن الثنا ... «والذكر للإنسان عمر ثان»
أكرم بأول حاكم قد قالها ... لا حكم بالميم طا والميداني
وإلى دمشق وفي حماها حافظ ... شهم يجير المعتفي والعاني
حتى ثوى مثوى الكرام بحضنه ... ومضى يسلمه إلى الرحمن
ديناً ولا كل الديون فما له ... قاض سيبقى طوق كل يماني
هو هكذا رب الفضيلة والتقى ... في الحكم أروع منه في الأكفان
وعزاؤنا من قال هاأنذا لها ... تيس التيوس الناطح الأقران
الله أسأل أن يخلد ذكره ... فسوى المحامد كل شيء فان

صرخة ألم

لطف محمد يحيى الإرياني

كم كنت آمل لو أني الذي قبروا ... وأن عمري له، لو يفتدى العمرُ
من كنت أحذر أن تأتي منيته ... قبلي، قضى نحبه، لم يغنني الحذرُ
- عمي - وحزني عليك اليوم لوعته ... تجتاح قلبي أسى الذكرى وتعتصرُ
بالأمس قد كنت ترعاني وكنت أباً ... به ألوذ، إذا ما نابني خطرُ
وكنت - يا عمّ - صوت الشعب ترفعه ... مدوياً، لقضايا الحق تبتدرُ
نذرت عمرك قرباناً لثورته ... وكنت أكرم من ضحوا ومن نذروا
بالأمس في ثورة الأحرار كم حملت ... رجلاك للقيد، ما لم يحمل البشرُ
بمعقل خلف أسوار له حرس ... بهم علو، بهم جهل، بهم صعرُ
أكبادهم كصخور السجن مصمتة ... غلف القلوب، وفي آذانهم وقرُ
أمضيت فيه السنين السبع في ضجر ... مُكَبَّلاً، كاد منها يضجر الضجرُ
وأنت ترسف في الأغلال مثقلة ... يعض ساقيك، منها الناب والظفرُ
كم محنة ملؤها الأهوال كالحة ... نجوت منها، لأمر شاءه القدرُ
وقفت في ساحة الإعدام مبتسماً ... لم يثن عزمك خوف منه أو خورُ
والموت حولك والأكباد واجفة ... والرعب في أوجه الباكين ينتشرُ
ولم يروعك للطاغي توعده ... وما انحنيت، وليل البغي يعتكرُ
وسيفه بيد الجلاد يشهره ... مضرج، بدم الأحرار ينهمرُ
يُودي ويعصف بالأرواح في نهم ... وللرؤس من الأعناق يبترُ
قوافل لرفاق كان يحصدها ... سيف «الأمام» وصوت الحق مندحرُ
والشعب لم ينس ما واجهت في «حرض» ... مدافعاً عن قضاياه، وتنتصرُ

رامـو الوقـوع بـه في قعـر حفـرتهم فـأوقعوا بالـذي رامـوا بهـا حفـر
ضـميرك الحـي لم يقبـل مـساومة في حق شعبك، حتـى جـاءه الظفـرُ
ما كنت يوماً لغير الـشعب منتـصراً ولم تكـن لـسوى نجـواه تـأتمرُ
أخذت في الحكم بالشورى تؤسسهُ ولم تكـن طامعـاً للحكـم تحتكـرُ
فـالتف حولـك أخـوان تـشاورهم في الأمر، ما أخطأوا في الرأي أو عثـروا
طهـر الأكـف نقيـات ضـمائرهم ما شـابها طمـع في الحكـم أو وطـرُ
أدوا الأمانــة في قــول وفي عمــلٍ وحملوهــا، كـما في ديـنهم أمـروا
فــنم قريــراً بــدار الخلــد مغتبطــاً فـذكرك الحـي بـاق عرفـه العطـر

لماذا اليوم تنتحب القلوب

يحيى علي زبارة

لمــاذا اليــوم تنتحــب القلــوبُ ويــرزء فيــه عالمنــا الرحيــب
لمــاذا تفجــع الــدنيا وتطــوي مباهجهــا المــآسي والكــروبُ
لقــد ولّى مــلاك كــان فينــا كــشمس للمكــارم لا تغيــب
ومــوت المــصلحين لــه دويٌّ تخــرّ لــه الجلامــد أو تــذوب
حياتُـك يـا ابـن يحيـى تـضحيات ومجــد تــستظل بــه الــشعوب
حقنــت دمــاء شــعبك في زمــان طغــت فيــه الرزايــا والحــروبُ
مــسحت دمــوع آلاف البرايــا كأنــك للــورى أنــت الطبيــب
مبادئـك العظيمـة سـوف يبقـى لهــا في مهجــة العليــا وجيــب
صـفاتك يـا وجيـه الـدين كانـت تــشع كأنهــا الفجــر القــشيب
وَمَهَّــدَت الطريــق إلى ســلامٍ وأمــنٍ تطمــئن لــه القلــوب

بيانك في جموع الناس كانت لـه كل المشاعر تستجيب
وحكمتك التي أنهت شتاتاً وعنفاً تقشعر لـه الخطوب
وأديت الرسالة دون مَنٍّ بدهرٍ شانه الحقد الرهيب
فحبك خالدٌ في كل نفسٍ لـه في كل جارحة نصيب
ومجدك سوف لا ينساه شعبٌ وقائده ورائده الحبيب
تعددت المواهب فيك حتى كأنك للورى الأمل الخصيب
فعلمك يا بن يحيى مستفيضٌ كنهر النيل ليس لـه نضوب
وشعرك في سماء الوحي يشدو وينبض فيه إلهامٌ عجيب
وقاومت التخلف في اقتدارٍ ورأي في السياسة لا يخيب
وأنت اليوم في جنات عدنٍ بها في كل منعطف تجوبُ
تنادمك الملائك في ازدهاء بمقدمك المجيد وتستطيب
يؤدون التحية في احتفاءٍ كأنك بين محفلهم خطيب
كأنك في ذرى الفردوس نجمٌ تلألأ فيه ماضيك المهيب
وعبر مسيرة التاريخ يشدو بحنكتك الأباعد والقريب

الإرياني (حسن بن أحمد)

(١٣١٩ ـ ١٣٨٨هـ/ ١٩٠١ ـ ١٩٦٨م)

القاضي العلامة الأديب الفاضل الحسن بن أحمد بن الحسن بن قاسم بن علي بن حسين الإرياني. مولده في هجرة إريان في سنة ١٣١٩هـ.

ولازم القاضي العلامة الفاضل الحسين بن عبدالله بن علي الإرياني رحمه الله، واقتبس من أنواره ثم لازم حاكم إب القاضي الحافظ يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني وأخذ عنه وتخرج به واستفاد بذهنه الوقاد وحافظته، واشتغل بالأدب ونظم الشعر الحسن. تولى الكتابة للإمام أحمد حميد الدين حينما كان أميراً على حجة ورافقه في بعض رحلاته. ثم تولى القضاء في ناحية جهران ثم ناحية ملحان. ثم استقال سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وعاد إلى إريان وظل مقيماً هناك إلى أن تولى الملك الإمام أحمد حميد الدين بعد مقتل والده فاستدعاه وعيّنه حاكماً على ناحية خبان. ثم نقله إلى يريم والشعر. ثم عين حاكماً في إب وظل في هذا المنصب حتى قامت الثورة سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. توفي بمدينة إب.

ومن أثاره: سبحة المرجان في تراجم علماء إريان؛ وصادق التحاقيق مما حدث في قبيلتي حاشد الزرانيق؛ وله ديوان شعر لكنه أتلف معظم قصائده ولم يبق منه إلاّ على النزر اليسير.

فمن شعره ما كتبه إلى الأديب ابن زبارة بمدينة إب في أول شهر شوال سنة ١٣٤٥هـ مهنئاً بقدوم عيد الفطر:

لا تعرضوا اللوم على مسمعي	هيهات أن أسمعه أو أعي
بي نظرة قد روعت فكرتي	وَشَبَّت النيران في أضلعي
من غادة هيفاء أمَّا بدت	فقل لشمس الأفق لا تطلعي
وقل لغصن البان مَعْ لينه	إذا مشى الحب له فاركعي

خَوْدٌ فسبحان الذي زانها ... لكن لقول الصب لم تسمع
فتانة الألحاظ في ثغرها ... شهدٌ وليس الشهد بالمقنع
ما ضرها إن لم تزر مدنفاً ... يبغي وصالاً وهي لم تخدع
فمن سهام قد رمتني بها ... قد عذت بالعلامة الألمعي
خير بني الزهراء بدر الهدى ... من عِلْمُه كالعارض المترع
محمد لله من فاضل ... عف عن الدنيا فلم يطمع
في كل فن قد غدا آية ... لله من حَفَّاظة مصقع
قد نال عزاً من سجايا حكت ... روضاً وفي الآداب كالأصمعي
مولاي من حاز صفات العلى ... وصار فينا الكَيِّس اللوذعي
وإن دجى ليل وحاد الورى ... عن قصدهم ما حاد عن مهيع
هُنِّيت بالعيد ولا زلتَ في ... خيرٍ كثيرٍ عنك لم يقطع
ودمت يا بدر العلا ناشراً ... للعلم في منزلك الأرفع
واعذر أخا الجهل بما قاله ... فنظمه لم يك بالمبدع
ثم سلام الله يغشاك يا ... شيخ التقى ذي النسب الأرفع
وصلي يا رب على المصطفى ... محمد مع آله أجمع

وله أيضاً في مدح الإمام يحيى:

أما آن أن يسلو بالوصال المتيم ... فقد زاد نائي الحب والشوق يضرم
عسى يسعف المحبوب يوماً بزورة ... على غير وعد والعواذل نوم
لي الله من هذا الحبيب فإنني ... أزيد غراماً وهو بالغير مغرم
أبيت أراعي النجم من عدم الكرى ... فإن قلت رفقاً ظنني أتهكم
بحق الذي أعطاك يا غاية المنى ... جمالاً على أهل الملاحة يحكم
قوامك مثل الخيزرانة لَيِّن ... وعيناك فيها للمحبين أسهم
ووجهك بدر طالع كل ليلة ... وريقك خمر رشفه ليس يحرم
إذا لم تزر فاستر جمالك إنه ... لأهل الهوى ما عشت يا بدر يظلم

ألم تـدر أن العـدل قـد عَـمَّ أرضـنا بعـــصر إمـــام للظلـــوم يدمـــدم
عماد الورى غوث الإنـام الـذي بـه تقهقـر ليـل البغـي فالـشرع محكـم
مجـدد هـذا العـصر فينـا فمـن لـه أراد خـــداعاً فالمـــصير جهـــنم
فمـذ قـام في هـذي الـبلاد خليفـة يلـــم شـــتات المـسلمين ويحـــزم
وساس أمور الناس بالعدل والتقـى وفي كـل علـم لا يجـارَى غطمطـم
صـــبور بـــصير بـــالأمور بهمـــة تسامت على كيوان بـل هـي أعظـم
وأمَّـن هـذا القطـر مـن كـل فتنـة تـــسوء فلـــم يـــسفك بـــساحاته دم
وأخلاقـه طابـت وطـاب كأنهـا دواء لأذهـــاب الهمـــوم ومـــرهم
إذا مـــا رآه بـــاغض زال بغـــضه وعـــاد محبـــاً للإمـــام يعظـــم
سل الترك عنه مـا رأت مـن وقـائع يـشيب لهـا الطفـل الـصغير ويهـرم
وسل (حاشد) ما شاهدت حـين جاءهـا خمـيس مـن القـوم الكـرام عرمـرم
لـك الله مـن كـل المكائـد حـارس فربـك للأعـداء مـا زال يقـصم
إمـام الـورى هـذا الرقيـق أتـاكم محبـاً صـدوقاً وده لـيس يكـتم
لنـا سـلف في ودكـم متمـسك لـــذاك عـــلى كـــل الأنـــام يقـــدم
نلـوم الـذي قـد لامنـا بـودادكم ونهجر ضـدّاً يبتغـي الحبـل يفـصم
ترى الموت أهنأ من مقـال حواسـد لقد أهملوا يـا بـئس مـا قـد توهمـوا
ترفـق بنـا فـالرفق قـد قيـل أنـه عتـــاب وبالجـــاني يـــضر ويـــؤلم
فقد لِذتُ من هـذا الزمـان بظلكـم وشـأنكم الإحـسان أن تتحكمـوا
ألا فـانظروا نحـوي بنظـرة راحـم فمـــثلكم يرثـــي لحـــالي ويـــرحم
وعفواً من التقـصير فالعبـد عـاجز ولولا وجوب المدح مـا فـاه لي فـم
عليـــك صـــلاة الله بعـــد محمـــد مـدى الـدهر مـا طـير غـدا يـترنم

فأجاب الإمام:

أيـا شرف الإسـلام نظمـك رائـق وذهنـــك وَقّـــاد وقلبـــك ضـــيغم
وإنـا نحـب الارتفـاع لكـم إلى قصارى المعـالي والمفـاخر فـافهموا

وقـد فزتمـوا في كـل علـم بـشطره … فيـا حبـذا لـو للأخـير تتممـوا
فـإن كـان مـنكم همـة وعنايـة … فعـما قريـب تنجـدون وتتهمـوا

وقد قصد المترجم له صاحب العلاقة ابن رئيس الاستئناف القاضي العلامة حسين بن علي العمري إلى منزله بصنعاء لزيارته، فحال دون ذلك حاجية النعوس، فكتب إليه معاتباً:

صدّنا عـن لقـاء الـرئيس النعـوس … لا أرى الـصد ترتـضيه النفـوس
كلـما جئـتكم لقـصد سـلام … قـابلتني بـما أروح النحـوس
ليت شعري أصدني موجب الأمـ … ـر أم الـصد كـي تجـيء الفلـوس
أم أراد النعـوس أن جلـوسي … في مقـام الـرئيس بـئس الجلـوس
إن لي همـة علـت وتـسامت … فهـي تـأبى أن تعتليهـا الـشموس
شرف الـدين دمـت فينـا إمامـاً … ذا احـترام فأنـت نعـم الـرئيس
أطلـب الإذن بالـدخول وحاشـا … بعـد هـذا يُحمـى علىَّ الـوطيس
لم أكـن طالبـاً لتقريـر حكـم … لا ولا نقـض مـا بـه التلبـيس
إن عهدي بكـم لكـم شرف الإسـ … ـم خلـقٌ زكـا وطبـع نفـيس

وله هذه القصيدة التي أسماها (نصيحة صدق) وشاركه فيها محمد بن محمد بن زبارة (صاحب نزهة النظر) عندما عقدت المعاهدة بين الإمام يحيى وإيطاليا:

مَـنْ بأعدائـه احتمـى خـذلوه[1] … وعـن الحـق والهـدى حجبـوه
يظهـرون الـوداد جهـراً ولكـن … همهـم أن تمكنـوا خـدعوه
تـارة بالعطـاء وأخـرى بتقريـ … ـب العـداء الماكرين كـي يختلـوه
هكذا الكفر كـل عـصر مـع الأسـ … ـلام والمـسلمين إن خـالطوه
هكذا فعلهـم مـع الـترك والـسلطا … ن عبـد الحميـد إذ واصـلوه
واصـلوه وأظهـروا الـود والتعـ … ـظيم جهـراً وباطنـاً ناصـلوه
هكـذا عـادة العـداة قـديماً … وانظـروا بـالهنود مـا صـنعوه
وبمـصر وبـالعراق وبالـشا … م ومـا بالحجـاز قـد فعلـوه

---

(١) وصدر هذا البيت في بعض النسخ (كم مليك أعداؤه صحبوه).

والشريف الحسين من قبل حين ملك العرب ها هم لقبوه

ثم قالوا الحليف للدول العظمى جميعاً وإنهم عاهدوه

حالفوه وعاهدوه مليكاً لينالوا به الذي أملوه

وحبوه بما يريد ابتداء من سلاح وكل ما حسنوه

وأمدوه بالمدافع والأمـ ـوال والموتر الذي زينوه

ظن جهلاً بأنه نال عزا وبأثواب ذلهم توجوه

فقضى العالمون في شأنه بالشـ ـام والهند بالذي قد قضوه

وقلاه ذوو التقى والنهي والـ ـعلم والفضل بعد أن حالفوه

ثم لما رأوا به بعض عجز واختلاف لما به قصدوه

مَكَّنوا ابن السعود منه قريبا ثم في قبرص هم سجنوه

وكذاك العراق لما أرادوا يبلغون الذي بها قد رجوه

جعلوا فيصلاً أميراً عليها وبأوساخ دينهم نجسوه

وابن إدريس الذي كان في صبيا قريباً على الورى سلطوه

سلطنوا ابنه عليا على من كان قدما بها يحب أبوه

ثم من بعد سلطوا حسن العم على الابن بعد أن رفضوه

ثم جاؤوا بمصطفاهم إلى جيزان إن كيما يقال منه شروه

وكذا بالشآم كم من نكير منكر في بلادها ارتكبوه

كم أمير كان المؤيد للد ين بدين المسيح قد أدخلوه

ولكم أحدثوا خداعاً ومكراً لا يطيق الأنام أن يحصروه

يا إماماً إن النصيحة في الد ين كما قال جدكم فاسمعوه

يا إماماً خذ النصيحة مني هل علمتم بما هم فعلوه

فالنصارى أذلهم ربنا من قبل حين لقطرنا اقتسموه

فبريطانيا لها السهل مع لحـ ـج إلى الشرق هكذا حددوه

ولإيطاليا الجديدة والغـ ـرب وكل الجبال فيما حكوه

والفرنسا نصيبه بعض هذا فرزوه وبينهم عينوه

قد رأينا جرائد قال فيها صدق هذا وإنما كتموه

يــا إمامــاً لــك البقــاء دوامــا ... قــد علمنــا بــما المــلأ نقلــوه
إن إيطاليـــا تريـــد وفاقـــا ... بـــأمور تـــضر مـــن وافقـــوه
وأتـــوا ورشـــة وطـــاروا لكـــيما ... يطمعـــون الإمـــام فـــيما أتـــوه
يطلبـــون الإمـــام فيهـــا فلوســـا ... جمـــة كـــي يقـــال قـــد أفلـــسوه
بـــأمور ضـــعيفة لا تـــساوي ... عـــشر المـــال إن هـــم قومـــوه
أوضـــح الـــضعف للإنـــام بـــصنعاء ... عـــدم الـــسير عنـــد إذ طـــيروه
والهـــدايا بهـــا اســـتمالوا نفوســـا ... في أزال وذاك لـــــم تـــجهلـــوه
مـــا أرادوا بهـــا ســـوى الغـــدر بالـــد ... يـــن وبالمـــسلمين لـــن تنكـــروه
يـــا لهـــا ســـبة وتحفـــة شر ... خلـــدت في الهـــوان مـــن أتحفـــوه
فهـــم يحفـــرون للبئـــر بـــالإبرة ... بـــالله لا تطـــع مـــا حكـــوه
والحكـــيم الحكـــيم لم يحـــسن التعـــ ... ـــظيم للكفـــر فاحـــذروه احـــذروه
فالكتـــاب الحكـــيم قـــال ولـــن تـــر ... ضى وفيـــه البيـــان فـــاتبعوه
ثـــم كـــم آيـــة بهـــا النهـــي لا تتخـــ ... ـــذوا الكـــافرين إن هـــم وعـــوه
والحـــذار الحـــذار يـــا ابـــن رســـول ... الله ممـــن لـــدينا قـــد قلـــوه
كـــم يخوضـــون في وصـــول النـــصارى ... كـــي ينـــالوا جميـــع مـــا أملـــوه
أنـــت بـــالله بالجهـــاد وبالـــسيـ ... ـــف أزلـــت الخنـــا ومـــن شـــيدوه
وحميـــت الـــبلاد مـــن كـــل ضـــد ... أنـــت كالبـــدر عـــز أن يلمـــسوه
أنـــت راع الرعـــاة عـــما قريـــب ... عـــن رعايـــاه لأمـــر مـــا ســـائلوه
أن يـــصح الوفـــاق بالـــدين قـــد عـــا ... د غريبـــاً كـــما بـــدا فـــاحفظوه
وابعـــدوا عـــنهم تعـــزّوا فـــذا التـــا ... ريـــخ حـــاك فمـــن دنـــا رفـــضوه[1]

---

(١) المراجع: نزهة النظر ص ٢٠٥ ـ ٢١٠ باب الحاء المهملة وانظر الموسوعة اليمنية. ومحمد بن محمد يحيى زبارة، من رجال القرن الرابع عشر، ج ١، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٩٧٩م؛ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

الإرياني (حسين بن عبدالله بن علي)

(١٢٦٥ - ١٣٤١هـ/١٨٤٩ - ١٩٢٢م)

القاضي العلامة الأديب حسين بن عبدالله بن علي الإرياني.

مولده سنة ١٢٦٥هـ. وأخذ العلم عن القاضي العلامة يحيى بن علي الإرياني وعن السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل. وعن السيد سليمان بن محمد وعن السيد داود حجر وعن السيد أحمد زيني دحلان وغيرهم، وأجازوه إجازة عامة. وكان متفنناً وله ذكاء وفطنة وله شعر حسن.

وتولى القضاء في ناحية «النادرة» وفي «خبان» أيام الإمام المتوكل على الله يحيى هاجر مع أخيه علي بن عبدالله إلى القفلة سنة ١٣١٦هـ وقد همَّ الوالي حسين حلمي بحبسهما بسبب ظهور قصيدة منهما في تهيج الإمام على منابذة العثمانيين. وكانت وفاته في هجرة إريان في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ.

قال العلامة علي بن عبدالله:

وردت من الصنو العلامة حسين بن عبدالله الإرياني بعد عزمه من شريف المقام لزيارة الأقارب والأرحام في شهر رجب سنة ١٣١٨هـ، هذه الأبيات:

ذكر الأحباب بالجزع فهاما ... وصبا شوقاً ووجداً وغراما

مستهام كاد من طول النوى ... تضرم الأحشا جوىً منه اضطراما

حادي الأظعان عَرّج بالحمى ... حيث غزلان الحمى ترعى الخزامى

ثم حَيّ الحي سادات الورى ... وحماة الدين إن جئت السلاما

لم يطب لي العيش مذ فارقتهم ... لا ولا طابت لياليناا المناما

أيها العذال عني قصروا ... كيف أخشى في جواري إن أضاما

مع إني صرت جاراً للذي ... جاره أعلى جواراً واحتراما

عين آل المصطفى أهل النهى ... من بأمر الله والإسلام قاما

ومنها:

ذلـــت الأبطـــال مـــن ســـطوته فهـــو المـــوت إذا هَـــزَّ الحـــساما

وهـــو الغيـــث لمـــن رام النـــدى فنـــداه الجـــم قـــد عـــمَّ الأنامـــا

باســـمه تنطـــق أطـــراف القنـــا وسـيوف الهنـد إن تخشى الملامـا

مـن رقـى في المجـد أعـلى رتبـة فهـو في كـل المعـالي لا يـسامى

وهـو المنـصور إن لاقـى العـدى في الـوغى مَـزّق أجـساداً وهامـا

يـا إمـام العـصر يـا غـوث الـورى يـا عـماد الـدين يـا ملجـا اليتـامى

أنـت للملهـوف حـصن مـانع إنـك البـدر إذا يخـشى الظلامـا

فعلـــيكم كـــل وقـــت دائـــماً التحيـــات ابتـــداءً واختتامـــا

وأجاب عليه المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين في التاريخ (المذكور) بهذه القصيدة:

حرك الأشجان من بـالجزع هامـا وروى في الحـب نثـراً أو نظامـا

مـسندات لـيس يـروي مـن سـلا بـل ولا المعـضل خفـاً أو سـناما

شرف الإسـلام خريـت القـضا مـاهر بـالحكم لا يخـشى صـداما

جمـــع الآداب أحـــصى عـــدها بفنـــون حـــاز كهـــلاً وغلامـــا

صـاغ شـعراً مـن لجُـين راويـاً لأحاديـث الهـوى مهـما تعـامى

مـا الأثـيلات ومـا غيـد الحمـى مـا اليعـافير ومـا زهـر الخزامـى

مـا الجـواري ومـا لـيلى ومـا غنجـة المحبـوب دلاً وابتـساما

إنـــما هـــام لأمـــر موجـــع مفـزع للطفـل ينـسيه الفطامـا

هـــام للإســـلام لمـــا كـــدرت صفوه الترك فمن يـروي الأوامـى

ومنها:

كـــم غنـــي أفقـــروه بعـــدما	كـان عنـد النـاس كهفـاً لليتـامى
ولـــذا أوجـــب خـــلاّق الـــورى	حـربهم مهـما طغـى الكفـر وطامـا
فــــسمعنا وأطعنـــا ربنـــا	وأذقنـا الكفـر جرحـاً وورامـا
قـــسماً بالـــدهم في عثيرهـــا	راكـضات يمنـاً منهـا وشـاما
لأذيـق العـرب والعجـم طـلا	مـرة تعـشق أعناقـا وهامـا
وتمـــور الأرض مـــوراً بالـــدما	ثـم لا تنبـت عـشباً وخزامـى
وينـــادي الحـــق بـــالويلات إذ	عـاد خُفّـا بعـد أن كـان سناما
وتـــرى أبـــدان قـــوم ســـمنت	هـازلات فارقـت أكـلاً حرامـا
أو يجيبـــوا داعـــي الله كـــما	قـد أجـابوا داعـي الكفـر لزامـا

وقد امتحن صاحب الترجمة بوفاة ابنيه حمود بن حسين ومالك بن حسين في حياته.

وقد رثاه القاضي العلامة يحيى بن محمد بأبيات مستهلها:

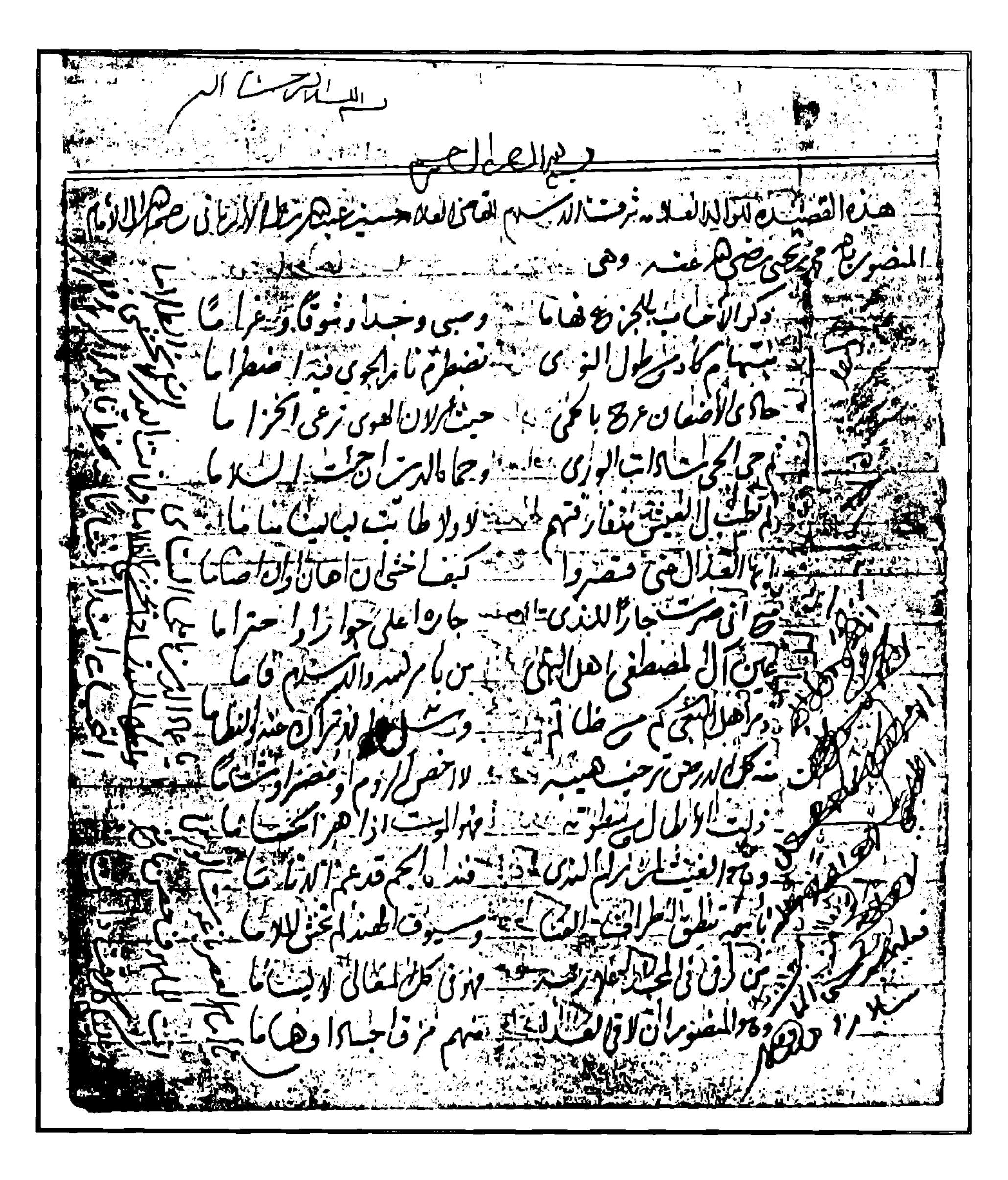
الـدهر ذو غـيرٍ عـلى الإنـسان	والنائبـات كثـيرة الأحـزان

ومنها:

يـا دهـر لا نـدري حقيقتـك التـي	قـد حـاز عـن إدراكهـا الـثقلان
هل أنت من ضرب الخيالات التي	مـا إن لهـا في العقـل مـن وجـدان
أم أنــت موجــود وأنــا بعــد ذا	نـدري الحقيقـة في الوجـود الثـاني
أم نحـن نُـوّام ويقظتنـا الـردى	يـا للعقـول لنـائم يقظـان
يا دهر ما أقسى فعالـك في الـورى	أكـذا خلقـت وأنـت أعظـم جـاني
أكـذاك تخـسف بالبـدور منـيرة	خـسفاً تواريهـا عـن الأعيـان
أوديت شمس العـصر مـن بعلومـه	وكمالـه افتخـرت بنـو الإريـاني[1]

---

(١) نزهة النظر ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٥، والأوراق الخاصة لأستاذنا القاضي الإرياني.

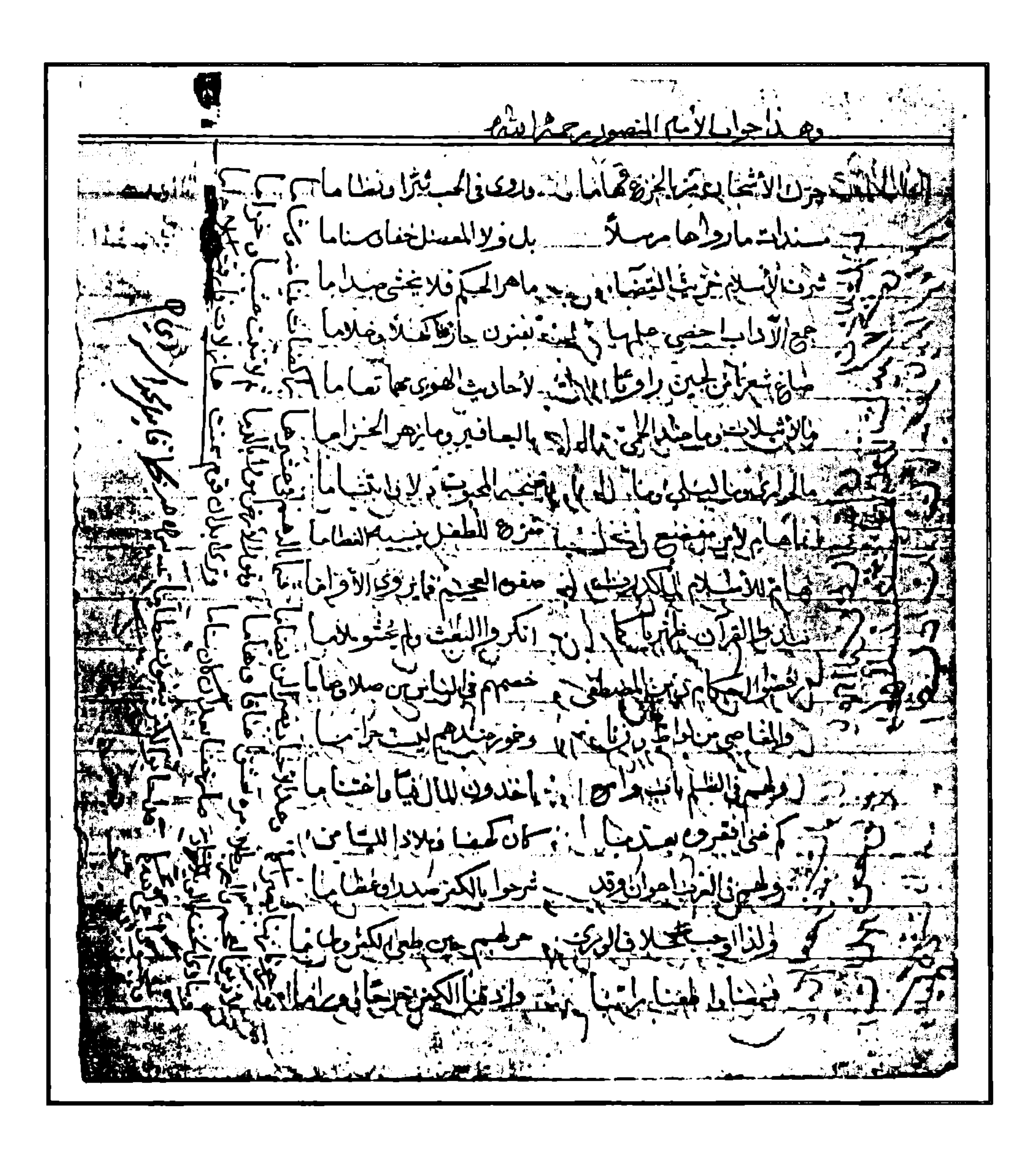

هذه القصيدة للوالد العلامة شرف الإسلام القاضي العلامة حسين بن عبد الله بن علي الأرياني ... المنصور بالله محمد بن يحيى رضي الله عنه وهي

ذكر الأحباب بالجزع فهاما — وصبى وجداً وشوقاً وغراما

مستهاماً كاد من طول النوى — تضطرم نار الجوى فيه اضطراما

حادي الأظعان عرج باللوى — حيث غزلان الهوى ترعى الخزاما

قصيدة للمترجم له (حسين بن عبد الله بن علي الأرياني) ـ من مجموعة المؤلف المخطوطة ص١.



قصيدة للمترجم له (حسين بن عبد الله بن علي الأرياني) ـ من مجموعة المؤلف المخطوطة ص٢.

الإرياني (حمود بن حسين بن عبدالله)

(١٢٩٤ - ١٣٣١هـ/ ١٨٧٧ - ١٩١٢م)

القاضي العلامة حمود بن حسين بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن الإرياني اليمني السيفي. مولده في ذي الحجة سنة ١٢٩٤ أربع وتسعين ومائتين وألف بوطنه هجرة إريان. وأخذ عن والده وغيره. وتفقه، ونظم الشعر، وكاتب جماعة من الأعلام وكاتبوه.

مفاخرة أب وجبلة

ولما عزم في سنة ١٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة وألف لزيارة السادة الأماجد الفضلاء آل المتوكل بمدينة جبلة ومدينة إب من اليمن الأسفل حرر هذه الأرجوزة اللطيفة في المفاخرة بين المدينتين، وقد ذكر فيها أسماء بعض البساتين ونحوها في المحلين فقال:

يقول راجي العفو والإحسان ... حمود الشهير بالأرياني

نجل حسين نجل عبد الله ... لا زال محفوظاً بعين الله

الحمد لله الذي هداني ... إلى بحور الشعر والبيان

وكان من دأب ذوي الألباب ... أن يسبحوا في أبحر الآداب

وينظموا في أبدع المعاني ... فيما يريدون من الأفنان

وإن مما مَنَّ فيه ربي ... المشي نحو جَبْلة وإب

زيارة للسادة الأعلام ... آل النبي النُجَبا الكرام

فقلت أبياتاً حَكَت مفاخره ... وإن تكن بذي المعاني قاصره

لما وصلنا وانتهى بنا السفر ... إذ شنّف الأسماع طيّب الخبر

لسان حال (جبلة) يقول ... فخراً على (إب) به يطول

بأنها مدينة مشهورة ... وهي بفضلها غدت مذكورة

وإن فيهــــا جامعـــــاً منــــيرا ... وكــــان حقــاً يــشرح الــصدورا
وإنهـــا حُفّـــت بنهـــري مــــاء ... يجلي بهــا القلــب مــن الــصداء
مـــا مثلهـــا في المـــاء والهـــواء ... أعيــــذها بــــالله والأســــماء
مــا مــصر مــا بغــداد مــا أزال ... لــيس لهــا في حــسنها مثــال
مـــا هـــي إلا روضـــة نـــضيره ... زاهـــــرة بديعـــــة منــــيره
هواؤهــا لــيس لــه مــن ثــاني ... زينهـــا الــــزراق والنهـــران
لـــو قيـــل إن المـــاء فيهـــا يفـــضل ... مـــاء الفـــرات كـــان قـــولاً يعـــدل
لأنـــه المـــاء الخفيـــف الـــصافي ... كأنــــه لآلــــئ الأصـــــداف
فيهـــا مـــن القـــات الكثـــير جـــدا ... في ذلـــك (الطويـــل) لـــن يعـــدا
فيهـــا مـــن الأشـــجار كـــل صـــنف ... والـــبن والرمـــان يـــا ذا اللطـــف
فـــسمعت (إب) لمـــا قـــد قالـــت ... في فخرهـــا ومـــا بـــه استطالت
فأعلنـــت بـــالقول والمخاصـــمه ... وأفـــصحت بالقـــدح والمـــشاتمه
تقـــول ســـمعاً للـــذي أقـــول ... فكـــل قـــول (جبلـــة) فـــضول
فـــإنني فقـــت جميـــع المـــدن ... في الـــروم والـــشام وأرض الـــيمن
لـــو لم أحـــز بالفعـــل غـــير (الـــواكزة) ... لكنـــت للمجـــد جميعـــاً حـــائزه
(حـــول حمـــام) جـــامع الأشـــجار ... مـــن كـــل نـــوع طيـــب الـــثمار
كـــالتين والأجـــاص والرمـــان ... والـــبن والميـــاه مـــن (بعـــدان)
يـــأتي إلى (مـــشنة) لطيفـــه ... بديعـــــة ظريفـــــة شريفــــه
يـــبرد في الـــصيف وفي الـــشتاء ... لأننــــي طيبــــة الهـــــواء
كـــذا ترفعـــت عـــن الأســـقام ... فـــلا تـــرى الآلام في مقـــامي
ينظـــر منـــي كـــل مـــن في الـــوادي ... مـــن كـــل رائـــح وكـــل غـــادي
حَصّنت نفسي من رجال (المشرق) ... لم أخـــش مـــن مـــدفعهم وبنـــدق
لأننـــي حـــصن منيـــف عـــالي ... فقـــت بكـــل هـــذه الخـــصال
وأنني مـــن فـــوق (أرض خـــضرا) ... شـــبه عـــروس ذات نهـــد عـــذرا

يـــسندس مطـــرز معروشـــه جناتهـــا جميعهـــا مفروشـــة

فيها من الروض البديع المستطاب مـــا راق للنـاظر فيـه ثـم طـاب

قـد ضـحكت في سُـوحها الأزهـار وهملـــت بأرضـــها الأمطـــار

فـــما تقـــولين بهـــذا الوصـــف وأنـــت ذات ركـــة وضـــعف

قـد خربـت منـك البيـوت العاليـه وصرت مـن بعـض الأمـور خاليـه

فعنـــد ذاك جبلـــة تأوهـــت لمـا مـن الفخـر بـه تفوهـت[1]

وأنـشدت مـن غـير ريـث عجـلا مفـــصحة معلنـــة بـــين المـــلا

بأنهـــا حقيقـــة بالـــسبق يعـــرف هـــذا كـــل أهـــل الحـــق

وإنهـــا ذات ريـــاض نـــضرة وبهجـــة للنـــاظرين خـــضره

قـد حرسـت (بـالتعكر) المنيـف وشُرِّفــت بــأعظم التــشريف

تقـــول إني منـــزل الكـــرام مـــن آل هاشـــم بنـــي الأعـــلام

وإننـــي بالـــدين قـــد حميـــت وببنـــى المختـــار قـــد ســـموت

وبعـــد أن تحـــاورا واختـــصما اصـــطلحا بـــأن يكـــون الحكـــما

بيـــنهما نجـــل الكـــرام العلـــما النجبـــاء الأذكيـــاء الحلـــما

العـــالم العلامـــة الجليـــل نجـل الإمـام الفـذ (إسـماعيل)

كـــذاك ذو الفـــضل وعـــين الآل العـــالم العلامـــة (الجـــمالي)

ابـن الحـسين ابـن الإمـام أحمـد أهـــل المعـــالي والعـــلا والـــسؤدد

مـــا قـــضيا فيـــه فـــلا يزيـــف فإنـــه الحكـــم الـــصحيح المنـــصف

وكفّـــلا عـــلى الرضـــا بـــالحكم ثـــم الـــصلاة للنبـــي الأمـــي

محمـــد وآلـــه الأخيـــار مـــا غَنَّـــت الأطيـــار في الأشـــجار

أراد بقوله إسماعيل بن أحمد بن يحيـى المتوفى سنة ١٣٣١ إحدى وثلاثين، وبالجمالي حاكم جبلة الوالد علي بن حسين (رحمه الله).

---

(١) يعني: إب.

قال ابن زبارة: «ولما اجتمع بمقام إمام العصر المتوكل على الله يحيى أيده الله بمحروس قفلة عذر في محرم سنة ١٣٣٠ جماعة من نبلاء العصر منهم صاحب الترجمة والقاضي يحيى بن محمد والقاضي محمد بن يحيى الأرياني والوالد عبد الوهاب بن أحمد الوريث والصنو إسماعيل ناصر الدين المروني والقاضي يحيى بن أحمد السماوي كتب إليهم الأخ يحيى بن محمد بن الهادي المدايري ـ وكان بمقام الإمام ـ مفاكهاً لهم قصيدة منها»:

إلى سيدي عبد الإله بن أحمد ... ونجل الإمام القاسم بن محمد
ومولاي إسماعيل يا خير لابس ... لثوب المعالي بل ويا خير مرتدي
ونجل حسين ذي المعالي حمودنا ... ويحيى عماد الدين نجل محمد
وعز الهدى نجل العماد وحبرنا ... عماد الهدى والدين يحيى بن أحمد
جعلت فداكم إنني كنت عارفاً ... بما قد خصصتم من معالي وسؤدد
وكنت أنادي الله ربي سائلاً ... يريني وجوهاً زينت كل مسجد
فمنَّ بإخوان كرام لقيتهم ... أتت بهم الأقدار من غير موعد
وعما قريب ترحلون وأنتم ... جلول فؤادي بل وغاية مقصدي
فبالله لا تنسوا العهاد فإنه ... هو الشرع ما بين المحبين عن يد

فأجاب صاحب الترجمة وآل الأرياني المذكورين بقصيدة منها:

أعقد جمان أم فصوص زبرجد ... أم اللؤلؤ البحري على نحر أغيد
أم الروضة الغنا بها الزهر باسم ... بسندس أشجار تجلت بمسجد
أم السحر أم نظم الهيام أخ الندى ... عماد العلي يحمي سليل محمد
إليك جواباً من غريب وعادة ... الغريب لنظم الشعر ليس بمنشد

وأجاب عبد الوهاب بن أحمد الوريث بقصيدة منها:

وزائرة يوماً على حين غفلة ... وما خلتها إن بالزيارة تبتدي
وقد كنت أهوى أن يلمّ خيالها ... بذي مقة أحشاؤه في توقد

فياما أحيلى وصلها لمتيم حليف هموم ذي بعاد مسهد
شفت بلقاها موجعاً بفراقها وقالت أتيناكم على غير موعد
فقلت لها أهلاً وسهلاً فإنني أرى وصلكم بالقطع غاية مقصدي
فَمُنّى على ذي لوعة بإقامة يزول بها كرب به كنت أرتدي
فما بخلت لما رأتني بحبها أبوح على رغم العدو المفند
وأرخت نِقاباً كان ساتر حسنها فأبدت لنا بدراً بخدٍ مورد
فما زال في روض الجمال مقيلنا على عفة فيها لنا غير مقعد
تشنف أسماعي لآلى حديثها كما شنفت يوماً بنظم ممجد

وأجاب إسماعيل ناصر الدين بقصيدة منها:

أنظم لآلى أم عقود زبرجد وما ذيُّ شهد أم سلافة خرد
ونغمة طير يخجل الطير شدوها فتسقط سكرى أم نظامك سيدي
فإن رحلت عن ذا المقام رحالنا فقلباً إلى قلب كجند مجند
ولا بد من ذكرى العهاد فإنه حياة وداد في قلوب مخلد

وأجاب القاضي يحيى بن أحمد السماوي بقصيدة منها:

أنظم عقود أم جمان منضد تهادى إلينا في ترائب خرد
وهيهات إن القرب إن كان مفرطاً ليمنع ذا قرب كبعد المبعد

ومات المترجم له في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٣١ إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف في بلاد الشعر، وكان والده حاكماً عليها، فنقله لدفنه بوطنهم هجرة أريان.

وقد رثاه والده بقصيدة منها:

صبراً لأمر الله صبرا لو صار في الأحشاء جمرا
ورضى بما حكم الأله وإن لدمع العين أجرا
علامة العصر التقي من في المعالي صار بدرا
أعني حمود بن الحسين حاوي فنون العلم طرا

قـــد فَتَّـــتَ الأكبـــاد إذ حملـــوا عـــلى الأكبـــاد بحـــرا

ورثاه القاضي العلامة يحيى بن محمد بن عبدالله الأرياني بقصيدة منها:

حمـود بـن الحسين ومـن لـه في بنـي آبائنـا النـسب الرفيـع

عليـه فنـون علـم الـشرع تبكـي بعـينٍ دمعهـا غيـث همـوع

فمـن للعلـم بعـد وفاتـه مـن يبـين مُـشْكلا مـن يـستطيع

أيحيـي بعـده يحيـى بعـيش يلـذ وقـد ثـوى البـدر المنيـع[1]

القاضي عبدالله بن علي الأرياني

(١٢٠٢ - ١٢٧٥هـ/ ١٧٨٧ - ١٨٥٨م)

القاضي العلامة عبدالله بن علي بن علي بن حسين الإرياني مولده بهجرة إريان في المحرم ١٢٠٢ وأخذ عن علماء عصره وأجازه القاضي محمد بن علي الشوكاني وكان صاحب الترجمة عالماً جليلاً تولى الحكومة بمدينة يريم للمتوكل أحمد بن المنصور علي وسار في القضاء سيرة حسنة واجتمع فيها بالقاضي محمد بن علي الشوكاني وجرت بينهما مباحثات علمية ومات صاحب الترجمة في حصن إريان رابع صفر ١٢٧٥[2].

---

(١) أئمة اليمن ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٥.

(٢) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن لمحمد بن محمد بن زبارة الحسني اليمني الصنعاني، ج ٢، ص ٨٨ رقم ٢٩٩، القاهرة ١٣٥٠هـ.

الإرياني (عبدالله بن محمد)

(١٣٣٥ - ١٣٨٥هـ/١٩١٧ - ١٩٦٦م)

هو عالم وأديب وسياسي، ولد في حصن ريمان (إريان) من بلاد إريان في محافظة إب. أخذ العلم عن شيخه العلامة يحيى ابن محمد الإرياني رئيس محكمة الاستئناف العليا آنذاك وغيره من المشايخ. توفي والده سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م وهو لم يزل في السابعة عشرة من عمره، غير أنه كان قد بلغ شأواً من التعليم والفقه والنحو والبلاغة وأصول الدين.

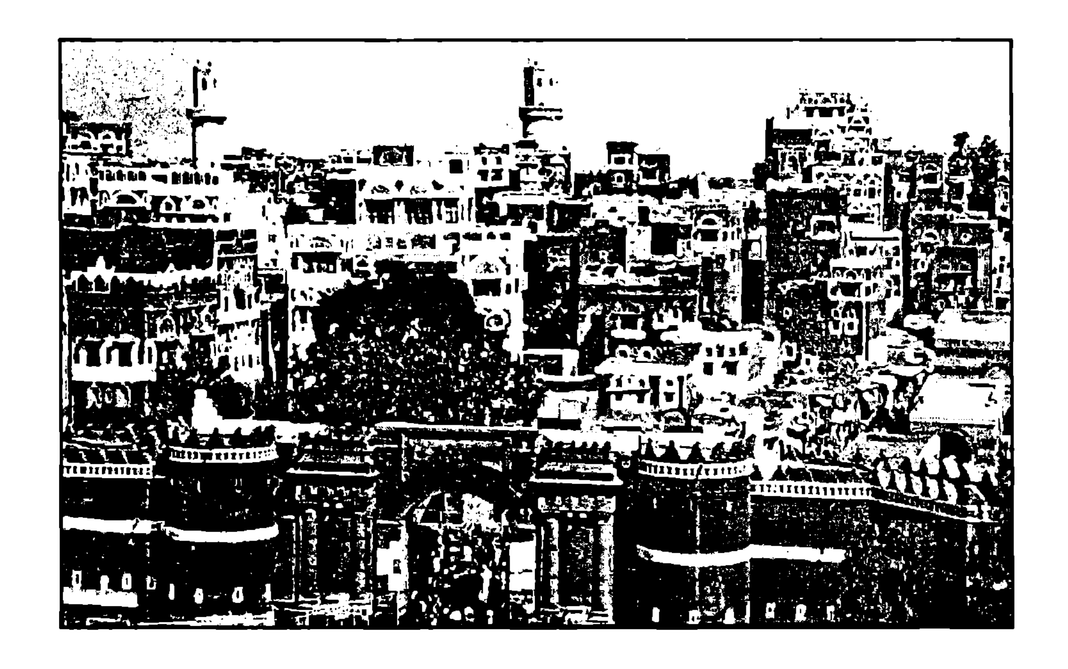
انتقل من بلدته (إريان) إلى مدينة صنعاء، وهناك واصل تعليمه واجتمع مع زملائه القاضي عبد الرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري فيما بعد وأحمد عبد الرحمن المعلمي وأحمد المطاع وأحمد الوريث وغيرهم. ثم ما لبث ولي العهد أحمد أن أعاده في سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م إلى تعز وقَلّده منصب حاكم منطقة شرعب، وقد ساعده وجوده في تعز على الالتقاء بزملائه الأحرار الذين جرت بينهم وبينه مساجلات أدبية فيما يسمى بالبريد الأدبي، وله نماذج كثيرة من الشعر بالفصحى والعامية. وكان قد شارك في تأسيس جمعية الإصلاح أو جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مدينة إب.

وكان له دور مشهور في ثورة ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ، فقد سعى إلى تأليب قبائل المناطق المجاورة لمدينة تعز لمنع عودة ولي العهد أحمد إليها، إلاَّ أن نجاح الإمام أحمد في القضاء على الثورة في صنعاء واعتقاله لزعمائها، قد أفشل خطة الإرياني فألجأه ذلك إلى الاختفاء لدى قبائل منطقة الزغارير، وعبثاً حاولوا إخفاءه، فعاش عقب الثورة وضعاً قلقاً صاحبه تهديد الإمام ووعيده.

تقلب الإرياني في مناصب إدارية وقضائية هامة في فترة ما قبل الثورة كان آخرها رئيساً لهيئة القضاء الشرعي العام.

وبعد قيام الثورة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م/ ٢٦ ربيع الآخِر ١٣٨٢هـ، كان محل ثقة واحترام الثوار، ولعب دوراً رئيسياً في تأسيس النظام الإداري، وكان مرجعاً للرأي الصائب والنصيحة الصادقة، وقد تقلد مناصب رئيسية كان آخرها وزيراً للإدارة المحلية وقائماً بأعمال رئيس مجلس الوزراء ونائباً لرئيس الجمهورية والقائد العام.

استشهد وهو يؤدي واجبه الوطني في مكتبه بوزارة الإدارة المحلية، وكان يومذاك يقوم بمهام رئيس الوزراء، بأربع طلقات من مسدس رجل يدعى (عبد الوهاب الوشلي) في ١٣ إبريل ١٩٦٦م/ ٢٠ ذي الحجة ١٣٨٥هـ وعمره خمسون عاماً[1].



(١) عن ياسين أحمد التميمي. ومراجعه: أحمد عبد الرحمن المعلمي: شهيد الوطن القاضي العلامة عبدالله بن محمد يحيى الإرياني، سفيان البرطي: شهداء الثورة. الموسوعة اليمنية ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

الإرياني (عقيل بن يحيى)

(١٣٢٤ ـ ١٣٤٦هـ/١٩٠٦ ـ ١٩٢٧م)

القاضي الأديب النبيل عقيل بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين الإرياني مولده بهجرة إريان في شهر رمضان سنة ١٣٢٤هـ أربع وعشرين وثلاثمائة وألف وأخذ عن والده وبصنعاء عن السيد العلامة عبد الخالق بن حسين الأمير وغيره وكان نبيلاً أديباً شاعراً فصيحاً وقد وفد إلى صنعاء في شهر ربيع الآخر ١٣٤٥هـ خمس وأربعين وثلاثمائة وألف في شأن ما كان بين والده القاضي العلامة العماد وبين الشيخ محمد بن إسماعيل باسلامة محافظ لواء إب وأنشأ بصنعاء قصيدة قدمها إلى الإمام يحيى ومستهلها:

أبِقولِ الوشاةِ والأعداءِ ... وبأقوال الزور والافتراء

صرتُم تجنحون عنّا وترضَوْ ... نَ لنا بالهوان بين الملاء

وصدفتم عنّا وها نحن لم نَصْـ ... ـدِفْ يقيناً عن ودكم والولاء

مذ تبدى إعراضُكُمْ قلت قولاً ... سبقتني إليه شمس النساءِ

ليتني متّ قبل هذا فما لي ... وحياة يرضى بها أعدائي

يا لودٍّ يكون آخره الهُوْ ... نُ وحبٍّ يقود جيش العناء

آه ما للأحباب عنّا أمَالَتْهُمْ ... فمالوا عواصفُ الإغراءِ

أيظن الأحباب أني أغض الـ ... ـطرف من فعلهم على الأقذاء

لا ومن صيّر الخليفةَ كهفاً ... وملاذاً لكافةِ الضعَفاءِ

وله:

قلت للصاحب الذي جاء يشكو ... فقره والذي به من عناء

عش إذا كنت معدماً أو فقيرا ... قانعاً فالقنوع (نصف الغناء)

وقـــال:

إن أردت النجـــاة يــوم التلاقـــي ... راغبـــاً أن تفـــوز بالجنّـــات
فالـــصلاة الـــصلاة لازم عليهـــا ... خاشعاً فالخشوع (نـصف الـصلاة)

وله في قهوة البن:

قهـــوةُ بُـــنٍّ قـــد أتتنـــا بهـــا ... جاريـــةٌ تـــزري بِحُـــوَرِ الجنـــانْ
كأنهـــا والمـــصتكَى خَـــدُ مـــن ... أهـــوى وقـــد نُقِـــطّ بـــالزعفرانْ

وله في الجناس:

ظبـــي قـــد تباخـــل بـــالجواب ... كـــأن لم يـــدر مـــا فعـــل الجـــوى بي
إلى بحـــر الهـــوى هـــا قـــد رمـــى بي ... ولم يـــدر المهفهـــف قـــدر مـــا بي

وله في تشبيه الثغر:

لله (قـــــات) قـــــد أتـــــى ... اصـــــفر مثـــــل الكهـــــرب
كـــــأنها أغـــــصانه ... مـــــراود مـــــن ذهـــــب
قـــد عـــاد لمـــا صـــار في ... ثغـــر الغـــزال الربـــرب
يحكـــــي لنـــــا زمـــــرّداً ... يـــــذوب بـــــين الحَبَـــــب

وقال مشبهاً لثمرة البُن على أغصانه:

بروحـــي بُـــنّ أحمـــر قـــد بـــدا عـــلى ... غـــصون لـــه مالـــت كقامـــة أغيـــد
يُرِيـــك إذا مـــا جئتـــه متفكـــراً ... فـــصوصَ عقيـــق في قنـــاة زبرجـــد

وقال وقد وقف على قول الإمام يحيى بن حمزة بجواز النظر إلى الأجنبية:

أردد طـــرفي في وجـــوه كأنهـــا ... بدور بدت من تحت أذيـال ظلمـة
وأمنـــع نفـــسي عـــن هواهـــا وإنـــما ... أنـــزه في روض المحاســـن مقلتـــي
فـــإن قيـــل لي هـــذا حـــرام أجبـــت ذا ... على رأي مولانـا الإمـام ابـن حمـزة

وقال:

يـــا مـــن يُـــسوِّدُ شـــعراً ليــــستر الـــشيب عنــــا
أمــــا ســــمعت مقــــالا مـــن غَـــشّنا لـــيس منــــا

وله مكاتبات كثيرة إلى والده القاضي العماد وغيره وقد طلب من والده في بعض قصائده الإجازة المعروفة بين أهل العلم فقال:

يا خير من حمل العلوم وخير من في وجهــه سر الفــضائل تــبرق
بك روضة الإحسان باكرها الحياد وغـروس أنـواع المحاسـن تفتـق
علمتني صوغ القريض فإن أصغ عقد المديح فمن بحارك أنفق
فلئن مدحتك سيدي بقصائد يغنـي الزمـان وذكرهـا لا يخلـق
مدحاً يجر على (جرير) ذيله وببحـره ذاك (الفـرزدق) يغـرق
إنّي لأرجـو مـن عـلاك إجـازة في الـشعر عـلّ بهـا مقـالي ينطـق
وكـذلكم بـاقي العلـوم فإنهـا مـن بحـر علمـك دائـماً تتـدفق
ولتبـق في حفـظ الإلـه فللعـلا والمجـد روح مـا بقيـت ورونـق

وقد أجابه والده القاضي العماد يحيى بن محمد الإرياني بقوله مجيزاً أو مسعفاً:

أرياض نظم بالفصاحة مورق ريُّ الغـصون ونهـره يتـدفق
أم غـادة مختالـةٌ بجمالهـا كالبـدر حـال تمامـه إذ يـشرق
أم سحر بابل كان منا آخذا كـل القـوى فهـو القـوي الموثـق
أم عقـد در نُظِّمـت أسـماطه شـعراً كـما شـاء البيـان المطلـق
لمـا قـرأت نظامـه أحسست رو ح الكهرباء غدت بجسمي تعلق
فيه بلاغات المعاني قد غدت تـسبي كـما يـسبي العقـول معتـق
لله درك يـا (عقيـل) فـإنما أبـديت نظـماً بالفـصاحة معـرق
لو جاء في ماضي الزمان لكان في البيت العتيق على اليمين معلق
فلقد أجزتك يا ضياء وإنني بـاعي قـصير بالمعـارف ضـيق
إني لأرجو الله أن تحظى بميدا ن العلـوم وأنـت فيـه الأسـبق
فاحرص على طلب العلوم بهمة تـسمو عـلى العليـا فأنـت موفـق

واهجـر لهـا مـا تـشتهي فـالخير في ... تحصيل مـا ينجـي الرجـال محقـق
واتبـع طريـق المـصطفى في هديـه ... والـبس رداء ثوبـه لا يخلـق
واحـذر مـن التقليـد فهـو ضـلالة ... وعمايـة لـذوي الجهالـة موثـق
وهـو الـسبيل لأصـل كـل ضـلالة ... وجهالـة لذويـه أضـحت تخنـق
وكـلام رب الخلـق ثـم رسـوله ... أوفى لنـا بالاتبـاع وأوفـق
والله أكمـل دينـه بكتابـه ... ثـم الحـديث لكـل ذاك يـصدق
انظر إلى سـلف الهـدى هـل قلـدوا ... أحـداً سـوى المختـار فـيما ينطـق
وعليـك يـا ولـدي بتقـوى الله نعـ ... ـم الطـوق ذلـك إذ بـه تطـوق
وازهـد فـما الـدنيا بـدار إقامـة ... واسلك سـواحلها فهـا هـي تغـرق
لا تجعـل العلـم الـشريف كَـسُلّم ... للـرزق فـالله الـذي لـك يـرزق
هـذا وأوصـيك الـدعاء فـإن لي ... ذنبـاً عظـيماً شـابَ منـه المفـرق
ثـم الـصلاة عـلى النبـي وآلـه ... والصحب في ختم القـصيدة يعبـق

ومن شعره ما كتبه إلى ابن زبارة صاحب كتاب (نزهة النظر) وهو بصنعاء في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ وبعث بها إليه وهي كما جاءت:

بـدت تتهـدى في المـلا رَبَّـةُ العقـد ... فأطرقت الأغصان خوفاً مـن القـدِّ
ألـمّـت فـما حَيّـت أسـير غرامهـا ... فلله مـا أخفـى هنـاك مـن الوجـد
ومـرّت كـأن لم تجـر بينـي وبينهـا ... امـور ولم تمـزج لي الـرّاح بالـشهد
ولم أرتـشف مـن ثغرهـا أي خمـرة ... ولا بتّ أجني الورد من روضة الخد
ولا أقبلـت تحـت الظـلام عـشية ... مخافـة واش يبتغـي عـدم الـود
ولم تـشك آلام المحبـة والجـوى ... إلي ولا بتنـا ضـجيعين في بـرد
لئن نقضت عهـدي عقيلـة قومهـا ... فكـل الغـواني لا يُـدِمنَ عـلى عهـد
وكل الغواني تمـزج الوصـل بـالقلى ... وكل الغواني تتبـع الوصـل بالـصد
خلعت هواها مذ رأيـت صـدودها ... وكيف أود اليوم من يشتهي بعـدي
إذاً لا عَـلا كعبـي ولا عـزَّ جـانبي ... ولا في العلى والمكرمات ورى زندي

ولا فقــت أبنــاء الكــرام نباهــة ... ولا كنت فيهم كعبة المجد والجد
ولا سحرت كل العقول بلاغتي ... ولا كنت في الكتّاب واسطة العقد
ولا صرت فيها اليوم أشعر أهلها ... يشيرون نحوي بالبنان إذا أبدي
ولا دمت ما دامت حياتي مغرماً ... بحب الذي في كفه راية المجد
سراج بني الغبرا وإكليل تاجهم ... وعرنينهم بدر العلا صادق الوعد
خضم الندى عز الهدى من علت بهم ... فضائل أخلاق تجل عن العد
إذا ما ذكرنا في المجالس وصفه ... شممنا عبير المسك والطيب والند
صفت جوهراً أوصافه وصفاته ... فلم يبق فيها من مقال لذي نقد
له كلم من دونها الخمر لذة ... له قلم من دونه مرهف الحد
إذا كنت يا عز الهدى لك عائباً ... فبالعلم والعليا والمجد والزهد
فكل نعيم كان أو هو كائن ... فنظرة طرف منك تعدله عندي
أعز الهدى أن الليالي بحكمها ... على أهلها زاغت عن الحق والرشد
فكم رفعت نذلاً وكم خفضت فتى ... سما في اكتساب المكرمات من المهد
رماني زماني بالخطوب أمرها ... فما أوهنت عزمي ولا فللت حدي
صبرت لها والصبر ليس بهين ... ولكن قلب الحر كالحجر الصلد
فيا زمناً أضحى به العَيْرُ حاكما ... على مثلنا ممن رقى صهوة المجد
إلى الله أشكو جورك اليوم أنه ... هو الحَكَمُ العدل الذي جلّ عن ضد

ومنها:

أعزّ الهدى قُل للإمام الذي إذا ... رحى الحرب دارت كرَّ كالأسد الورد
الأقله إن المعالي بكت على ... بنيها بدمع فاضَ سيلاً على خد
ولا زلت يا ابن المجد في خير عيشة ... وفي حُسنِ حال راقياً ذروة المجد

وكانت وفاته عن واحد وعشرين عاماً في ربيع الآخر ١٣٤٦هـ سبتمبر ١٩٢٧ وله أثر مكتوب بعنوان: «القول الممتاز في علاقات المجاز» كتبها بعد أن استجاز من القاضي يحيى بن محسن العنيسي.

وكانت الفجيعة بفقده كبيرة لصغر سنه ومواهبه الكثيرة فرثاه والد بقصيدة منها:

أتراه حقاً قد قضى بدر الهدى ... وخبا سنى العلياء فَبُتُّ مسهدا
أتراه مات من الفنون بموته ... ماتت وصارت دارسات سرمدا

ومنها:

أبكيك لا أنساك كل عشية ... حتى أُرى بين التراب موسدا
يا نفس صبراً للقضاء تأسياً ... وتعزياً بالصالحين ذوي الهدى

هذا ما استفدته من (نزهة النظر)[1]، وله رحمه الله قصيدة هنأ بها أخاه الوالد القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني عند اقترانه بالسيدة الفاضلة لطيفة ابنة القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد المعلمي في سنة ١٣٤٤، وفيها يقول:

بشرى فنجم الأنس في الأفق لاَحْ ... وعنبر الأفراح في الجوّ فاحْ
وهذه روض السرور ازدَهَتْ ... وابتسمتْ عن وردها والأقاحْ
والطير غنى فوق غصن الهَنَا ... فماس من عجب به وهو صاحْ
وأصبح الدهرُ لنا روضةً ... تعثرت فيها نسيم الرياح
تعتنق الأغصان في سوحها ... كأنها قد شربت كاس راحْ
وأشرقت أرضُ المسرات إذْ ... قارنَ بَدرُ التمِّ شمسَ الصباحْ
هُنّئت هُنّئت وجيه الهدى ... بوصل مولاة الخدود الملاحْ
بزهرة الحسن التي رمتها ... فنلتها بالكفّ ذات الصلاحْ
ظفرتَ يا خَدْنَ الوفا والتقى ... بدرّةٍ فاضمم عليها الجناحْ
منذ علمت أنك كفؤٌ لها ... جاءتك تهتز اهتزاز الرِّماحْ
فما لشمس الحسن فيما نرى ... كفئاً سوى بدر الهدى والصلاحْ
يا كوكب المجد الذي قد غدا ... يروي أحاديث المعالي الصحاحْ
بالوصل عن يحيى عن البدر عزّ الدين عن فخر الهدى والسّماحْ

---

(١) نزهة النظر: ٤١٢ ـ ٤١٧.

ها أنت قد أصبحت في ظلّ من　　بوصفه استغنى عن الامتداحْ
بدر الهدى من نال أقصى المدى　　مولى الندى والمجد شاكي السلاحْ
يحي عماد الدين خير امرئٍ　　غدا إلى نيل المعالي وراحْ
ينال من والاه عزّاً وَمَنْ　　عداهُ أضحى عرضُهُ مستباحْ
المجد قد ألبسَهُ ثوبَهُ　　والعلم قد ضمّ عليه الجناحْ
أخلاقه النارُ لأعدائِهِ　　وهي لمن والاه ماءٌ قراحْ
يطلبُ من ناواه حتى إذا　　أدركه قال له لا جُناحْ
من معشرٍ أقلامهم أصبحت　　من دونها الشمس وبيض الصفاحْ
أبقاه ربّ العرش شمساً لنا　　تضيء ما انشق عمود الصباحْ

ومن شعره ما كتبه لي أستاذي العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني رحمه الله، وهذا ما جاء بخطه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وفي ربيع الأول ١٣٤٥ عُقدت معاهدة بين الإمام يحيى وإيطاليا وكانت نظرة العلماء والمثقفين إلى الأجانب المستعمرين نظرة المستريب الخائف وبالخاصة إلى إيطاليا التي كانت تستعمر إرتيريا والصومال وكانت بعض الصحف قد نشرت صورةً لموسوليني وإحدى قدميه على أرتيريا والأخرى على اليمن من أجل ذلك رفع القاضي الشاب النابه عقيل بن يحيى بن محمد الإرياني رحمه الله إلى الإمام يحيى قصيدة ناصحةً ومحذّرة نثبت فيها ما يلي:

ويلاه قد عمَّت الناس الضلالاتُ　　وزحزحت عنهُمْ تلك الهداياتُ
وأصبح المسلمون اليوم في وهنٍ　　وفيهُمُ خفقت للكفر رايات
وأنفذت فيهم الأعداء أسهمها　　ولم يفيقوا كأن القوم أموات
أضحوا بذلٍ وهَوْنٍ بعدما ارتفعت　　لهمْ على كاهل الجوزاء رايات
لو ناصروا الله مولاهم لناصرهم　　فأصبحوا وهُمُ للنّاسِ قاداتُ

إلى أن يقول:

ويـلاه قـد أزعجتنـا أيّ حادثـةٍ بكـت لهـا مـن كتـاب الله آيـات
قالوا العهـاد ومـا هـذا العهـاد فهـا قد مادت الأرض منـه والسـماوات
كنّـا نـراه محـالاً والزمـان بـه يـأتي وتظهـر للنـاس المحـالات
أبـا لِعـدا نرتجـي نفعـاً لملتنـا لقـد ضـللنا وأعمتنـا الجهـالات
ومـن يلاعـب ثعبانـاً براحتـه سرت إليـه عـلى الفـور المنيـات
لأن أتونـا بـآلاتٍ منمقـةٍ فإنهـا لفتيـا الـدين آلات
فـلا وربـك مـا جـاؤا لنـا ولهـم قصد بـان ترتقـي فينـا الـصناعات
لكـن لأمـر خفـيّ سـوف تعلمـه غـداً إذا انقشعت عنـك الهـدايات
ما في البدايات أضحى وهو مستتر فإنهـا سـوف تهديـه النهايـات

إلى أن يقول:

قـل للإمـام أدام اللهُ دولتَـهْ إنّ المـوالات عقباهـا النـدامات
وانظر لمن كان والاهم أمـا هـدمت أركـان سـؤدده تلـك المـوالات
فانقض ولا تخشى إلا الله عهـدَهُمُ فالعهـد عنـد ذوي شركٍ مراعـات
فأنـت فـرعٌ زكـيّ مـن جحاجحـةٍ هُمُ لنـور الهـدى في الخلـق مـشكاةُ
قد كان مـا كـان فاجهـد في تداركـهِ دامت عليك مدى الدهر السعادات

هذه النصيحة النيّرة والشجاعة قد جاءت من شاب لم يتجاوز عمره الثالثة والعشرين رحمه الله.

ولما فتح الإمام يحيى رحمه الله صنعاء ودخلها في ربيع الأول ١٣٢٣ رفع إليه القاضي العلامة الحافظ علي بن عبدالله بن علي الإرياني (عم القاضي الإرياني) رحمه الله) القصيدة التالية مهنئاً وناصحاً. نثبت منها ما يلي:

أهنيّـك يـا نجـم الأئمـة بـالفتح ومَا أسبل الـرحمن فيـه مـن الـنجح
ومـا زال مـذ بنـتم أحـنّ إلـيكُمُ أحنُّ اشتياقا في العشى وفي الـصبح

وقـد حقـن الله الكـريم رَجَاءَهـا فـساجعة الأفـراح تعلـن بالـصدح
أمـورٌ تولاهـا الإلـه بنفـسه فـلا منّـةٌ فيهـا عليـك لـذي كـدح

إلى أن يقول:

وقـد آن أنْ أهـدي إليـك نـصائحاً وأفضل ما يُهدَى مقال ذوي النصح
تفقـد أمـور المـسلمين جميعهـا وبادر لأهل الجود بالعزل والطرْحِ
فـلا خـيرٌ يُرجـى مـن ولايـة ظـالمٍ ولو كان من فوق السماكين والنَّطح
وإن كـان فيـه مـسحةٌ مـن حـلاوةٍ وحذق فما والله في الظلم مـن ربـح
ولكنّه يخلي الـديار وينـصر العـدو ومـا واللَّـهِ في القـول مـن شـطح
وكم من ذئاب لا سقى الله عهدهم يرون وعيـد الله ضربـاً مـن المـزح[1]
ومـا همهـم إلا الحطـام وجمعِـه فبعـداً إلى بعـدٍ وقبحـاً إلى قـبح
ومـا الخـير إلا في إتبـاع (محمـد) نبـي الهـدى مـع آلِـهِ أنجـم الفلـح
وما خالف المنصوص فهـو ضـلالةٌ وإن قـرروه في الهـوامش والـشرح
ومـن خـرّج الأقـوال فهـو مـشرّعٌ وكم جاء بالتشريع في الدين مـن مـنح

ولَهُ رحمه الله وقد جرت مشادّة بينه وبين بعض الموالين للأتراك:

يلومـونني في حـبّ آل محمـدٍ أناس غَلو في النصب والمذهب الردي
ومـا علمـوا إني أعـيش بحـبهم وحـبُّهم يـوم القيامـةِ منجـدي
وهم أملي مـا عـشتُ يومـاً وعـدّتي أصول بهم حقـاً عـلى كـل معتـدي
وهـم في جميـع النّائبـات ذخـيرتي بهـم أهتـدي في النّائبـات وأقتـدي
فيـا عـاذلي دعنـي وذاك فـإنني عـصيت بحـب الآل كـل مهنـدِ
فـما لي إلاّ آل أحمـد شـيعة وهم عدتي ما عشتُ يومـاً ومقـصدي

(١) شاهد في هذا البيت يشير إلى شخص كان أثيراً عند الإمام رحمه الله.

تعقيب على ترجمة عقيل الإرياني

أهداني العلامة الراحل القاضي عبد الرحمن الإرياني كتاب (مجموعة رسائل في علم التوحيد) يوم (٢٨ شوال ١٤٠٩هـ ـ ٢ حزيران ١٩٨٩)، وتضمن عدة رسائل في التوحيد من بينها كتاب المترجم له (عقيل الأرياني) المسمى (السيف الباتر لأعناق عباد المقابر) ورأيت في أول الكتاب ترجمة للمرحوم عقيل الإرياني بقلم ابن أخيه الأستاذ الأديب مطهر بن علي الإرياني، فاخترت أن أثبت منها ما لم يذكره ابن زبارة وغيره وألحقتها بترجمة عقيل لأهميتها كما ألحقت بها مقدمة أستاذنا العلامة القاضي الإرياني رحمه الله عليه لما تضمنته هذه المقدمة، ليس لأنها تتصل بسيرة عقيل الإرياني ورسالته التوحيدية وحسب، بل لأنها أيضاً متضمنة لأفكار القاضي عبد الرحمن الإرياني التوحيدية ورؤيته المتسامحة اتجاه كافة المذاهب والاعتقادات وبُعده عن التعصب الأعمى وتحذيره من أئمة الفتنة وأرباب فتاوى التفكير التي ابتليت بهم الأمة في أيامنا هذه، وهذه أولاً ترجمة الأستاذ مطهر لعمه، ونشفعها بمقدمة القاضي الإرياني، رحمنا الله جميعاً وهدانا للصواب بمنّه وكرمه:

قال: كان مولده رحمه الله[1] في حصن (ريمان) المشرف على (إريان)[2] من (بني سيف العالي) بلاد (يريم) «يحصب قديماً». وذلك في تاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٣٢٤ للهجرة[3]، وتوفي رحمه الله في ١١ ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ[4] عن إحدى وعشرين

---

(١) كتب والدي رحمه الله لشقيقه عقيل ترْجَمَةً مطوّلة تكاد تكون سيرةً كاملةً لحياته القصيرة الغنيّة عبّر فيها عن حبّه وإعجابه الكبير بشقيقه الصغير؛ لما تجلى فيه من علائم النبوغ والعبقرية. وفي هذه الترجمة الموجزة اعتمدت على تلك الترجمة المطوّلة، وبالله التوفيق.

(٢) يقول والدي رحمه الله: «وكانت هجرة (إريان) مرجعاً في العلم تُقْصَد من سائر البلاد، وكانت الأوقاف العائدة إليها واسعة تصرف في الفقراء من المتعلمين وفي المساجد، حتى اغتصبتها الدولة في سنة ١٣٣٩ هجرية، ولله الأمر من قبل ومن بعد».

(٣) يوافق ١٣/ نوفمبر ١٩٠٦م.

(٤) يوافق ٧ / أكتوبر عام ١٩٢٧م.

سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً. فلقد مات هذا النابغة رحمه الله ولم يستكمل العام الثاني والعشرين من عمره القصير المليء بالنشاطات الفكرية والأدبية الفذّة، والتي تنبئ عمّا كان سيصبح عليه لو أمدّ الله في عمره، فهو لم يمت في هذه السن المبكرة إلا وقد أصبح مبرّزاً في كل العلوم والآداب السائدة في ذلك الزمان.

والمترجم له رحمه الله هو ثالث خمسةٍ من الأشقاء أنّجبهم العلامة المجتهد يحيى بن محمد الإرياني رحمه الله من قرينته الأولى سلوى بنت محمد بن يحيى الإرياني رحمها الله، والخمسة الأبناء النجباء الأعلام هم على التوالي: علي، وعبد الله، وعقيل، ومحمد، وعبد الرحمن رحمهم الله تعالى.

فها نحن نرى أن المترجم له سمط عقد من الجواهر التي لا تدري بأيها تطنب ولا من أيها تعجب؛ فكلهم علماء أعلام مجتهدون محققون نجباء، أنجبهم نجيب من نجيبة، فجاؤوا في ذرى الأعلام اليمنية من الرجال الميامين؛ لا أقول ذلك عن عاطفة أو بدافع حبي واحترامي العميقين لهم، فإن غيري ممن لا يمتون لهم بصلة قرابة إلا بالصلات اليمنية والعلمية - وهي أقوى من كل الصلات - يقولون في مدح هؤلاء الرجال الأفذاذ أكثر مما أقول. ولا أقول ذلك فخراً، فإني أعوذ بالله من الفخر بالأقارب، وإذا جاز لنا أن نفخر فلن نفخر إلا باليمن والعروبة والإسلام، ولكني أقول ذلك تسجيلاً للحقيقة، وإقراراً لذوي الفضل بفضلهم، ورحم الله القاضي العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، فقد قال في حقهم بعد ذكر أسمائهم في تعليق على أحد كتبه التاريخية مستشهداً بقول الشاعر:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها السَّاري

أما عن نشأة المترجم له رحمه الله، فإن نشأته الأولى كانت في كنف والده الذي أوكل به من يعلمه القراءة والكتابة وتلاوة القرآن تحت إشرافه هو، فقرأ وكتب وختم القرآن وهو في السابعة، مما أنبأ عن ذكاء وقاد وموهبة خارقة وهمة قعساء.

ولذلك تولى والده بنفسه أمر تعليمه النحو والصرف والقواعد والمعاني والبيان وأصول الفقه وفروعه والتفسير والمنطق والسير والحديث والتاريخ، وحين كان والده ينشغل أو يسافر كان يتولى تدريسه أحد مشائخه الأجلاء وهو القاضي العلامة عبد الواسع بن أحمد بن محمد طه الإرياني، ثم يعود إلى التلقي على والده حينما يلتقي به ويفرغ له.

وكان رحمه الله في كل ما يتلقاه سريع الاستيعاب والتمثل؛ مما جعله دائماً في مقدمة أقرانه من الطلبة والدارسين، ولقد تلقى على والده وشيخه عبد الواسع الإرياني أوليات الكتب في العلوم المشار إليها، ثم عدداً من الأمهات في تلك العلوم.

قال والدي رحمه الله بعد أن ذكر أنه برع في النحو وعلوم اللغة العربية على يد والده: «.. ثم قرأ على والده أيضاً في المعاني والبيان (الشرح المختصر) لـ (السعد) مع حفظ المتن ومراجعة الحواشي، وقرأ في المنطق شرح شيخ الإسلام (زكريا) على (إيساغوجي) مع مراجعة الحواشي، وقرأ في أصول الفقه والفروع على والده وعلى شيخه المرحوم القاضي عبد الواسع الإرياني حتى برع في ذلك، كما قرأ على والده الفرائض حتى أتقنها..».

ولما انشغل والده رحمه الله بالقضاء في مدينة (إب) بعد أن عينه الإمام يحيى رحمه الله قاضياً لها، هاجر المترجم له رحمه الله إلى مدينة (صنعاء) طلباً للعلم، وفيها تلقى مختلف فنون المعارف على يد مشائخه العلماء التالية أسماؤهم:

(١) العلامة: عبد الخالق بن حسين الأمير رحمه الله.

(٢) العلامة: أحمد بن علي الكحلاني رحمه الله.

(٣) العلامة: عبدالله بن محمد السرحي رحمه الله.

(٤) العلامة المعمر: إسماعيل بن علي الريمي رحمه الله. وحول هذا الأخير قال لي سيدي الوالد العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني: إن هذا العلامة الكبير عمَّر طويلاً، فهو معدود من مشائخ الإمام يحيى ثم من بعده من الطلاب، كما أنه من

مشائخ أخي عقيل الأكبر، ثم كان من مشائخي، وعليه قرأت الجزء الثالث من شرح الأزهار، أي قسم المعاملات، ثم كان أستاذاً وشيخاً لأناس من بعدي، فهو ممن ألحق الأواخر بالأوائل رحمة الله عليه.

وبعد هذا الشوط الذي قضاه في صنعاء في الدراسة والمذاكرات والمحاورات والاغتراف من كل منهل مما يوافقه ومما لا يتفق معه؛ عملاً بالحكمة القائلة: العلم بالشيء خير من الجهل به. ولكنه ـ كما يقول والدي رحمه الله ـ: يفعل ذلك «.. مع التحري التام في البحث عن الدليل، ومراجعة كتب سائر المخالفين، والترجيح لما يراه الراجح بذكاء وفطنة منحه الله إياهما..». أقول: بعد هذا الشوط غادر صنعاء عائداً إلى مسقط رأسه حصن ريمان المشرف على إريان وهناك ـ كما يقول والدي رحمه الله ـ «.. اعتكف على العلم الشريف، وأقبل على أخذ الحديث والتفسير، واختار العمل بالدليل، وعدم العمل بأي قيل حتى يبحث عن دليله، وينظر في تعليله، فحصل في ستة أشهر ما لم يحصله غيره في ست سنين، منحةٌ من الله اختصه بها وفضل منه ساقه إليه..». وليس في هذا الكلام أي مبالغة، فذكاؤه النادر وقدرته الخارقة على الاستيعاب يشهد له بها كل من عرفوه ممن قابلتهم.

وخلال إقباله رحمه الله على هذا التحصيل المتشعب والمكثف، كان يجد من الوقت ما يسمح له بمزاولة الإنتاج والإبداع في المجالات الفكرية والأدبية بمختلف فنونها.

ولا شك أن موقفه الفكري والديني جدير بالاهتمام والدراسة لما فيه من التحديد الحاسم والوقفة المبدئية الصارمة، فحينما نتأمل موقفه هذا من خلال ما أنتجه فكره من النثر والنظم، ومن خلال سلوكه العملي التطبيقي، نجده يتسم بصفات أربع رئيسية هي:

أولاً: إخلاص التوحيد كله لله، وتشدده في ذلك إلى حد عدم السكوت حيث سكت الآخرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم بالأولياء وزيارة

أضرحتهم والتقرب إليهم والهتاف بأسمائهم عائذين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقوع دابة من أنعامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشراك صريح لله في وحدانيته، وبحكم تمسكه الشديد بمبدأ (إخلاص التوحيد كله لله) لم ينظر إلى هذه المسألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضلة مما يقع فيه الكثير من العامة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه.

ثانياً: تمسكه بالسلفية الواعية الانتقائية، وحرصه على عدم التقيد بأي مذهب، وعدم الالتزام المطلق بكل أقوال أي إمام من أئمة المذاهب مهما عظم عنده مقداره وجل لديه شأنه، فهو شأن العلماء المجتهدين يختار من أقوال العلماء من أئمة المذاهب وغيرهم ما تطمئن إليه نفسه ويرتاح له ضميره.

ثالثاً: الصراحة والصرامة في الحق بحيث لا تأخذه قول الحق لومة لائم، ولا يخشى في قول كلمة الحق التي يراها في وجه كبير أو صغير، وكانت هذه الصراحة تصل أحياناً درجة الحدة.

رابعاً: كان رحمه الله من حيث التطبيق المسلكي ملتزماً أشد الالتزام، فقد كان تقيّاً ورعاً عفيفاً عادلاً عميق التدين، حتى أنه كان إذا قام للصلاة تغيرت سحنته واعتراه خشوع يصل حد الرهبة، لكأنه يرى الله جهرة وهو يرقبه.

فأما الصفة الأولى فإنها «شنشنة أعرفها من أخزم»، أعني بذلك أنها سمة من سمات عدد كبير من العلماء الأعلام الذين أنجبتهم اليمن، في مراحل تاريخية متعاقبة، فكانوا قمماً شامخة في العلم والعطاء وإخلاص التوحيد ونفي الشبهات ومحق الأباطيل والضلالات قبل ظهور أي حركة من حركات التصحيح والتوحيد، وكثير منهم ظهر في أوقات مبكرة، فوضعوا القواعد المتينة لدين الله الحق بينما كانت الشبهات والأباطيل والضلالات تسود معظم أقطار العالمين العربي والإسلامي، كما أن والده وشيخه القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني ـ وهو الذي استوعب

الكثير من علوم هؤلاء الأعلام ـ هو الذي أوصل إليه مبادئها وآراءها، وجبله بها، وغرسها في عقله وقلبه وروحه.

وأما الصفة الثانية فيمكن القول عنها ما قيل عن الصفة الأولى نفسها، فمعينها في نفسه آت من هذه الينابيع اليمنية الصافية، وكان والده وشيخه رحمه الله هو الذي غمر روحه بهذا المعين العذب، هذا علاوة على أن البيئة قد طبعته بهذا الطابع، فأسرة آل الإرياني منذ القديم تأخذ بالسلفية، والعلماء الأعلام من أبنائها لم يتمذهبوا قط، بل هم يعملون بالدليل، ويدعون إلى الاجتهاد لمن ملك شروطه، وهي كما قلت سنة قديمة فيهم يتمسكون بها، ولكن أعظم من بلور أفكارها ووضع قواعدها القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني، وهو لم يكتف بغرسها في نفوس تلاميذه من أبنائه وأبناء أسرته ونفوس من ارتاده وتتلمذ عليه من أبناء منطقته وما جاورها، بل غرسها أيضاً في نفوس من تتلمذ عليه في مدينة (إب) أثناء توليه قضاءها، كما غرسها أيضاً في نفوس تلاميذه في (صنعاء) ـ وهم كثير ـ أثناء عمله في الاستئناف عضواً ثم رئيساً، ومن خلال دروسه التي واظب على إلقائها على تلاميذه في جامع الفليحي بصنعاء، لم يتأخر عن موعده فيها ساعة، ولم ينقطع عنها يوماً إلا في يوم إجازة، وذلك طوال بقائه في صنعاء وهو ثلاث عشرة سنة كاملة وبضعة أشهر، وله رحمه الله (إجازات) كثيرة أجاز بها من بلغ شأو العلماء من تلاميذه في مختلفِ الأماكن التي قام بالتدريس فيها، وهو في كل إجازة ينص على حثِّ المجازِ لَهُ بأن ينبذ التقليد ويتحرر من إسار المذهبية والتقيد بالأقوال مهما كان أصحابها ومهما عظم شأنهم، لم يترك النصح بهذا المبدأ في أي إجازة أجاز بها سواءً كانت شعرية أم نثريّة، وفي إجازته لابنه النابغة المترجم له قال من قصيدة طويلة:

واتبع طريق المصطفى في هديه	والبس رداءً ثوبُه لا يخلَقُ
واحذر من التقليد فهو ضلالةٌ	وحبالةٌ لذويه أضحت تخنقُ

وكـــلام ربّ الخلـــقِ ثـــم رســـوله أَوْفَى لنــــا بالإتبــــاع وأوفـــقُ
واللهُ أكمــــل دينــــه بكتابــــه ثـــم الحـــديث لكـــل ذاك يـــصدّقُ
وانظر إلى سلف الهـدى هـل قلـدوا أحـداً سـوى المختـار فـيما ينطـقُ

وفي إجازةٍ لابنه عبد الرحمن يقول:

وأوصي بتقـــوى الله سرّاً وجهـــرةٌ وتـركِ لتقليـد الرجـال وإن جَلّـوا
ومـا صـح عـن خـير البريـة فـاتّبعْ فيـا رُبَّ تقليـد يكـون لمـن ضَـلّوا
فَخَفْ واتبعْ وابحثْ ودع كل بدعةٍ فكـل كثـير مـن سـوى سـنّةٍ قِـلَّ
وإني أرى التقليـد أعظـمَ بدعـةٍ (فما اختاره مـضنىً بـه ولـه عَقْـلُ)
نـصحتك علـماً بـالهوى ثـم لا أرى مخـالفتي فـاختر لنفسِك مـا يحلـوا

وهكذا جاء في أرجوزةٍ أجاز بها العلامـة القـاضي عبـدالله بـن عبـد الكـريم الجرافي رحمه الله.

وفي أخرى أجاز بها القاضي بعلامة عبدالله بن علي بن أحمد الإرياني يقول:

فقــــد أجزتـــه بهـــذا كلِّـــهِ بـــشرطِهِ المعـــروف عنـــد أهلِـــهِ
وتركِــــهِ التقليـــــد للأمـــواتِ فلـــيس مــــن مــــوارد الثقــــاتِ
فــــاللهُ قـــد أرشــــدنا بــــالنظرِ وأوضــــح الـــسبيل للمعتـــبرِ
وقـــد نعـــى حقـــاً عـــلى المقلّـــدِ بـــما يكـــون كافيـــاً للرَّشـــدِ

ويريد بنعي الله تعالى على المُقَلّد قوله تعـالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهكذا كان رحمه الله ينص على هذا المبدأ في كل إجازاته ناصبـاً نفسه داعيـةً يدعو إلى الاجتهاد ويحث عليه، وينادي بنبذ التقليد والانـصراف عنـه، ويحـذّر مـن التمذهب ويندد بما فيه من المزالق، وهذه النزعة التحرّرية في التفكير وسلوك الديني كانت سمة شاملة لعلماء آل الإرياني. قال العلامة الحافظ المجتهد القاضي عبدالله بن محمد العيزري الذماري رحمه الله في ترجمته للوالد العلامة القاضي عـلي بـن عبـدالله

الإرياني رحمه الله: «وأهل هذا البيت يعملون بالدليل فيما يأتون وما يذرون»، وهذه السمة ليست بدعاً، بل هي ناتجة عن نظرة إعجاب يكنونها لأولئك العباقرة من العلماء اليمنيين المجتهدين.

ومن المؤسف أن نظرية الاجتهاد لم تأت بهذا الشكل الواضح والصريح إلا في اليمن الذي كان في مختلف العصور التي ظهر فيها هؤلاء المجتهدون العباقرة بلداً بعيداً معزولاً ومحكوماً بمختلف أنواع الحكم المتخلفة التي كانت سائدة في العالم الإسلامي، حتى الحكام من أئمة الزيدية، ورغم أن جلهم من العلماء الأجلاء، إلا أن حرصهم على الحكم كان أشد من حرصهم على ما عداه، ولهذا فإن هذه النظرية الرائعة لم تثمر إلا في إغناء الفكر الإسلامي اليمني من الناحية النظرية بعشرات الكتب والمجلدات التي تحتوي على جوهر الإسلام الصافي وأسمى مبادئه ونظرياته، أما التأثير العملي لهذا الفكر المتطور فإنه كان في اليمن ضعيفاً على حكامه بحكم حرصهم على الدنيا وعلى الحكم أكثر من حرصهم على إثراء الفكر الديني وتطويره بالاجتهاد والمجتهدين ولهذا لاقى العلماء المجتهدون عنتاً من الحكم ومن المتعصبين للمذهب، أما تأثير هذا الفكر الخلاق على العالمين العربي والإسلامي. إذا استثنينا أفراداً من العلماء ـ ضعيفاً أيضاً بحكم بعد اليمن وانعزالها وحرص الحكام على هذا البعد والانعزال، ولو أن مثل هذه القاعدة الذهبية العظمى في وجوب الاجتهاد على أهله ظهرت في البلدان العربية والإسلامية الأخرى التي هي أكثر احتكاكاً بالعالم وأعظم تأثيراً وتأثراً فيما حولها وبمن حولها من العالم لما تجمد الإسلام وتحجر، ولما تخلف المسلمون وتأخروا عن مواكبة ركب الحضارة، ولظهرت (الإيديولوجية) الإسلامية الكاملة التي تلبي وتستوعب كل متطلبات العصر، وليعذرني القارئ عن استعمال كلمة (إيديولوجية)؛ فقد أردت بهذه الكلمة (العقيدة الكاملة) بكل تفاصيلها المسايرة للزمن، والإسلام دين الله ورسالته السماوية العظمى، وهو عقيدة كاملة، ولكن المسلمين وقفوا به وبمسيرته عند أزمان معينة حينما جعلوا له مذاهب وأئمة لا يخرجون عن أقوالهم.

لقد كان جدي والد المترجم له رحمهما الله يبدي إعجابه وتقديره لعدد من العلماء الكبار أتباع هذا المذهب أو ذاك من المذاهب المعينة التي حددها أئمتها، ويقول: إن منهم من يفوقون أئمة مذاهبهم علماً، ولكنهم كانوا كما كان يعبر عن تقيدهم (مربوطين إلى القارطة)[1]، وكان إعجابه شديداً بالعلامة ابن حجر العسقلاني مؤلف (فتح الباري)، وهو يرى أنه إن لم يكن أكثر علماً من إمامه محمد بن إدريس الشافعي، فإنه كان يتمتع بظروف أفضل لمناقشة المسائل وتقريرها؛ لأنه ينطلق من أساس سبق للإمام الشافعي أن أقامه، ولكنه ـ أي العسْقلاني ـ كان كلما مضى في تحقيق مسألة ليصل بها إلى ذروة أعلى مما وصل بها إمامه نكص عن ذلك وأقصر لا عجزاً وإنما تقيداً بالمذهب وبما قاله الإمام الشافعي فيها، وكان جدي رحمه الله يتجاوب وينفعل عندما يقرأ في كتاب من كتب ابن حجر العسقلاني، فيتمتم وهو يقرأ قائلاً: «عظيم» و«تحقيق عظيم»، وعندما يبدأ في النكوص يتمتم: «ظهرت القارطة»، ثم يقول بانفعال: «القارطة.. القارطة»، ثم يقول حينما يجزم العسقلاني في المسألة يقول إمامه لا يتعداه: «وأخيراً.. ربط نفسه بالقارطة»، يقول ذلك بانفعال الآسف الذي انقطعت درته.

وأما الصفة الثالثة، وهي الصراحة والصرامة في الحق، فهي من سمات العلماء العاملين، والصادقين في أداء رسالتهم، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنقية الدين من الأباطيل والضلالات.

أما الحدة التي تظهر في بعض كتاباته أو أقواله، فمرد ذلك ـ يبدو لي ـ إلى أمرين:

أولهما: أن كل ما كتبه من نثر وشعر إما كتبه في عنفوان الفتوة وشرخ الشباب، وكلنا يعرف هذه المرحلة وما يعتلج في صدور من يمرون بها من المشاعر الجياشة والحماسة المندفعة، خاصة إذا تشربت الروح بعقيدة عميقة وإيمان راسخ، وليس في

---

(١) القارطة: تسمية عامة للعروة أو الوتد الذي تربط إليه السائمة.

ذلك بأس، فإن من يبدؤون حياتهم العملية في مجال الفكر بهذه الحماسة وهذا الاندفاع لا تلبث الأيام ـ إن أمد لهم الله بالعمر ـ أن تلطف ذلك الحماس، وتقلل من هذا الاندفاع مع الإبقاء على شيء من ذلك يحفزهم على الاستمرار بأسلوب تسوده الحكمة والحنكة، أما من يبدأ مسيرته بالرفق والهدوء فإنه لن يلبث مع تطاول العمر أن يفتر، ولا يجد الحافز من قوة الاندفاعة الأولى.

وأما ثاني الأمرين أو السببين اللذين أديا إلى الحدة هذه، فلعله يعود إلى أنه بدأ في أداء رسالته في زمن كان يرين عليه الظلام القاتم، ويجلله الليل الحالك من الجهالة والتجهيل، والضلالات والتضليل، فكان العامة في هذه الغياهب الطخياء والغواية العمياء لا تقرع أسماعهم إلا الصرخة العالية والصيحة القوية الداوية، وذلك هو ما فعله المترجم له رحمه الله في شرخ الشباب من عمره الذي لم يزد عن الاثنين والعشرين عاماً بل لم يبلغها كاملة، ولعله في هذه الصفة كان متأثراً ببعض العلماء الأعلام ممن سبق لنا ذكرهم، من أمثال العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبلي، فقد كان رحمه الله عنيفاً وقاسياً محتداً فيما يراه الحق وفي الرد على خصومه ومعارضيه، وذلك ما يتجلى في مؤلفاته وخاصة في كتابيه: (الأبحاث المسددة) و(العلم الشامخ).

وأما الصفة الرابعة من حيث التقوى والورع وعمق التدين والتطبيق المسلكي لكل ما يؤمن به من المبادئ، فذلك أمر طبيعي إذ إن بيئته طبعته بذلك، وأبناء أسرته هم على هذا النمط الرفيع من الالتزام بالدين وتطبيق مبادئه بكل دقة وإيمان وصرامة.

وسوى كتابه (السيف الباتر لأعناق عُبّاد المقابر)، فإن لهذا النابغة، كتابات نثرية أخرى ومراسلات مطولة، ومذاكرات ومناقشات دقيقة تدل على الألمعية والذكاء الوقاد. وأورد له والدي في ترجمته المطولة، مقالتين من النثر الفني أنشأهما في عام وفاته رحمه الله.

فأما الأولى فكتبها توديعاً لعام انصرم وهو عام (١٣٤٥)هـ واستقبالاً لعام أهلَّ وهو عام (١٣٤٦)هـ، وهي مقالة ذات أسلوب أدبي قوي العبارة

جزل الألفاظ، أما محتواها فهو تأملات فلسفية عاطفية حول الزمن ومروره وفعله في الإنسان، وحول أخليلاق الزمن نفسه وتجدده، فهو يشبه العام المنصرم بشيخ هرم أشيب الشعر مدبر عنك، بينما يشبّه العام الجديد بفتى في عنفوان شبابه مقبل عليك، ولكنك أيها الإنسان تَخْلَق بين مقبلهما ومدبرهما على الدوام، فكل عام وكل شهر وكل يوم يزيد في عمرك هو نقص فيه.. إلى غير ذلك من شؤون الحياة وشجونها.

وأما المقالة الثانية فإنه رحمه الله كتبها قبل أيام قليلة من وفاته، وجعل عنوانها هو: (الساعة)، وهو يتحدث فيها ظاهريّاً عن ساعة الجيب المعروفة في ذلك الوقت، فيتكلم عنها وهو ينظر إليها ويراقب دوران عقربيها، ويرى أنهما في دورانهما يطويان الأزمان، ويلفان الأيام، ويقربان الآجال، ويقطعان الأعمار، ويرى فيهما حيناً كأنهما سيفان مرهفان يقطعان أغصان شبابه الناضر، وحيناً كأنهما رمحان مشرعان لإزهاق روحه الطاهرة. ولقد بدا في هذه المقالة وكأنه ينعي نفسه، ويعلن عن دنو أجله. يقول والدي: «... ولقد كان كما قال؛ فإنه لم يلبث بعد إنشاء هذه المقالة إلا أياماً يسيرة حتى توفي رحمه الله تعالى...». وهذا من غريب الاتفاقات، فقد كتب هذا المقال وهو في ريعان شبابه متمتعاً بالصحة والعافية، ولكن مرض الوعس (التيفوئيد) دهمه فجأة، فاستأثر الله به. رحمه الله رحمة واسعة.

وقد رثاه والده رحمه الله بقصيدتين مؤثرتين، بعث إحداهما إلى العلماء في صنعاء وذمار وغيرهما، كما كان عليه العرف آنها، ورثاه أخوه علي وغيره من الشعراء الإريانيين، ومن العلماء رئيس الاستئناف القاضي العلامة حسين العمري، والسيد العلامة زيد بن علي الديلمي، والعلامة السيد عبد الوهاب بن أحمد الوريث حاكم يريم، والشاعر القاضي العلامة عبد الكريم بن أحمد مطهر رحمهم الله جميعاً، وقد أثبت والدي رحمه الله عدداً من هذه المراثي في ترجمته له التي لخصْنا هذا منها.

وتوفي المترجم له بعد أن أنجب ابنه الوحيد الذي سماه محمداً. وفقد الوليد محمد أباه وهو طفل صغير، ولكن جَدّه العلاّمة الحافظ القاضي يحيى بن محمد رضي الله عنه وعمَّه القاضي عبدالله بن يحيى وسائر أعمامِهِ الأعلام احتضنوه، وتولوا تربيته وتنشئته حتى نما وترعرع وشب ونبغ وتفوّق في جميع مجالات العلم والأدب والفكر. وتولى هذا النجيب ابن النجيب القضاء وهو في عنفوان الشباب في عدد من المناطق اليمنية، فبرهن في جميع الأعمال التي تولاّها على أنه مثال للقاضي النزيه الحازم الصارم الذي يحق الحق ويبطل الباطل ولا يخشى في الله ولا في شريعته لومة لائم.

مقدمة القاضي العلامة عبد الرحمن الإرياني لكتاب (السيف الباتر)

هذه هي ترجمة المؤلف (عقيل الأرياني) رحمه الله، أعدها الولد الأديب الأستاذ مطهّر بن علي الإرياني، وهو ابن أخي المؤلف، وكنت أريد أن أسجل كلمة تعريفاً بالكتاب بعد التعريف بمؤلفه رحمه الله، ولكن ما جاء عنه في ثنايا الترجمة قد أغناني عن الإطالة، وسيرى المطلع أنّ الكتاب، باعتباره نتاجَ فكر شاب لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، قد جاء مدعماً بالأدلة من الكتاب والسنة ليدل على أن مؤلفه كان ـ على صغر سنه ـ ضليعاً بعلومها، وإذا كان قد جاء في بعض نقده للصوفية وبالخاصة لابن عربي رحمه الله حدّةٌ تجاوزت حدود الجدل بالتي هي أحسن فإنه قد دعا إليها الحماس الديني المقرون بعنفوان الشباب، وأنا أعتقد أنه لو طال به العمر لجاء نقده معتدلاً كما هو حال العلامة المجتهد شيخ الإسلام الشوكاني رحمهُ الله، فقد روى عنه تلميذه العلامة القاضي محمد بن حسن الشجني في مؤلفه التقصار أنه قال تعليقاً على كتابه الصوارم الحداد: «وقد أوضحت في تلك الرسالة حال كل واحد من هؤلاء وأوردت نصوص كتبهم وبينت ما قاله العلماء بشأنهم وكان تحرير الجواب في عنفوان الشباب وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء...».

وقد أثبتنا رواية الشجني كاملةً في نهاية كتاب الصوارم.

وبقي أن أشير إلى أنّه قد يُتَسَاءَلُ عن الداعي إلى طبع مثل هذا الكتاب الذي قد يسيء فهمه بعض الذين لا تزال لهم عقائد توْسَمُ بالغلو في بعض مَنْ تناولهم المؤلف بالنقد والتجريح. وأجبت على هذا التساؤل بأن بقاءَ مثل هذه العقائد الغالية التي يتمسك بها البعض توجب نشر مثل هذا الكتاب؛ إقامةً للحجّة ودلالةً على المَحجَّة التي أمرنا الشارع (عليه الصلاة والسلام) بالسير عليها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك طائفة من المسلمين فيهم علماء أعلام نُجِلّهم ونقدّر علمهم، يتحجرون الدعوة إلى التوحيد، ويَدَّعون أنّهم وحدهم الموحدون، ويتجاوزون ذلك إلى أن يكفروا على السماع طوائفَ من المسلمين؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ سمعوا أنهم يتشيعون بأنواعٍ من الشرك؛ فلا يؤتم بهم في صلاة ولا ينكح إليهم ولا منهم إلا بعد تجديد إسلامهم[1].

وإن مما يدعو إلى الأسف الشديد أن التكفير كان لمجرد السماع وذلك ما يأباه على نفسه العالم الورع، وهَلاّ رجع مُصدِّر الفتوى عافاه الله إلى كتبهم ومعظمها مطبوع ومتداول (كالروض النضير) و(البحر الزخّار) و(شرح الأزهار) وغيرها.. وغيرها.. ليدلّنا على الصفحة والسطر التي جاءت فيها هذه الأنواع من الشرك، كما هو شأن الباحث المتحري لدينه ولعلمه، وحينئذ نقول: كثّر الله فوائده، فإنا فيما قرأناه من هذه الكتب لم نجد شيئاً مما سمعه واستند إليه في فتواه.

وليعلم أنّ هدفَنا فيما حررنا ليس هو الدفاع عن طائفة من المسلمين، وإن كان ذلك واجباً، ولكنّه إنقاذٌ لإخواننا هؤلاء من أن يكونوا (الأحد) الذي جاء في قوله

---

(١) يقصد بذلك الشيخ عبد العزيز ابن باز الذي أفتى بعدم صحة الصلاة وراء الزيدية والإمامية متَّهماً إياهم بالشرك.. الخ صدرت الفتوى في ٢٤/ ٩/ ١٣٩٦هـ، وقد استأثرت باهتمام القاضي الإرياني فردّ عليها وحمل بعض أعلام المسلمين على التصدي لها حتى تراجع الشيخ ابن باز عنها (انظر تفاصيل الفتوى وما إليها في قسم الوثائق (الملاحق) من كتابنا هذا، محمد سعيد الطريحي).

صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باءَ بها أحدَهُما» أخرجه أحمد والبخاري. حينما يعرفون أن إخوانهم المسلمين في اليمن فيهم من العلماء المجتهدين الذين دعوا إلى الإخلاص في التوحيد لله تعالى وحده، وهلّكوا من يدعو سواه أو يستغيث بغيره، كما دعوا إلى الاجتهاد والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وسيجدون أنّ بعضهم قد سبقوا عهد العلامة محمد بن عبد الوهاب بقرون كالعلامة المجتهد السيد محمد بن إبراهيم الوزير مؤلف (إيثار الحق على الخلق) و(العواصم والقواصم وغيرهما) وهو من أعلام القرن الثامن. ويأتي بعده العلامة السيد الحسن بن أحمد الجلال مؤلف (ضوء النهار) وغيره، والعلامة صالح بن مهدي المقبلي مؤلف (العَلَم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) وغيره، وكلاهما من مجتهدي القرن الحادي عشر. كما أنّ منهم من عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالسيّد العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير مؤلف (سبل السلام) و(تطهير الاعتقاد من درن الألحاد). وجاء بعدهم العلامة المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني مؤلف (نيل الأوطار) و(فتح القدير) وغيرهما، ومنها (شرح الصدور في تحريم رفع القبور) و(الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد) و(الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد).

وغير من أتينا على أسمائهم من المجتهدين الذين أنجبهُمْ المذهب الزيدي بقاعدته الأصولية الفقهية المتحررة التي تقول: «كل مجتهد مصيب»، وبترجيحه وجوب الاجتهاد في المسائل الأصوليّة، وفي كل عمليّ يترتب على علمي، وكذلك على المُؤَهَّل للاجتهاد في المسَائل الفرعيّة. وقد اعتمد مقررو هذا المذهب في القول بقاعدة «كل مجتهد مصيب» على قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ... الخ ﴾ [الحشر: الآية ٥]، وعلى ما ورد من أنّ للمجتهد المصيب أجرين، وللمجتهد المخطئ أجراً، وعلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن وقال له: بم تحكم بينهم؟ فقال: بكتاب الله، فقال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنّة رسول الله، فقال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فقال صلوات

الله وسلامه عليه: الحمدلله الذي وفق رسول رسوله. ثم بإقراره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه حينما أمرهم بعد غزوة الأحزاب للمدينة المنورة بأن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، بل قال: «من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصرَ إلاّ في بني قريظة». فحمل بعضهم ذلك على إرادة الحَثّ على المسير إلى بني قريظة؛ فصلوا العصر في وقتها، ثم واصلوا المسير بعد ذلك. وحمله بعضهم على ظاهره، فواصل السيرَ إلى بني قريظة، ولم يصل العصر إلا بعد وصوله إليها وبعد فوات وقتها. فأقرّ الرسول صلوات الله عليه كل فريق على ما أداه إليه اجتهاده، وهذه الأدلّة كما تراها واضحة وجليّة، وعليها بنيت القاعدة التي أسلفنا.

ولقد استفاد العلماء الأفذاذ من مجتهدي اليمن من هذه القاعدة العظيمة في الاجتهاد؛ فانطلقوا منها إلى آفاق علميّة واسعة، عملت على إثراء الفكر الإسلامي وإغنائه، وفتح الباب للحداثة والمعاصرة للأزمان، ولمستجدات التطورات العلميّة التي تحتاج إلى الاجتهاد والتشريع وإجرائه على اليسر والانفتاح، وعلى مقتضيات الأحوال، وقاعدة لجلب المصالح ودرء المفاسد، ومن منطلقات دينيّة ثابتة لا تخرج على نصّ ولا تعدو جوهر الدين ومبادئ الإسلام السمحة السهلة.

ولما أسلفنا فقد رأينا أن نضم إلى هذا الكتاب ثلاثة كتب صغير حجمها كبيرة فائدتها في موضوعها:

أحدها كتاب (تطهير الاعتقاد من دَرَنِ الإلحاد) للعلامة المجتهد المجدّد السيد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله، وكان قد طبع في القاهرة سنة ١٣٧٣هـ بتحقيق وتعليق العلامة المصري محمد عبد المنعم الخفاجي، ثم أعيد طبعه في الرياض سنة ١٣٨٨هـ.

والكتاب الثاني هو كتاب (الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد) الذي لا يزال مخطوطاً، وهو للعلامة المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله.

والكتاب الثالث هو (شرح الصدور في تحريم رفع القبور) للعلامة الشوكاني أيضاً، وكان قد طبع في القاهرة سنة ١٣٦٦، بتحقيق وتعليق العلامة حامد محمد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمّدية، وبرغم أنّ المحقق قد صدّره بترجمةً لمؤلّفه الشوكاني فإن الكتاب عند طبعه على نفقة الأمير سعد بن محمد بن عبد العزيز قد نُسِبَ في غلافِهِ إلى العلامة محمد بن عبد الوهاب الذي نعتبره مجدّداً في الدعوة إلى إخلاص التوحيد لله وحدَه، الأمر الذي دل على صحة ما أسلفناه من تحجّر الإخوان للدعوة إلى إخلاص التوحيد، وأنهم قد استكثروا أن يكون مثل هذا الكتاب لغير الشيخ الإمام رحمه الله من علماء اليمن المجتهدين الذين ظل بهم باب الاجتهاد مفتوحاً حين أغلقه الآخرون.

ونحن إذا جاوزنا بأنظارنا حدود اليمن، ومددناها إلى الأقطار الإسلاميّة الأخرى، واستثنينا ابن تيميّة وابن القيِّم وابن حزم وإلى حدٍّ مَا ابن دقيق العيد وابن عبد السلام وبنسبةٍ أقل: ابن حجر رحمهم الله جميعاً، فإنا لا نجد في علماء الأقطار الإسلامية ـ وفيهم من يعتبرون موسوعات علمية ـ إلا من يحصرون التشريع والتفريع على أقوال أئمتهم والدوران حول ناعورتهم، يفتون بما قالوه، ويدينون به، ويقيسون عليه، ويطّرحون كل حديث لا يعمل أئمتُهم بمدلوله، وكم هو مستهجن أن يروي بعض مؤلفي هذه الكتب المذهبيّة حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ يعقبه بقوله: «والمذهب خلافه»!!

ولم يقتصر مغلقو باب الاجتهاد على الانصراف عن النظر في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، والنّهْل من معينهما الصافي، واستعمال العقل الذي وهبهم الله تعالى لفهم الأحكام منهما واستنباطها من مفهومهما ومنطوقهما، بل شنّعوا على مَنْ يخرج على أقوال إمامِهِ مستعملاً عقله الذي هو حجة الله عليه في فهم ما جاء فيهما، وجرّحوا كل مَن يعمل باجتهاده مخالفاً لأقوال أئمتهم، وربما تجرأ بعضهم فأفتى بأن يقام عليه الحد؛ فقد حكى العلامة المقبلي رحمه الله في أحد مؤلفاته أنّ بعض علماء مكة المكرمة أفتى بأن يجلد من عمل في بعض المسائل

بقول أبي حنيفة بينما هو شافعي المذهب خمسين جلدة. يفتون بهذا مع علمهم بأن الإمام الشافعي رحمه الله قال: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، كما أنّ الإمام مالك رحمه الله رفض اقتراح الخليفة العباسي بأن يحمِل النّاس على العمل بما حواه الموطّأ من الأحاديث.

ومع أنّ أصول المذهب الزيدي الفقهيّة أنّ: «كل مجتهد مصيب»، إلاّ أنّ عامتهم والمتفقهين منهم قد سلكوا نفس السلوك، ولقي المجتهدون منهم من الأذى بوصمهم بالنّصبِ والانحراف ما حمل المقبلي رحمه الله على الهجرة إلى مكة المكرمة والمجاورة فيها مدّة تزيد على سبع عشرة سنة، كما غادر الأمير رحمه الله صنعاء إلى شهارة.

وعلى الجملة فإن حصر التشريع الإسلامي على ما قرره علماء المذاهب المعروفة رحمهم الله، وما فرّعه علماء هذه المذاهب، وتخطئة مَن لا يلتزم أحدها، هو ابتداع في الدين لم يأت به كتاب ولا سنّة، وتحجّر لواسع، وتضييق لما وسعه الله تعالى؛ وقد سبّب ذلك نشوءَ العصبيّة المذهبيّة حتى بين المذاهب الأربعة التي تعزى إلى السنّة أنفسهم. وكُتُبُ التّاريخ مليئة بأخبار المعارك التي كانت تنشب بين أبناء هذه المذاهب، وكم سُفِكَتْ دماءٌ مسلمة محرّمة في هذه المعارك التي كانت تقوم في بغداد عاصمة العبّاسيين، يجرّد فيها المسلم سيفه في وجه أخيه المسلم لمجرد الاختلاف في الرأي ناسين قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا التقى المُسْلِمَان بسيفيهما فقتل أحدهما صَاحبَه فالقاتل والمقتول في النّار. قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صَاحبِهِ». أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي.

ولو تركوا باب الاجتهاد مفتوحاً أمَام كل مسلم مؤهّل ليستعمل عقله الذي هو الحجة عليه وفهمه الذي منحه الله إيّاه لما نشأت العصبيّة المذهبيّة، ولا سفكت

الدماء المسلمة بغير حقّ، ولما تجرأ البعض على تكفير إخوانـه المـسلمين لمخالفتـه في الرأي ما داموا يؤمنون بالله ربّاً وبمحمد نبيّاً، وحسابهم على الله.

ومن المؤسف أنّ هذه العصبيّة المذهبيّة لا تزال حيّة عند غالبيّة العلماء إلاّ مـن رحم ربّك وقليل ما هم، ونحن لا نملك إلاّ أن ندعو اللهَ سبحانه وتعـالى أن يجمـع شمل المسلمين ويوحّد كلمتهم ويفتح أبصارهم وبصَائرَهم على هداه ويعيد إلـيهم روح الأخوّة الإسلامية، فيشعرون أنّ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يـسلمه، كـما جاء في الحديث المتفق عليه. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. (انتهـى مـا حرره القاضي الارياني في دمشق ١٥ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ٧ حزيران ١٩٨٢م).



الإرياني (علي بن يحيى)

(١٣٢١ - ١٣٥٨هـ/١٩٠٢ - ١٩٣٩م)

القاضي العلامة الأديب جمال الدين علي بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن حسين الإرياني.

كانت ولادته في محرم سنة ١٣٢١هـ في حصن إريان من بلاد يريم المسماة قديماً «يحصب» وبينها وبين هجرة إريان نحو نصف ميل، ونشأ صاحب الترجمة بحجر والده وقرأ عليه في النحو والفقه ثم رحل إلى صنعاء وقرأ على العلامة إسماعيل بن علي الريمي والسيد عبد الخالق بن حسين الأمير والقاضي عبدالله بن محمد السرحي والسيد أحمد بن علي الكحلاني، وأجازه والده القاضي العلامة العماد يحيى بن محمد والسيد سليمان بن محمد الأهدل والسيد أحمد بن محمد الأهدل، وله شعر حسن من ذلك قوله:

كفى شرفاً أني لرب الورى عبد	فهل بعد ذا فخر وهل بعد ذا مجد
ولم أك فرداً في العبودية التي	تعم ولكني بمخصوصها الفرد
لقد صرت لا أخشى سوى الله إنه	قدير فمنه النفع والضر والرشد
وإني غني عن سواه فليس لي	إلى غيره من حاجة فله الحمد
فلو قال لي جبريل هل لك حاجة	لقلت له أما إليك فلا تبدو

وله فيمن اسمها كرامة:

قيل لي ما اسم من تحب فقد جا	ء إلينا مظللاً بالغمامة
قلت إن كان ما زعمتم من التـ	ـظليل حقاً فإن تلك كرامة

وكتب إليه بعض الإخوان هذا السؤال:

يا أيها النحوي من	غدا جديد الفكرة
أية موصول أتى	لنا بدون صلة

فأجاب:

وافى سؤال من أخي ... فهم ورب فطنة
يسألني عن اسم مو ... صول بدون صلة
وهاك قد أخرجته ... بعد اللتيا والتي

وله مُورياً في الدميم وهي قرية في وادي حوار من بلاد يريم:

يقول لنا حوار خير أرض ... ومنها للمقيم بها النعيم
فقلت له وأين الحسن منها ... وأحسن ما بساحتها الدميم

وله في حسن التعليل بوضع اليد على الجبهة عند السلام:

لم يكن وضعي يدي في حاجبي ... حين وافيت الذي فاق العمر
لسلام بل لأني خفت من ... نوره الوهاج من خطف البصر

وقال في الشمسية مضمناً بيت البردة:

وما رفيقة شخص في النهار فإن ... أتى الظلام قلاها غير محتشم
مثل الغمامة أنَّى سار سائرة ... تقيه حر وطيس للهجير حمي

وله:

لا تلمني إن قلت إنك مني ... مثل عرضي في عزه أو كديني
لم أقل أنت مثل روحي لأني ... أبذل الروح باللقى للمنون

أخذه من قول بعضهم:

أحبك يا ظلوم وأنت مني ... مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أقول كمثل روحي ... خشيت عليك بادرة الطعان

وكتب إلى والده هذه الأبيات يطلب منه الإجازة المعهودة بين أهل العلم:

رقى في سماء المجد والعز صاعدا ... فصار بشهب المكرمات متوجا
إليه تناط المكرمات بأسرها ... وعنه حديث الفضل يُرْوَى مُخَرَّجا

ولا عيـب في أخلاقـه غـير أنـه يرى الذهب الإبريز في الجود بهرجا
سليل الكرام الغر مـن آل يـشجب ومـن هـو روض بـالعلوم تأرجـا
بدا في سماء العلـم شمـساً وسـار في بـروج العـلا بـدراً منـيراً مـسرجا
هو الشمس لا يخفى على غير ارمـد أضاء بليل الجهـل والغـي إذ دجـى
أمـولاي يـا رب المعـارف والنهـى وفاتح بـاب العلـم إذ كـان مرتجـى
بـربكم ألا أجـزتم رقـيقكم فمـن غـيركم منـه الإجـازة ترتجـى
وإن لم أكـن أهـلاً لـذاك فـأنتم له الأهل يا شمس الرجاحة والحِجى
ومُنّـوا عليـه بالـدعاء تفـضّلاً عـصاه بـه في الحشر يظفـر بالنجـا
فـلا زلـت بـدراً في العلـوم مـتمماً ولا زلت في كشف المهمات ترتجى

فأجاب والده رضي الله عنه بقوله:

لقـد جـاء مـا روّى الفـؤاد فأثلجـا نظـام بـأنواع البلاغـة تُوِّجـا
مـن الولـد الـبر البليـغ نظامـه جمـال الهـدى لا زال للخـير يرتجـى
نظـام بـديع للإجـازة طالـب كما سن أصحاب الحديث أولو الحجى
ولا غـرو إن سـاعدته بإجـازة وإن لم أكـن أهـلاً لمـا هـو قـد رجـا
فـذلكم قـد كـان منـي تطفـلا فصرت على مغنـى العلـوم معرجـا
أجزتـك يـا نجـلي جميـع روايتـي لكتب علوم الشرع لست مـدعلجا
بفقـه وتفـسير ونحـو ومنطـق وعلـم عـن المختـار يُـروى مخرجـا
وشرطي كشرط العالمين أولي النهـى وكـل لـه فـيها أجـازوه حـشرجا
أثـابكم الـرحمن مـا ترجونـه ولا زلـت بكـا في الهـدى متبلجـا
وأوصيك تقوى الله في الـشأن كلـه وأن تقفـو المختـار تظفـر بالنجـا
فـما مـنهج التقليـد مـن شرع ديننـا فمن ركب التقليد في العلم سـبرجا
وأرجو دعاء منـك يـا ولـدي فقـد تحملـت ذنبـاً كـان كالليـل سـنبجا
وصـل عـلى خـير الإنـام محمـد وآل وصحب ناشري الـبرق في الـدُّجى

وكتب إلى أبيه وهو بصنعاء قائلاً:

خذ الأمن لي من بارق لاح من صنعا ... فصارمه قد قدَّ من صبري الدرعا
وأشجى فؤاداً خالياً عن سوى الهوى ... واذكرني عهداً بها لم يزل يرعى
أيا هل تراه في جفوني خافقا ... فما لاح إلا أهملت سحبها الدمعا
وقل لنسيم هَبَّ من نحو أرضها ... أماناً فعقلي كاد إذ هب أن ينعى
وما شاقني ذكر الحسان بسوحها ... فقد ملت زهداً عن هواهن لا طبعا
ولكنه قد جاءني حاملاً شذى ... علوم عماد الدين من شيد الشرعا
وليس الذي حاز الكمال تطبعا ... كمثل الذي كان الكمال له طبعا
فيا أيها المولى الذي بعلومه ... وأوصافه قد شنف الصحف والسمعا
ألا أن لي شوقاً إليكم يشفني ... فقد ضقت من حمل النوى والهوى ذرعا
فإن يك في (ريمان) جسمي قاطنا ... فروحي لديكم ليس يبرح عن (صنعا)
فجودوا علينا بالوصال لعلنا ... بقربكم من بيننا نجبر الصدعا

وله من قصيدة ضمنها أقسام الحديث، جاء فيها:-

ودي «الصحيح» أذعته للعُذَّل ... «بمسلسل» من مقلتي و«مرسل»
و«ضعيف» جسمي شاهد عدل لدى ... «حسْن» القوام بلوعتي وتبلبلي
من ذكره في القلب «موضوع» وو ... دي غير «متروك» وغير «معلل»
والقلب «مضطرب» و«مقطوع» العـ ... ـرى للحاظ «مشهور» الجمال الأكمل
أنا «مدرج» بمدارج الأسقام إذ ... أبليت في داء الغرام «المعضل»
فالنوم «متفق» مع الأحباب في ... هجري و«مفترق» الهموم برزن لي
والسهد والأجفان «مؤتلفان» في ... ليلي و«مختلفان» في ليل الخلي
وعزيز قدري كان «مرفوعا» وإذ ... ذقت الغرام أزلته بتذللي
أمسى لـ «منقطع» الوصال مسهدا ... في «مبهم» الليل الطويل الأليل
فكان هذا السهد «موقوف» على ... ما كان في الدنيا «غريب» المنزل
أتراه ينقلب الأسى فرحاً وذا ... «مقلوبه» ما زال عين الأول

وإذا انثنيت عن الصبابة تائباً | كفرت «منكر» صبوتي وتغزلي
بمديح من مدحي له «عال» وإن | أمدح سواه فـ «نازل» في الأسفل
حبي لطه «مسند» و «معنعن» | أرويه «متصلاً» إلى السلف العلي
أنا لست حياً «مدنساً» كلا ولا | «شذيت» في نظم المديح المجمل
أأطيق حصر فضائل المختار من | هو «فرد» فضل وهو أفضل مرسل
كلا فإن «مديح» الأوصاف لا | يحصى فأوجز في المديح وأجمل
فعليه صلى الله كل عشية | والآل أهل الفضل والشرف الجلي

ومن شعره:

مالي أُلام على هجري الأضاليلا | ولِمْ أعنف في تركي الأباطيلا
كأنني قد أتيت اليوم فاقرة | في الدين توجب أهلاكاً وتنكيلا
لما علمت بما قاله الإله وما | قد جاءنا عن رسول الله منقولا
وقلت يا قوم امّوا ذلكم ودعوا | من قول غيرهما تلك الأقاويلا
فالله قد أكمل الدين الحنيف لنا | وبَيَّن الحكم تحريماً وتحليلا
أبعدما تَمَّ نرجو من سواه لـ | ـهذا الدين تتميماً وتكميلا
هيهات قد قطع الوحي الشريف بمو | ت المصطفى زاده الرحمن تبجيلا
لما افترقتم بهذا دينكم شيعا | كل يكفّر من ناداه تضليلا
لولا التفرق لم تمسوا وعزكم | بكف غيركم يا قوم معقولا
ولا تملكت الأعداء أرضكم | ولا غدا بهم الإسلام مغلولا
والله ما اختل عقد من نظامكم | إلا غدا عزمكم يا قوم محلولا
ألم تروا روضة القرآن كم عبر | قطوفها ذُللت للعقل تذليلا
وكلما ذمه ممن مضوا فلكي | لا تعمل اليوم ما قد كان معمولا

وقبل وفاته بعدة أيام استشعر المترجم له دنو الأجل المحتوم فكتب قصيدته الأخيرة متسائلاً عن سر غفلة الإنسان عن الموت، فقال:

أتعرف كنه السر في الغفلة العظمى | عن الموت إنا لا نحيط به علما

ألم يـك هـذا المـوت حقـاً فـما لنـا | ونحـن نـراه الحـق نحـسبه وهمـا
ألم يـك مـن حـق المـصدق بـالردى | بـأن يـترك الأهـوا ويجتنـب الظلـما
وأن ينبـذ الأطـماع والـشح خلفـه | وأن يلزم التقـوى ولا يهجـر العلـما
وأن يطـرح الـدنيا تقـىً وقناعـةً | وأن يجعل الأخرى مهمته العظمـى
فـما بالنـا ملنـا إلى العكـس إنهـا | لمـشكلة تـستوقف العقـل والفهـما
فيا نفس هل من توبـة تنمحـي بهـا | ذنوبي الذي قد أورثـت قلبـي الهـمَّا
هبي إن هذي الأرض ملكك كلهـا | وإنك نلت الأمـر والنهـي والحكـما
أمـا غايـة الكـل الفنـا وكـل مـا | سـوى الله فـإن لا يجـار ولا يحمـى
ألا تـذكرين القـبر والقـبر منـزل | به يـسأل الإنـسان عـن دينـه حـتما
ألا تذكرين البرزخ المـوحش الـذي | تقيمين فيـه بعـد هجرانـك الجـسما
ألا تذكرين الحـشر والنـشر بعـد ذا | فَهَـوْ لُهـما يلهـى عـن الولـد إلا مـا
يُـساق الـورى إمـا إلى النـار أو إلى | رياض من الجَنَّات فيها لنـا النعمـى
كفى ما جرى يا نفس فالعمر قد مضى | وولى وكيف الخطب إن كان قـد تمـا
أخاف هُجُـوم المـوت قبـل تخلـصي | من الذنب إن الذنب قد انحل الجـسما
فيـا رب إني فـازع لاجـئ إلى | حمـاك ومـن لم تحمـه فهـو لا يُحمـى
فقل يا إلـه الخلـق إني عفـوت عـن | (علي) فما أولاك بـالعفو والرُّحمن[1]

توفي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م عن سبعة وثلاثين عاماً، وهـو والـد صـديقنا الأستاذ مطهر الإرياني وله ديوان شعر رتبه أخوه القاضي العلامة عبـد الـرحمن بـن يحيى الإرياني، وقد قدم لي هذه الأوراق المخطوطة من شعره:

ومما جاء في شعره ضـمن الأوراق المخطوطـة التـي بعـث بهـا إلينـا القـاضي الأستاذ الأرياني، وفيها:

«من شعر الولد العلامة القاضي علي بن يحيى بن محمـد بـن عبـدالله الإريـاني رحمه الله قبيل وفاته في محرم سنة ١٣٥٨»:

(١) نزهة النظر ٤٦١ ـ ٤٦٥.

مضى عامنا للشر والبؤس طاويا ... فهل جاء هذا العام بالخير قاضيا
وهل سيعود العدل فيه مؤيّدا ... ويصبح عرش الجور في الأرض خاويا
وهل سيعود المجد في الشرق ضارباً ... سرادق عزٍّ أم لا يدوم مجافيا
وهل يُرجع الإسلام مفقود عزه ... ويرفع مجداً للعروبة عاليا
ويرجع دين الله غضًّا ويغتدي ... كما كان في أيامه الغر ساميا
وتعطى فلسطين العزيزة حقها ... فيصبح في ساحاتها الأمن ساريا
وتخمد ناراً أضرمتها عداتها ... عليها أباد الله منها الأعاديّا
عجبت لمن يبغي حماية كافر ... ضلالاً وهل يحمي العدو المعاديا
وللمشتكي جرى الأعادي وأنه ... بإدخالهم أوطانه كان ساعيا
فهل غيره قاد الخطوب لنفسه ... وهل غيره أضحى على الشعب حانيا
يعبّد للأعداء سُبْل بلاده ... ويصرخ منهم بعد ذلك شاكيا
رويداً فما يشكو سوى صنع نفسه ... ومن زرع الغدر اجتناه دواهيا
فقل لشعوب المسلمين عليكمُ ... بسيرة طه كي تنالوا المعاليا
مباديكم عضواً عليها فلم تجب ... شحوبٌ تراعي في الأمور المباديا
مباديكم عدل وحلم وحكمة ... فهل كنّ هذا اليوم فيكم توافيا
إلا إنكم ضيعتموها فضعتم ... وأصبح عنكم هيكل المجد خاليا
فعودوا إليها كي يعود إليكم ... من العز والإقبال ما كان نائيا
ولوذوا برب الناس جل جلاله ... فليس سؤالا أن دهى الخطب حاميا
وما لاذ بالخلّاق إلا الذي غدا ... على السنن الكونية اليوم جاريا
يُعدُّ لمن عاداه أكمل عُدةٍ ... فيرجمه إن جاءَ بالبغي خاسيا
فواعجبا للمرء يرجو العلا وقد ... غدا شعبه عن عدة الحرب عاريا
فيا رب جُدْ للمسلمين بنفحةٍ ... تُعيد بهم روح الهداية ساريا

وله رحمه الله ناصحاً الإمام المتوكل سنة ١٣٥٦:

قف للخليفة موقف النصاح ... لا موقف الشاني له واللاحي

وارفق ولا تشطط لدى تأنيبه ... واخفض بسطوته أعز جناح

وأصدق إذا ما رمت نصح جنابه ... فالبهت في الإسلام غير مباح

الصدق أدنى للسلامة إن ترد ... نصح المليك السيد الجحجاح

واجعل قيامك بالنصيحة حالما ... لله تمس مكللا بنجاح

واجعله منبعثا من الود الذي ... لم يمحه من لوح قلبك ماحي

قل يا أمير المؤمنين وخير من ... نصر الهدى بأسنّةٍ ورماح

لا تجعل الإصلاح ذنباً لإمرءٍ ... يسجى به في غدوةٍ ورواح

شرّ الملوك مملك يخشى أذى ... سطواته الساعون بالإصلاح

حاشاك إنك واحدٌ في حلمه ... مصغ إلى الوعّاظ والنصاح

مولاي إن المصلحين قضوا بأنّ بلادنا في هوة الأتراح

وكأنكم إن تهملوا إصلاحها ... نزل العدو بها بغير كفاح

أيدتهم جندٌ هضمتم حقه ... أم قوة الحرّاث والفلاح

والكل عزْلٌ عن سلاح الحرب يا ... بذر الهدى والحبُّ خير سلاح

الشعب يشكو الفقر في أبنائه ... والفقر أعظم صارم ذبّاح

فارحم رعيتك الذين تفرقوا ... من فقرهم في أنجدٍ وبطاح

سل عنهمُ (آديس بابا) إنه ... يشكو هناك تزاحم الأرواح

ما هاجر اليمني عن أوطانه ... طمعاً بجمع المال والأرباح

فعليه قد مضت السنون وإنه ... في داره في عزّةٍ وفلاح

ما فارق الأوطان إلا مُرْغَماً ... يبكي ذويه بمدمع سفّاح

ما ذاك إلا ناتجٌ عن نكتة ... الصمت عنها جاءَ كالإفصاح

لولا الملام لكنتُ عنها مفصحاً ... لكن سكوتي ناب عن إفصاحي

فإذا أردت دوام ملكك فاجتهد ... في العدل في الداني مع النُزّاح

الظلم كالطامات في الأوطان يا ... بدر الهدى والعذر كالمصباح

العدل للأوطان خير وقايةٍ ... وأجل عدّة حايفٍ لكفاح

مولاي إن الشعب مفتقر إلى ... تنويره بمعارف الفَتّاح

مولاي والشرع المطهّر قد غدا ... كرةً بكف اللاعب المطماح

ضاعت حقوق المسلمين وأهملت ... إذ أصبحوا بتخاصم وتلاحي
مولاي إن الشعب مفتقرٌ إلى ... التهذيب والأخلاق والأرواح
أحكامه لم تستقر كأنها ... ريشٌ تساقط في مهبّ رياح
يا هل ترى لخصامهم من غايةٍ ... قصوى لديها راحة المرتاح
ما هكذا شرع النبي فإنه ... طبّ الكلومُ ومبرئ الأجراح

وكتب إلى إمام العصر تهنئة ونصيحة في عيد الأضحى ١٣٥٧ هذا نصها:

عادت عليك عوايد الأفراح ... يا ناصر الإسلام والإصلاح
وبقيت بدر هدايةٍ للمهتدي ... وغياث ملهوفُ وبحر سماح
وسلمت للأوطان تحرس ثغرها ... من ملحدٍ في دينه وإباحي
وعليك عاد العيد هذا بالعلا ... وبكل ما ترجو من الفتاح
مولاي هذا العيد عاد وشعبنا ... في حالةٍ تلهي عن الأفراح
أيطيب عيد والعروبة تصطلى ... بخطوبها في أنجدٍ وبطاح
يتلاعب المستعمرون بها وما ... في العرب من مستيقظ أو صاحي
لا عيد لي حتى أراها حرةً ... معصومة من غيّها بفلاح
ما العيد إلا يوم عودة مجدها ... ورجوع ما ولّى من الإصلاح
وطلوع نور العدل فيها مشرقا ... فالعدل للأوطان كالمصباح
أمّا وحالتها كما هي فليكن ... عوض ابتسام العيد رجع نواح
فشعوبها في غفلةٍ وملوكها ... حاشاك أشباح بلا أرواح
قد أنفد المستعمرون سهامهم ... فيهم وهم في فرقةٍ وتلاحي
مولاي فاحذرهم فإن خداعهم ... باللب يفعل مثل فعل الراح
ولقد علمت بأنك الملك الذي ... يدري بما تخفون من أتراح
ويرى مفاسدهم وإن برزوا له ... متذرّعين ملابس الإصلاح
لا قدست آراؤهم كم عرقلت ... سعي الهداة فلم تفز بنجاح
فاهجرهم واحذر سياستهم وكن ... مستعصماً بالواحد الفتاح
واجعل قيامك بالهداية خالصاً ... لله تمس مكللاً بفلاح
لا زلت يا شمس الملوك مولدا ... تحمي الهدى بأسنّة ورماح
وبقيت للإسلام حصناً حاميا ... ولجيش حرب الحق خير سلاح

من شعر الولد العلامة القاضي علي بن يحيى بن محمد بن عبد الله الارياني في دخول سنة قبيل وفاته في محرم سنة ١٣٥٨

مضى عامنا للشرق البؤس طاويا ، فهل جاء هذا العام بالخير قاضيا
وهل سيعود العدل فيه موطدا ، ويصبح عرش الجور في الارض خاويا
وهل سيعود المجد في الشرق ظاهرا ، سيزداد عزام القوم محافيا
وهل نرتقي ارض العروبة فيهم ، سيأتي ويمضي دهرنا فينا كما هيا
وهل يرجع الاسلام مفقود عزه ، ويرفع مجداً للعروبة عاليا
ويرجع دين الله غضا ونعتدي ، كما كان في ايامه الغر ساميا
وتعطى فلسطين العزيزة حقها ، فيصبح في ساحاتها الامن ساريا
وتخمد نار اضرمتها عداتها ، عليها اما دامت بها الاعاديا

عجبت لمن يبغي خيانة كافر ، نعم لا وهل يحمي العدو المعاديا
وللمشتكي جور الاعادي وانه ، بادخالهم اوطانه كان ساعيا
فهل غيره قاد الخطوب لنفسه ، وهل غيره اضحى على الشعب جانيا
بجيئة للاعداء استبل بلاده ، ويصرخ منهم بعد ذلك شاكيا
رويداً انما يشكو سوى صنع نفسه ، ومن يزرع الغدر اجتناه دواهيا
فقل للشعوب المسلمين عليكم ، بسيرة طه كي تنالوا المعاليا
مبادئكم عضوا عليها فلم يجب ، شعوب تراعي في الامور المباديا
مبادئكم عدل وحلم وحكمة ، فهل كان هذا اليوم فيكم بواقيا
الا انكم ضيعتموها فضعتم ، واصبح عنكم هيكل المجد خاليا
فعودوا اليها كي يعود اليكم ، من العز والاقبال ما كان نائيا
ولوذوا برب الناس جل جلاله ، فليس سواه ان دهى الخطب حاميا
وما لاذ بالخلاق الا الذي غدا ، على السنن الكونية اليوم جاريا

بيده لمن عاداه الكل عده » فيرجح ان جاء بالعجز حامينا
فوا عجبا للمرء يرجو العلا وقد » غدا شعبه عن عدة الحرب عاريا
فيا عجبا للمسلمين بنفسهم » تحيد بهم روح الهداية ساريا
وقال ايضا في اوائل مرضه او قبله كما اخبرت بذلك

أتعرف كنه الروح في العقل العقلا عن الموت انا لا نحيط به علما
ألم يك هذا الموت حقا فما لنا ونحن نراه الحق نحسبه وهما
الم يك من حق المصدق بالردى بان يترك الاهوا ويجتنب الظلما
وان يجتنب الاثام والشر خلفه وان يلزم التقوى ولا يهجر العلما
وان يطرح الدنيا تقى وقناعة وان يجعل الاخرى مهمته العظمى
فما بالنا ملنا الى العكس انها لمشكلة تستوعب العقل والفهما

فيا نفس هل من توبة تنمحي بها ذنوبي التي قدما وحديثا فلي الهما
هب انك صدر الارض ملكك كلها وانك نلت الامر والنهي والحكما
اما غاية الكل الفنا فكلما سوى الله فان لا يجار ولا يحمى
الا تذكرن القبر والقبر منزل به يسأل الانسان عن ذنبه حتما
الا تذكرن البرزخ الموحش الذي تنغمر فيه بعد نعم انك الجسما
الا تذكرن الحشر والنشر بعده فهولها يلهي عن الولد الاما
يساق الورى اما الى النار او الى رياض من الجنات فيها لنا النعمى
كفى ما جرا يا نفس بالعمر قد مضى وولى وكيف الحظ ان كان قدما
اخاف هجوم الموت قبل تخلصي من الذنب انا الذنب قد انحل العظما
ولولا ذنوبي خوفتني لم ابل أباليا عن حادث الموت ام حتما
فيا رب اني فازع لاجئ الى حماك ومن لم تحمه فهو لا يحمى
فهل يا اله الخلق لي عفو عن علي فما اولاك بالعفو الرحما

اللهم جنبني بترهات الدنو سلك مستوى الامن والنجاة واعصمني من معصيتك يا كريم انتهى ما وجد بخطه رحمه الله تعالى

وله رحمه الله ناصحاً الامام المتوكل عام ١٣٥٢

نفس الخليفة موقف للنصاح ... لا موقف الشاكي لسر واللاحي

وارفق ولا تبشطط لدينا نبيه ... فالبهت في الاسلام غير مباح

واحمد ان اذا امارمت نصح ...

الصدق اذ للسلام ان ترد ... نصح المليك السيد الجحجاح

واجعل قياما ملك بالنصح خالصا ... لله تمس مكللا بنجاح

واجعله منبعثا من الود الذي ... لم يمحه من لوح قلبك ماح

قل يا امير المؤمنين وخير من ... نصر الهدى باسنة وصفاح

لا تجعل الاصلاح ذنبا لامرئ ... يسعى به في غدوة ورواح

شتى المفرق ملكك يخشى اذ لنا ... سطوا به الساعون للاصلاح

حاشاك انك واحد في حلمه ... مصغ الى الوعاظ والنصاح

مولاي ان المصلحين تخوفوا ... ببلادنا في هوة الاتراح

ويا نكم ان تهملوا اصلاحها ... نزل العدو بها بغير كفاح

ابراهم حبك هضم حقه ... امرقوه الحرات والفلاح

والكل عز عن سلاح الحريا ... بدر الهدى والحق خير سلاح

الشعب يشكو الفقر في ابنائه ... والفقر اعظم صارم ذباح

فارحم رعيتك الذين تفرقوا ... من فقرهم في النجد والبطاح

سل عنهم آديس ابابا انه ... يشكو هناك تزاحم الارواح

ما هاجر اليمني عن اوطانه ... طمعا بجمع المال والارباح

تعلبه قد هضت السنون وانه ... في دارة في عزة وفلاح

ما ان رق الاوطان الا مرغما ... يبكي وبدمعه سفاح

ماذا ارى الا نانح عن نكبة ... الصمت عنها خائنا كالافصاح

لولا الملام لكنت عنها مفصحا ... لكن سكوتي نابه عن افصاحي

فاذا اردت دوام ملكك فاجتهد ... في العدل في الداني مع النزاح

الظلم كالظلماء يصطلي في الاوطان ... بدر الهدى والعدل كالمصباح

العدل للاوطان خير وقاية ... واجل عدة حائف كفاح

وكتب إلى إمام العصر يهنئه وينصحه في عيد الأضحى سنة ١٣٥٧

عادت عليك عوائد الأفراح ... يا ناصر الإسلام والإصلاح

وبقيت بدر هداية للمهتدي ... وغياث ملهوف وبحر سماح

وسلمت للأوطان تحرس ثغرها ... من ملحد في دينه وإباحي

وعليك عاد العيد يمنا بالعلا ... وبكل ما ترجو من الفتاح

مولاي هذا العيد عاد وشعبنا ... في حالة تلهي عن الأفراح

أيطيب عيد والعروبة تصطلي ... بخطوبها في النجد والبطاح

يتلاعب المستعمرون بها وما ... في العرب منهم مستيقظ أو صاحي

لا عيد لي حتى أراها حرة ... معصومة من غيرها بسلاح

ما العيد إلا يوم عودة مجدها ... ورجوعها للأمن والإصلاح

وطلوع نور العدل فيها مشرقا ... فالعدل للأوطان كالمصباح

أما وحالتها كما هي فليكن ... عوض ابتسام العيد رجع نواح

فشعوبها في عقلها وملوكها ... حاشاك أشباح بلا أرواح

قد ا... المستعمرون سهامهم ... فيهم رحم في فرقة وتلاحي

مولاي فاحذرهم فإن خداعهم ... بالليل يفعل مثل فعل الراح

ولقد علمت بأنك الملك الذي ... يدري بما يخفون من أتراح

ويرى مقاصدهم وإن برزوا له ... متدرعين ملابس الإصلاح

لا تقتبس آراءهم بحكم فلت ... مسعى الهداة فلم تفز بنجاح

في هجرهم واحذر سبيلا منهم وكن ... مستعصما بالواحد الفتاح

واجعل يقينك بالهداية خالصا ... لله تمسي كلما بفلاح

لا زلت يا شمس الملوك مؤيدا ... تحمي الهدى بأسنة ورماح

ويعيش للإسلام حصنا حاميا ... والجيش جيش الحق خير سلاح

عبد الكريم الإرياني

(ولد ١٩٣٤ - ....)

أحد كبار السياسين في اليمن الحديث، وهو ابن أخ الرئيس اليمني الأسبق أستاذنا القاضي العلامة الشيخ عبد الرحمن الأرياني، ويعد من أقرب مستشاري الرئيس علي عبد الله صالح وقام بدور حاكم في تطوير الإستراتيجية السياسية لليمن الشمالي قبل وأثناء الحرب الأهلية.

ولد في أريان في ١٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٤ . وحصل على بكالوريوس زراعة من جامعة جورجيا، الولايات المتحدة عام ١٩٦٢، ثم على الماجستير من نفس الجامعة عام ١٩٦٤، وعلى الدكتوراه في الكيمياء الحيوية وعلم الوراثة من جامعة ييل عام ١٩٦٨ .

١٩٦٨ - ١٩٧٢: مدير مشروع زبيد الزراعي.

١٩٧٢ - ١٩٧٤: رئيس هيئة التخطيط المركزية.

١٩٧٤ - ١٩٧٦: وزير التنمية ورئيس هيئة التخطيط المركزية.

١٩٧٦ - ١٩٧٨: وزير التربية والتعليم ورئيس جامعة صنعاء.

١٩٧٨ - ١٩٨٠: مستشار صندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية.

١٩٨٠ - ١٩٨٣: رئيس الوزراء.

١٩٨٣ - ١٩٨٤: رئيس المجلس الأعلى لإعادة إعمار مناطق الزلزال الذي ضرب مناطق الجبال الوسطى في اليمن.

١٩٨٤ - ١٩٩٠: نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية.

١٩٩٠ - ١٩٩٣: وزير الخارجية.

١٩٩٣ - ١٩٩٤: وزير التخطيط.

١٩٩٤ - ١٩٩٧: نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية.

يونيو/ حزيران ١٩٩٥ : الأمين العام لحزب المؤتمر الشعبي العام.

مايو/ أيار ١٩٩٧: عقب الانتخابات البرلمانية أعيد تعيينه نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية.

٢٩ أبريل/ نيسان ١٩٩٨ : عين رئيساً للوزراء بالوكالة عقب استقالة الدكتور فرج بن غانم. وتأكد التعيين بعد أسبوعين.

الإرياني (علي بن علي) [1]

(١١٧١ - ١٢٢٩هـ/ ١٧٥٧ - ١٨١٣م)

القاضي العلامة علي بن علي بن حسين الإرياني مولده ثالث المحرم ١١٧١ وأخذ في فروع الهدوية عن القاضي عبدالله بن حسين دلامة الذماري وأخذ في الفروع والحديث عن عدة من علماء عصره وكان عالماً متقناً أديباً أريباً شهماً أريحياً فاضلاً فطناً شهد له القاضي الشهير يحيى بن صالح السحولي بأنه بقية علماء الشافعية بجهته وتولى القضاء بمدينة يريم وببلاد عتمة وتوفي هنالك في سنة ١٢٢٩.

الإرياني جمال الدين علي بن علي [2]

(كان حياً سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)

القاضي العلامة التقي جمال الدين علي بن علي بن عبدالله بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح الإرياني اليمني مولده بإريان غرباً من مدينة يريم ونشأ بحجر والده وأخذ عنه وحَجَّ مرافقاً لأخيه القاضي العلامة يحيى بن علي في سنة ١٣٥٣هـ وعينه الإمام يحيى كاتباً لتحريرات قضاء يريم ولما حجب عن الدخول إلى الإمام يحيى قال قصيدة رفعها إلى الإمام منها:

نشدتك هل مثلي يُصدُّ ويُحجب … وغيري يدنى عندكم ويقرب
ألم يك تسهيل الحجاب محتماً … يحث عليه شرع طه ويوجب
ولولا ضرورات أتتني إليكم … لما قمت في باب به العرض يُنهب

(١) نيل الوطر ص ١٤٨ رقم ٣٥٠.

(٢) نزهة النظر / ٤٤٣.

أعيذ أمام العصر من أن يغرّه ... سلاح وأجناد ومال ومقنب

وقد صانه الرحمن عن كل وصمة ... وعن كل ما عابوا سواه وأنبَّوا

وما الملك في الدنيا لفانٍ بدائم ... ولكنه لاشك والله يذهب

إِمام الهدى إني أتيتك راجياً ... وظني جميل فيكم لا يخيب

فقابلتموني بالصدود وبالقلى ... وغادرتمو دمعي من العين تسكب

وقد أخذ الرحمن عهداً موثقا ... على كل ملك منه يخشى ويرهب

بأن يجعل الإنصاف والعدل سنة ... وأن يتساوى فيه طفل وأشيب

فما بال أنصاف المكارم خصصت ... بأهل أزال إن هذا لا عجب

بودكم والحب قد مات والدي ... وكم كان قدما في هواكم يعذب

وإني بإخلاصي وودي كوالدي ... فهل جئت خيراً أم أنا لك أشعب

ومنها:

أتقصون أهل الخير والفضل عنكم ... وتدنون فأفأء ومن ليس يعرب

أمام الهدى إني وحقك لم أكن ... أميل إلى ميل الدنايا وأذهب

ولكنني للعلم والفضل عاشق ... وما لي بدهري غير ذلك مشعب

وهل تحقروني إن أكن متمسكاً ... ما ساد فرد بالتفخفخ يعجب

وصنوهُ هو القاضي في العلامة العماد يحيى بن علي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ بصنعاء.

***

الإرياني (علي بن حسين بن جابر)

(١١٣٠ - ١٢٠٠هـ/ ١٧١٧ - ١٧٨٥م)

القاضي العلامة التقي علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الصديق الإرياني الشافعي مولده في ذي الحجة ١١٣٠هـ وحفظ القرآن وأتقنه وتفقه بمذهب الإمام الشافعي وحفظ مذهب الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين رحمه الله وعرف أقوال الأئمة الأعلام، من أهل البيت عليهم السلام، وقد ترجمه بعض قرابته فقال:

رفض الدنيا وعَمَّر الآخرة ولبس الذكر الجميل ويا حبذا من حُلّة فاخرة وكان على جانب من الصلاح عظيم واستغرق أوقاته في عبادة السميع العليم، حسن الأخلاق، طيب الأعراق، له خط مليح، وعقل رجيح، وفهم صحيح، ومعرفة للفرائض والحساب، ويد طولى في الفتيا، كانت تأتيه السؤالات من معظم الجهات فيجيب عنها الأجوبة المفيدة ودرس العلوم النافعة بهجرة إريان وكان يحضر بعض الجن!! حلقة تدريسه للاستماع ولم تغره المناصب وزخارف الدنيا والملابس وكان يلازم الأوراد وله نزر يسير من الشعر يحتوي على ضوابط علمية وموته تقريباً في سنة ١٢٠٠هـ[1].

---

(١) نيل الوطر رقم ١٣٣.

الإرياني (علي بن عبدالله)

(١٢٧١ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٥٥ - ١٩٠٥م)

القاضي العلامة الأديب الشاعر البليغ الكاتب الشهير علي بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الصديق الإرياني.

مولده بإريان في ذي الحجة سنة ١٢٧١هـ، ونشأ بها، وأخذ عن القاضي يحيى بن علي الإرياني بالسماع والإجازة وعن السيد محمد بن أحمد الأهدل والقاضي يحيى بن حسن المجاهد والسيد داود بن حجر القديمي والسيد أحمد دحلان نزيل مكة وغيرهم. وفي تاريخ الحوادث ذكر أسباب هجرته مع أخيه العلامة حسين بن عبدالله إلى الأمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين وإنهما لما وصلا إلى صنعاء كان الباشا حسين حلمي قد هَمَّ بحبسهما لظهور قصيدة في تهييج الإمام المنصور سماها «الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور» وكان متكلماً فصيحاً وشاعراً بليغاً وله أرجوزة في الفقه نظم فيها معظم مسالك الدراري لشيخ الإسلام الشوكاني وتقرب من ألف وخمسة وثلاثين بيتاً فيما صح دليله واتضح سبيله.

توفي شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ في محل غربان من بلاد ظلمة، وخلف أولاداً نجباء منهم القاضي علي بن علي والقاضي يحيى بن علي وصنو صاحب الترجمة القاضي حسين بن عبدالله توفي سنة ١٣٤١هـ بمحل إريان، ومشائخه مشائخ أخويه القاضي علي بن عبدالله ومحمد بن عبدالله، وابن أخيهما القاضي العلامة العماد يحيى بن محمد والقاضي عبد الرحمن بن يحيى وعقيل بن يحيى، والقاضي علي بن يحيى[1].

---

(١) نزهة النظر ٤٤٤ وما بعدها، ومنظومة المترجم له في نظم مسالك الدراري المذكورة ذكرها السيد أحمد الحسيني في كتابه مؤلفات الزيدية ١/ ٩٩، ومخطوطة (الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور) منها نسخة بخزانتنا في أكاديمية الكوفة بهولندا.

وجاء في كتابه أئمة اليمن[1] في ذكر وفيات الأعلام سنة ١٣٢٣ قال:

وفي يوم ٧ ربيع الأول من هذا العام: مات مهاجراً في بلدة غربان من بلاد حاشد من أعاظم رجال وأعيان علماء دولة الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين القاضي الحافظ البارع الشاعر الناثر المنتقد المجتهد علي بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الوجيه عبد الواحد بن الصديق بن محمد السيفي الإرياني اليمني.

ولد في ذي الحجة سنة ١٢٧١ وأخذ عن القاضي يحيى بن علي بن عبدالله بن علي الإرياني، وعن الشيخ العالم محمد الطائفي الواصل إلى هجرة إريان، وعن القاضي يحيى بن حسن بن قاسم المجاهد الجبلي، وحج في سنة ١٢٩٤ أربع وتسعين. واستجاز من مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دحلان، ومن السيد سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل الزبيدي، ومن السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل الزبيدي، والسيد داود بن حجر القديمي الحسيني الزبيدي بعد أن جرت بينه وبين هؤلاء الأعلام مباحثات ومناظرات علمية في زبيد. وقد بلغ في تحقيق فنون العلم مرتبة عالية، ورجح واجتهد، ونظر وحقق، ودقق وانتقد. وبقي مدة بهجرة إريان لنشر الشريعة وإرشاد العامة مع كمال الأهلية والعفة والرأفة بالضعفاء وحسن الأخلاق والتواضع وعدم التكلف. ووفد هو وصنوه العلامة حسين بن عبدالله الإرياني في سنة ١٣٠٩ تسع وثلاثمائة على الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين إلى جبل الأهنوم فقابلهما بالإكرام واستقرا لديه مدة، ثم رجعا إلى إريان عن إذن الإمام، ولما بلغه وهو في وطنه إريان تجهيز الإمام المنصور من مقامه للمولى سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين في صفر سنة ١٣١٦ ست عشرة إلى همدان وغيرها من بلاد صنعا لمقاتلة الأتراك كتب إليه صاحب الترجمة قصيدة عامرة منها:

---

(١) ١/ ٤٦ وما بعدها.

الله أكــــبر زال الهـــم والكـــدر وأصبح الدين موصـولا بـه الظفـر
وأصـبح الـيَمن الميمـون في فـرح يهتـز كـالأرض إن وافى لهـا المطـر
والبيض والسمر في شوق وفي جذل مذ أصبحت للحـوم العجـم تبتـدر
جدعا لهـم فتيـة قـام الـضلال بهـم سـحقاً لهـم ولأعـوان لهـم فجـروا
قد صار ديـنهم القـانون مـا عرفـوا سـواه والـشرع عنـد القـوم محتقـر
قد كان قبل دخول الـروم في صـفر واليوم تاب وأجلى رجـسهم صـفر
لله در أنـــاس جاهـــدوا طمعـــاً بالحـسنيين وبـالمطلوب قـد ظفـروا
طـوبى لهـم وهنيئـاً طـاب فعلهـم هم جاهدوا وإمام الحق قد نـصروا
فإنه الآيـة العظمـى التـي ادّخـرت للآخـــرين ونعـــم الكنـــز يُـدّخر
يـا ابـن الـذين أتانـا في مـدائحهم نصّ الرسول وفيـه تـدرس الـسور
كـادت تطـير إلى لقيـاك أنفـسنا شوقاً لأنـك أنـت الـسمع والبـصر
إليك يا ابـن رسـول الله قـد وردت والمـاء يخبرنـا عـن وِرْدِهِ الـصدر
إن تقبلوها ففـضلاً مـن مكـارمكم أو لا فمنـــشؤها في باعـــه قِـــصَرُ

ولما أراد رسوله بها إلى سيف الإسلام المبيت بمدينة يـريم أخـذها منـه أحمـد صالح البحم من مشايخ البلاد وأرسلها إلى والي الأتراك باليمن حسين حلمي وهو بصنعاء فاشتد غضبه وطلب صاحب الترجمة إليه فوصـل صـنعاء وأمـره الـوالي أن يكتب بخطه لديه لينظر تشابه الخط وهل هي بخطـه مـع إنكـاره فكتـب بحـضور الوالي ثم خرج من لديه ريثما ينظر في أمره والخط. ومع ما كان عليه هذا الـوالي مـن الدهاء العظيم والفراسة والبراعة وشدة الإدراك فقـد سـمعه بعـض الأعـلام مـن صنعاء يقول: إن الخط واحد. ثم سار مع صنوه العلامة الحسين بن عبدالله الإريـاني إلى الإمام المنصور وصحبه وكان من أعظـم أعوانـه وأكثـرهم إعانـة لـه في الكتابـة ونحوها، وتزوج في تلك البلاد وسكن مدة في مدينة ذيبين ثـم في مدينـة حبـور ثـم مدينة غربان إلى أن مات بها. وله مؤلفات.

مؤلفاته

من مؤلفاته النافعة (منظومة) تزيد على ألف وثلاثين بيتاً مشتملة على ما يجب معرفته من المسائل الأصولية، ثم على معظم فقه السنة النبوية والأحكام الشرعية والمسائل النحوية والأخلاقية والصوفية، فرغ منها في صفر سنة ١٣٠٧ سبع وثلاثمائة وألف. ومنها قوله:

يقول راجي رحمة الرحمن ... عليّ السيفي فالإرياني
حمداً لمن قد شرَّعَ الأحكاما ... فبيّن الحلال والحراما
وبعد إن هذه الألفية ... في نظم فقه السنة المضية
عض عليها ويديك فاشدد ... والزم سبيل المنهج المحمدي
وقد تطفلت بهذا النظم ... مع اعترافي بقصور علمي
وغالب الألفاظ والمباني ... ملتقط من درر الشوكاني
وغيره من علماء السنة ... جمعنا الله بهم في الجنة
هذا وقد أردفتها بتكملة ... في النحو كي تتم في المحصلة
ثم ختمت عقدها بخاتمة ... في علم الإحسان لحسن الخاتمة
وإنما المقصود بالعلم العمل ... الصالح النافع إن وافى الأجل
وحق أن نشرع في مقدمة ... فيما علينا واجباً أن نعلمه
فالأول الإيمان بالله على ... وفق مراده وما قد أشكلا
نكل إليه علمه تعالى ... عن كل ما ينافي الكمالا
وبملائك وكتب رسل ... كن مؤمناً بها الجميع جملي
ويجب الإيمان باليوم الأخير ... أي ما إليه بعد ذي الدار نصير
من السؤال وعذاب القبر ... إلى المعاد وورود الحشر
إلى دخول جنة أو نار ... ويجب الإيمان بالأقدار

وله أرجوزة في الآداب النبوية والحكم الشرعية سماها (تحفة الندما بسيرة الحكما) أولها:

أحمد من شَرَّفنا بالحكمة وخصَّنا فضلاً بخير قسمة

وله رسالة سماها (كشف الهالة، عن مسألة الإقالة). ورسالة في أحكام التجارة وآدابها. ورسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾ نقل فيها كلام أكثر أهل التفسير للآية. وتعقبهم.

وجمع سيرة للإمام المنصور سماها (الدر المنثور من سيرة الإمام المنصور)[1] وقصيدة سماها (الإفادة في ذكر الأئمة السادة)، أولها:

تالله ما حلت لكم عن وداد لو قطعوا جسمي وصالاً وداد

وقصيدة إلى نحو ستين بيتاً ذكر فيها من مات من أكابر أعلام بلاد صعدة والأهنوم وصنعاء وذمار وزبيد واليمن الأسفل من سنة ١٣١٥ خمس عشرة إلى سنة ١٣٢٠ عشرين أولها:

حزن يدوم وعبرة لا تقلع ونوائب في كل حين تفزع

إلى أن قال في آخرها:

صدق الرسول بما يقول وأنه لا بد أن العلم حقاً يرفع
لم يبق هذا الدهر غير حثالة مالوا إلى حُب الحطام وأجمعوا
قوم لئام ليس يرجى خيرهم الشر من أغصانهم يتفرع
رفعوا سها دنياهم فتمزقت بهم الحياة تمزقاً لا يرقع
فالعالم النحرير منهم تائه متكبر متجبر متصنع
والزاهد الصوفي فيهم راغب يسعى لتحصيل الدنا ويجمع
والكل أتباع الهوى فأضلَّهم إن الهوى لهو الشجاع الأقرع

ولما مات المترجم له زاد على هذه القصيدة صنوه الحسين بن عبدالله قوله في رثاه:

---

(١) في بهجة النظر / ٥٠٠ ورد أن له كتاب بعنوان بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور، ولعله كتاب آخر عن الإمام المنصور.

وثوى بغربان جمال الدين من حاز العلا ذاك الأديب المصقع
بدر العلوم إمام كل محدث يا حبذا من للمعالي يجمع
لهفي عليه من إمام ماجد حاوي فنون العلم فذ أورع
رثا بهذا النظم جل أئمة جمعوا العلوم وكل شيء ينفع
فسقى ثراه كل يوم صيّب من رحمة وتحية تتتبع

ومن شعر المترجم ما قاله في تهنئة المنصور بالله محمد بن يحيى:

أهنيك يا بن الطهر من آل هاشم بفتح له سرت جميع العوالم
فقد جاء نصر الله والفتح كله وقد ولّت الأدبار قوم الأعاجم
فقل لأمير المؤمنين مهنئاً هنيئاً بما أوليته من مكارم
ولله هَمْدان ولله أرْحَب وحاشد حيّوا من رجال أكارم
هم القوم كل القوم إن كنت جاهلاً بنوه جميعاً قائماً بعد قائم

وقال مشيراً إلى القبائل التي حاربت العثمانيين، والمشير عبدالله باشا، وملّوحاً بالقبائل التي تقاعست عن حربهم، وذلك ضمن قصيدة وجهها إلى سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين وذلك سنة ١٣٢٣هـ:

أبى الله إلاّ أن يؤيد دينه ويرفع منه كل ما كان واهيا
ويهزم أجناد الأعاجم كلها فيصبح ملك الروم في الناس عافيا
ألم تر علج الروم رام بزعمه محالاً ومَنّاه الغرور الأمانيا
فوافى بأجناد وجيش عرمرم وأصبح جباراً على الله عاتيا
وقاد طغام الشام نحو إمامنا وآباؤهم قدماً تولوا معاويا
وذاقوا الذي ذاقوا بصفين مثلها فلله قوم قد أبادوا الأعاديا
ولله أيام (بوادعة) لقوا وفي (قمعة) يوم يهدّ الرواسيا
وفي (الغيل) قد لاقى الأعاجم وقعة وفاجأهم ليث المنية خافيا
وفي (القفلة) الغراء يوم محجل هنالك لاقوا أحمر الموت قانيا
بأيدي رجال جاهدوا بعزيمة وصدقٍ فكان الله عوناً وراعيا

وقـوم (العـصيمات) الـذين تخـالهم ... لدى الحرب أن لاقوا أسـوداً ضـواريا

مع (العذريين) الكماة لـدى الـوغى ... لقـد شـيّدوا ركـن العـلا والمبانيـا

ولله قــوم مــن (بكيــل) أعــزة ... تواطـوا عـلى مجـدٍ فحـازوا المعاليـا

(فسفيان) منهم ثم (وادعـة) العـلى ... وجـدناهم فيهـا سـيوفاً مواضـيا

وقوم من (الأهنوم) باعوا نفوسـهم ... مــن الله لم يرضــوا بــما كــان فانيـا

ويا ويح قوم من (حريم) و(خـارف) ... لقــد هــدّموا بيتــاً والعــز بانيـا

تبّروا من الأنـصار أن يفتحـوا لهـم ... فحــازوا المخــازي كلهـا والمـساويا

وايـهٍ (بنـي عـثمان) كيـف تـركتم ... النـصارى جميعـاً والعـدو المناديـا

وحــــاربتم آل النبــــي وحزبــــه ... نبــي الهــدى مــن قــام لله داعيـا

ومن شعره في رثاء أحمد بن محمد الشرعي المقتول سنة ١٣٠٩هـ:

السيدُ الورع ابن السيد الـورع ابـن ... الـسيد الـورع ابـن الـسيد الـورع

صفي الإسلام ليث الحـرب فاتكـه ... سيف الخلافة نجل السيد الـشرعي

قد كان يوم الوغى كـالألف تحسبه ... فبعـده المجـد أضـحى غـير مجتمـع

فــالله يرفــع في الفــردوس رتبتــه ... يــوم المعــاد وينجيــه مــن الفــزع

والمكاتبات بينه وبين أحبابه كثيرة ومن ذلك ما كتبه إليه القاضي الحسن بـن أحمد بن صالح العرشي (١٢٧٦ ـ ١٣٢٩) إذ كتب العرشي إليه متسائلاً:

يا سيد الأحباب مـا في نقطـة التقــ ... ــرير والتــذهيب مــن إعــلان

هل ذاك في الوجه الـصحيح زيـادة ... في الحُسن مثـل الخـال في الأوجـان

أم مــا يكــون فــإنني في مــذهبي ... شــبَّبت لا في وجنــة وغــواني؟

فأجابه القاضي علي بن عبدالله الإرياني:

العلــم قــالوا نقطــة فــيما أتــى ... عن صنو خـير الخلـق مـن عـدنان

من أجل ذا جعـل الأفاضـل نقطـة ... علــماً عــلى مــا صــحّ في البرهــان

أو ما رأيت الـشمس في أوج الـسما ... دلّــت عــلى التقــدير والإتقــان

وكأنهـا في الأوج نقطـة مـذهب بـل تلـك أسـنى عنـد ذي العرفـان
فاعضض عليها بالنواجـذ إن أتـت واحكـم عـلى مـا شـذّ بـالبطلان
هذا الجواب على الـسؤال فخـل يـا شرف الهـدى التـشبيه بالأوجـان

ونقطة التقرير هي الموضوعة في كتب الفروع بصنعاء وغيرها للدلالة على أن القول الموضوع فوقه (هب) أو في آخره لفظ (فرز) هـو المختـار للمـذهب الزيـدي الهادوي.

مفاخرة ماء بئر غارب أثلة في حاشد وماء بئر الباشا في صنعاء

لما سار المشير عبدالله باشا في الألوف الكثيرة من العساكر التركيبة نحو مدينة قفلة عذر من بلاد حاشد سنة ١٣١٦ انتقل الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميـد الدين رضوان الله عليه عن القفلة إلى جبل كوكب فدخل الأتراك القفلة وأقاموا بهـا ثلاثة أيام على أسوأ الأحوال ثم أحرقوا بعض بيوتها وساروا، فعاد أصحاب الإمام فوراً إلى القفلة وأطفئوا النار التي أضرمها الأتراك ببعض بيوتها وشاع على الألـسن أنها نضبت أيام إقامة الأتراك بها بئر غارب أثلة التي لا يشرب كل من أقـام بالقفلـة إلا منها، فنظم القاضي علي بن عبدالله الإرياني هذه القـصيدة محـاكماً فيهـا بـين بئـر غارب أثلة الحاشدية وماء بئر الباشا الصنعانية الهادوية مع القول بأنها للإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى المتوفى بصعدة سنة ٢٩٨هـ ولكنه وسعها بالقرن الحادي عشر الوزير محمد باشا فنسبت إليه:

الباشي المغلوب غير الغالب

طـال افتخـاراً مـاء بئـر الغـارب وعـلا وقـال أنـا رحيـق الـشارب
فقـت الميـاه بخفتـي وعـذوبتي فأنـا إذاً مـن مفـردات الراغـب
أصـلي مـن المـاء المبـارك زمـزم فـاشرب لمـا قـد شئته يـا صـاحبي
فحلاوتي تلهيك عـن كـأس الطـلا وعـذوبتي تنـسيك ريـق الكاعـب
لم يعرفـوا للـماء لونـاً مـا خـلا مـائي فـذلك أبـيض كالرائـب

ومتى رأيت عذوبة في أي ما ... فالأصل يجري من رحيق ترائبي
قل للموارد في الموارد كلها ... من ذا الذي يدلي ببعض مناقبي
لم يبق للباشي عندي مفخر ... ذهبت مفاخره كأمس الذاهب
فأجابه الباشي وقال له صه ... لا بد أن يَسْوَد وجه الكاذب
فأنا الذي فقتُ المياه بلا مِرا ... وصفت على رغم الحسود مشاربي
وعدول صنعا يشهدون جميعهم ... إن المعتق من رذاذ سحائبي
تسبى إلى الباشا كفاني مفخراً ... وبذاك طالت لحيتي وشواربي
وانظر إلى الوراد حول مشارعي ... كم من شباب يستقون وشائب
فعلام تفخر يا بؤير تطاولا ... فاحذر بأن ينشبن فيك مخالبي
ولقد نظرت إلى حماك فلم أجد ... غير القرود وباقر وثعالب
فأجابه البئر المبارك قائلاً ... الآن صحَّ لنا بأنك ناصبي
أعليَّ تفخر بالعلوج وأنهم ... جماع كل مثالب ومعائب
أو ما علمت بأن رهطي (حاشد) ... أسد الشرى بمشارق ومغارب
ولنا بأهل البيت أطول مفخر ... كم من إمام قد أقام بجانبي
فأنا محب للنبي وآله ... قَالٍ لكل منافق ومشاغب
أو ما رأيت الروم حين تجمعوا ... حولي قد انتشرت عليَّ ذوائبي
واريت عنهم صورتي فتركتهم ... يتلاهثون وذاك بعض عجائبي
حسبي من المجد المؤثل إنني ... أصبحت ورداً للإمام الطالبي
يعسوب آل محمد منصورهم ... خير الخلائق من سلالة غالب
هذا الذي أحيى معالم شرعنا ... حقاً وقام بندبه والواجب
وأذل أعلاج الأعاجم كلها ... حتى غدوا غرضاً لسهم السالب
من بعد هذا ما أرى لكم مفخراً ... فاذهب أبا الأوساخ شر مذاهب
واحذر من الظلم الوخيم وكسبه ... لا تجحدن مناقبي ومناصبي
فهنالك الباشي راح مغاضباً ... ومؤاذناً بتناضل وتحارب

جمع الجيوش من الأعاجم واعتدى | بمدافع وبنادق وكتائب
وتجمعت أبناء (حاشد) كلها | كم من هُمام كالهزبر الواثب
فتحاولوا وتجاولوا وتقاتلوا | وتناضلوا وتقاذفوا بالذائب
ثم انجلت تلك المعارك كلها | والباشي المغلوب غير الغالب
من بعد ذلك ضمنوا وتحاكموا | شرعاً إلى سيف الإله القاضب
أعني عماد الدين مولانا الذي | حاز الكمال بفطنة وتجارب
العالم الطود الذي حاز النهى | فضلاً من الرحمن أكرم واهب
فالله يحفظه ويحمي ذاته | ويقيه كل نوائب ومصائب
ثم الصلاة على النبي وآله | شهب الدجى من طالع أو غارب

وقد أجاب وحكَّم أمير المؤمنين أيام سيادته بهذه القصيدة:

الماء جنس واحد

من بعد حمد للإله الغالب | ثم الصلاة على النبي الغالبي
والآل ما ذكر العذيب وما جرى العذب الزلال بعين بئر الغارب
فقد جرى التحكيم لي من جانبي | مائين بينهما قليل تناسب
من بعد أن حضرا وطال عليهما | حبل الشقاق فليس بالمتقارب
حضرا لدى قاضي القضاة وأبرزا | حججاً ولما يأتيا بثواقب
فتكافيا عند الخصام وحاولا | أن يحضرا إذ ذاك عند الكاتب
فأتى على بعد المزار ملفعاً | باشيهم بمطارف ومطالب
وبجنبه الأثلى وقال أنا الذي | قد حقق القاضي ببعض مناقبي
والعرب تعرفني وتعرف محتدى | ويطول فخراً في البرية شاربي
خص الإله بي المدينة حيث لا | غيري يقارب أو يداني جانبي
وكفى بمن هو عامري فخراً إذا | فاخرت يوماً بالإمام الضارب
محيي الهدى الهادي يحيى المنتقى | هل من مقال بعده لمشاغب
فهو الذي رفع افتخاري والذي | بدأ البناء لكوتي يا صاحبي

ولـذا تـرى الأشياع تقـصد كـوتي | للاعـتراف لفـضل ذاك الطـالبي
والمسجد المشهور للهـادي الـذي | بلـغ العـلا بمـضارب ومواهـب
في ساحتي وشـهود قـولي كـل مـن | لـدفاتر التـاريخ خـير مـصاحب
وأزال تـشهد لي ومـن قـد حلّهـا | مـن مـؤمن متـشيع أو ناصـبي
والـواردون لـصفو مـائي معـشر | هـم أهـل كـل رفاهـة وتجـارب
فـبهم فخـاري والـزلال شرابهـم | ليسوا من الأعراب أجهـل شـارب
لـو يعلمـون بـأن مـثلي في الـدنا | لأتـوا إليـه كتائبـاً بمقانـب
ثـم انـبرى الأثـلي يزهـو قـائلا | يا مـاء صـنعا قلـت قـول الكـاذب
والحـق يعلـو والـشريعة شـأنها | فـصل الخـصومة فاسـمعن مناقبي
مائي هـو العـذب الـزلال وخفتـي | معروفـة وأنـا سـلاف الـشارب
وأنـا الـرئيس لكـل مـاء طـاهر | والفخـر لي والمـاء بعـض كتـائبي
وأنـا الـدواء لكـل داء معـضل | وأنـا لأهـل الـدين أي مـصاحب
كـم طـاهر متطهـر كلفتـه | تجديـد تطهـير لغـير الواجـب
دع عنـك تطهـير الفـروض فإنهـا | لم تخل من أهـل الفـروض جـوانبي

لا فـضل فيـك عـليَّ إلا أن فيـك خصائـصاً فـافخر بهـا يـا صـاحبي
منهـا اقترابـك مـن حـشوش القـصر وهـي بطينـة مـن ذاك حاشـا جـانبي

ثـم اقترابـك مـن دكـاكين النـصا | رى كـم معـل بالعقـار وشـارب
ولكـم غنـاء في فنـاك وقينـة | كم راقـص كـم زامـر كـم طـارب
لا يعرفـون سـوى الـسفاهة سـنة | لا يرغبـون لـسنة ولواجـب
كم عاقـل عـن شرب مائـك زاهـد | كم مؤمن عن قرب سوحك هارب
أو لست أنت مثقف الأطـراف مـن | أهـل العبـادة يـا عـدو الراغـب
روجـت يـا جـار البوالـع للـورى | ترك الـصلاة فعلـت فعـل الخائـب
لـو أن فيـك شـهامة وسـعادة | مـا احتجـت يومـاً كـوة للطالـب
أبـرزت في تحسين مائـك حيلـة | وأردت أن تـسمو بقـول كـاذب

لو كنت مثلي لم تمانع شارباً لعرفت جانبك الوضيع وجانبي
ولأنت تدنى من لمائك شارب وتقوده للترك يا ابن العائب
كم من كريم الأصل قد ذللته ولكم ترى من شارب لك سائب
أما شهودك فالعدول سواهم أهل التقى وأصيل ماء الغارب
لو أنهم أعني شهودك راقبوا أمر الإله لبادروا بالواجب
ولهاجروا ولما تولوا معشراً ساموهم سوء العذاب اللازب
ولأكرموا تلك النفوس وحاولوا عزاً وفخراً وارتفاع مراتب
ولما رضوا بالمنكرات لا أتوا يا جار ذاك بفرية ومثالب
وأنا الكريم وبالأئمة مفخري وبكل آب للهوان مجانب
كائن ترى بقنا مشيدي عالم كم عامل كم واعظ كم خاطب
وأنا بنصرهم الكفيل وسل بذا يوم الحسين وذاك بعض غرائبي
كم من بغاة قد أرقت دماءهم وأتيتهم بمقانب وسلاهب
ولكم أسير زم نحو شهارة ولكم سليب منهم للسالب
أعلى تبغي أن تكون مفضلا يأبى الإله وعسكري وقواضبي
يأبى إمام العصر من ساد الورى بسيادة وعبادة ورواتب
أعني به المنصور أفضل من دعا لله فاحذر سطوتي وعواقبي
وأقول إن الأمر في ذا واضح لموافق ومخالف ومشاغب
الماء جنس واحد ذا قول أهل المذهب المشهور خير مذاهب
وبه يقول محمد وهو الذي أقضى به والحكم أخطر واجب
هذا الذي عندي ولست بحاجز عن رفعه للحاكم المتكالب
والله يرحمنا ويرحم ضعفنا ووقوفنا عند الحساب لحاسب
ثم الصلاة على النبي وآله ما دام يشرب ماء بئر الغارب

وبعد مضي سبعة أعوام من نظم قصيدة القاضي علي الإرياني وجواب مولانا الإمام عليها اطلع على ذلك في صنعاء سنة ١٣٢٣ ثلاث وعشرين بعد فتح الإمام

لهما في ذلك العام المولى العلامة شيخ الشيوخ أحمد بن عبدالله الجنداري فنظم هذه القصيدة منتصراً لماء الباشي الصنعاني:

أتوازني أم البقاع بقفلة

طال الشجار لماء بئر الغارب ... ولبئر يحيى بن الحسين الراهب

وهو الذي نعش الهدى ونفى الردى ... وله علينا كل حق واجب

وسمعت ما قالا وما حكم الذي ... فاق الأنام بكل قول صائب

ورأيت للبدوي أي تطاول ... في أنه من (مفردات الراغب)

دعوى الحلاوة فيك أمر لم يكن ... لو قيل ضد لم يكن بالكاذب

فلهما سواء والأزالي فائق ... في كل وصف مدعي للغارب

فبكت عيون العاقلين لما أتت ... بئر البوادي من خداع الخالب

فأتيت محتسباً ليحيى أن يرى ... في بئره أبداً مقال العائب

أما افتخاري فهو فخر ثابت ... بجبال صنعاء الذين بجانبي

من عالم أو حاكم أو سيد ... أو من إمام عادل أو راهب

لم أفتخر بالترك يوماً واحداً ... كلا ولا هم إخوتي وأقاربي

وزعمت فخرك بالأئمة ثابتاً ... إن الأئمة جيرتي وقواضبي

لولا الضرورة لم يحلك عاقل ... لو حل أي مشارق ومغارب

ما الفخر إلا بالجوار لراغب ... هل من فتى أبداً إليك براغب

عند الضرورة ميتة قد حللت ... في قول كل موافق ومشاغب

إن الأئمة والأفاضل شيعتي ... جاءوا إليك لخوف كل مطالب

أو لم يكن منصورنا في هنوم ... ما فيك من حبر ولا من طالب

ما الفخر إلا للشعاب هي التي ... أدنت إليك الناس كم من راهب

أما افتخارك بالإمام محمد ... فمقال زور لم يكن بالصائب

أو ليس نجلى قد تربى في يدي وبجامعي قرأ العلوم وجانبي

وكذاك آباء له وجدوده وسليله يحيى ملاذ الراغب

أو ما تراه مذ أباد الترك قد رجعت رواحله رجوع الآيب

أما جوارك فالوحوش تناوحت والجن والأنعام عند الشارب

أهل الكتاب مجاوروك قبيل أن يأتي إليك إمامنا بكتائب

إن التشيع من (أزال) أصله لا من جبال الجن حول الغارب

إن جئت بالإنصاف صف من من كاسب أو ضارب أو حالب

أو حارث أو قالط أو باقر أو سالم أو لاعب أو شاغب

لولا الضرورة ما أتاك مبيض إن الثياب البيض عنك بجانب

ودليل ذلك أن ثورك إن رأى مبيض أثواب يرى كالهارب

(وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة) لي برفع مراتبي

إن المهيمن لا يحب الجهر بالفحشاء لكن قول كل محارب

لا تفخرين بصحبتي وبأسرتي ليس المفاخر للئيم الغاصب

خرجوا إليك مهاجرين فثورت منك البعوض ببرثن ومخالب

والقمل بجانبيك مقاتل شرب الدماء بوجنتي والحاجب

أكلت لحومهم البعوض وقمل وتشفعت بأساود وعقارب

إن الشرائع كلها قد قررت تحريم إيذاء الغريب التاعب

تالله لا أقوى عذاباً بعدما دمهم جعلني منهلاً للشارب

وزعمت أنك مذ أتى الترك اختفى خداك عنهم بارتخاء ذوائب

فلئن صدقت فليس فخراً عندنا فرض النساء الستر أول واجب

وزعمت أنك بالدواء جديرة مالي أرى كل امرئ كالواصب

ذا أصفر ذا أجرب ذا أسود كم لاغب كم ذاهب كم شاحب

أتوازني أم البقاع بقفلة والطالع الميمون منك بغارب

وزعمت أني للحشوش مجاور ... هي مفخري بل تلك بعض مناقبي
أنت الذي إن حاجة عرضت له ... ضاقت عليه فيا له من تاعب
كل الأئمة أولاً وآخراً ... نشأوا جميعاً قاطنين بجانبي
فدعي الكذاب وراجعي قول الوفا ... فالزور والبهتان ليس بصائب
والترك ما هم جيرتي لكنهم ... جاءوا لنا بمدافع وكتائب
قد سامح الله الذي لا يرتضى ... أفعالهم من راقص أو طارب
ومحمد صلى عليه الله ما ... همل السحاب مع الفريق الطالبي

وفي لامية النبلاء:

وفي ربيع بغربان الشهير بحاشد ... قضى الحبر قاضي المسلمين على
الحافظ اللافظ النحرير مفخر إريان ... جمال وعاة السهل والجبل
ومن له منن عظمى بخدمة سنة المشفع طه خاتم الرسل
ونظمه الفقه والآداب والحكم المحمدية في نظم له رسل
وتحفة الندما في سيرة الحكما ... وفي التجارة والتفسير للأول
وكان خدن أمير المؤمنين محمد بن يحيى حميد الدين خير ولي
قضى بغربته أعوام هجرته ... عن واحد بعد ستين بلا مهل



الإرياني (فضل بن علي)

(ولد ١٩٢٤ - .....)

القاضي العلامة، فضل بن علي الإرياني، ولد عام/ ١٩٢٤م في (حصن ريمان) المطل على (هجرة إريان).

وفي بلدته تلقى تعليمه الأول على يد عدد من المدرسين، ثم على يد والده القاضي العلامة علي بن يحيى الإرياني.

وعند بلوغه سن الرشد هاجر إلى (صنعاء)، وتلقى معارفه في مجالات العلوم العربية والإسلامية، على يد عدد من المشائخ العلماء والأعلام، وعلى رأسهم جده يحيى بن محمد الإرياني وأحمد بن محمد زبارة، وعبدالله حميد، ومحمد العمراني، وعلي المغربي.

بعد حصوله على الإجازات العلمية في مختلف الفنون، عاد إلى بلدته، وتولى فيها مهام التدريس والتعليم، فانتفع به العديد من الطلاب والدارسين، وكان أول من جدد في أساليب التعليم في (هجرة إريان)، وقام بتدريس بعض الكتب المنهجية المقررة بمقدار ما كان يصل منها آنذاك إلى اليمن.

وانتظم في سلك القضاء، فكان أول عمل تقلده هو منصب الحاكم الشرعي لناحية (جبْلَة) ثم لناحية (القَفْر) ثم لناحية (شَرْعَبْ) مع فترة قصيرة في قضاء (الحُجَريَّة) ثم عمل عضواً في المحكمة الاستئنافية العليا (بصنعاء) ثم في المحكمة الاستئنافية في العاصمة الثانية (تعز) ثم رئيساً لمحكمة (شرق تعز) حسب النظام الجديد.

وهو غزير المعارف واسع الإطلاع مولع بالقراءة، حتى أنه في مجالس المذاكرة يدهش المتخصصين بمعارفه العميقة المتنوعة.

ولم ينظم الشعر إلا في ريعان شبابه لإظهار قدرته وعملاً بما كان سائداً، ولكنه ضليع في الميادين الأدبية، وله في التذوق والنقد الأدبي نظرات صائبة وقدرة بارعة.

وفي ميدان القضاء، كان الحاكم العادل الحازم الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، وهو بهذا معروف مشهور.

الإرياني (محمد بن عبدالله بن علي)

(١٢٥٥ - ١٣٣٣هـ/ ١٨٣٩ - ١٩١٤م)

القاضي العلامة الأديب عز الإسلام محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين الإرياني مولده بمدينة تريم في شعبان/ ١٢٥٥ أخذ عن والده العلامة فخر السلام عبدالله بن علي الإرياني وهو عن شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني، وأجازه إجازة عامة وأخذ عن القاضي يحيى بن علي الإرياني وعن السيد أحمد بن زيني دحلان في البيضاء وأجازه وأخذ عن السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي ومن شعره مداعباً له:

سمعت بذكراه فتاقت له نفسي	وقلت عسى أن يستقر به أنسي
لقولهم هذا أحمد بن محمد	إمام جبال العلم في صدره ترسي
فجئت إليه أستمد دعاءه	فلم ألقه في اليوم هذا ولا أمسي
فاذكرني ما قبل في مثل ما مضى	إذا لكم الكبسي لديكم أم الأنسي
ومن شأن أهل العلم فيهم تواضع	يكون لديهم مستدياً إلى الرسّي
وأأبى الدنى يأبى لقائي تطاولاً	ولي همة علياء تطول على الشمس

وكانت وفاته في شهر رمضان/ ١٣٣٣هـ وقبر في مقبرة هجرة إريان ورثاه ولده القاضي العلامة يحيى بن محمد بأبيات مطلعها:

مصاب عظيم في البلاد جليل	وحزن كبير في البلاد يطول[1]

* * *

(١) نزهة النظر / ٥٦١.

الإرياني (محمد بن عبدالله)

(ق ١٣هـ/١٩م)

القاضي العلامة محمد بن عبدالله الإرياني أخذ الفقه بمدينة ذمار عن القاضي أحمد بن مهدي الشبيبي، والفقيه عبدالله بن حسين دلامة، والقاضي شمس الدين بن محمد المجاهد. وترجمه مؤلف مطلع الأقمار فقال:

عالم رصين، وحاكم له في طرق الشريعة منهج مستبين، محقق في الفروع والفرائض، وكان من الحكام المشهورين. تولى القضاء للمهدي العباس في بلاد حفاش وملحان والمخادر وحبيش، وتولى لابنه المنصور على القضاء في يريم وفي إب وجبلة ومات بيريم في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي[1].

الإرياني (محمد بن علي)

(١١٩٨ - ١٢٤٥هـ/١٧٨٣ - ١٨٢٩م)

القاضي العلامة محمد بن علي بن علي بن حسين الإرياني مولده بهجرة إريان في سادس صفر سنة ١١٩٨هـ وأخذ عن الفقيه العلامة الحسن بن الحسن العفاري واستجاز من القاضي محمد بن علي الشوكاني وقد ترجمه بعض أقاربه وقال: كان عالماً واقفاً عندما أمر الله به في كتابه المبين، حافظاً سنة سيد المرسلين، خالياً عن كل وصمة تشين، شَمَّر لدرب العلوم، فحفظ المنطوق منها والمفهوم، وتولى عمالة بلاد يريم، وحكومتها للمتوكل أحمد بن المنصور وتولى بلاد قعطبة ومحلات أخرى فسار السيرة المرضية وتنقلت أحواله إلى أن صار وزيراً للمهدي عبدالله بعد أن خبره وعرف أنه واحد عصره فخدم الخلافة بعفة ونظافة ولم يجر على يديه إلا الخير للخاص والعام، وكان قد صفاه الله تعالى من المطامع التي تدنس الصدور ومات بصنعاء في ربيع الأول سنة ١٢٤٥هـ وقبره بخزيمة رحمه الله[2].

---

(١) نيل الوطر ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ رقم ٤٦٠.

(٢) نيل الوطر ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ رقم ٤٧٢.

الإرياني (محمد بن عقيل)

(ولد ١٩٢٥ - ....)

ولد القاضي العلامة الأديب، محمد بن عقيل الإرياني، في (حصن ريمان) المطل على (هجرة إريان) عام ١٩٢٥م.

وفي مسقط رأسه تلقى علومه الأولية، على يد عمه علي بن يحيى الإرياني، فقد تيتم بموت أبيه، كما تلقى عن عدد آخر من المدرسين والمشائخ.

وعند بلوغه سن الرشد، هاجر إلى (صنعاء) ولم يدرك جده يحيى بن محمد، فكان من مشائخه العلماء الأعلام، أحمد بن محمد زبارة، وعبدالله حميد، ومحمد العمراني، وعلي المغربي.

وبعد حصوله على الإجازات العلمية في مختلف الفنون، انتظم في سلك القضاء مبكراً، فعمل كاتباً لتحريرات محكمة ناحية (الشعر) ثم لمحكمة قضاء (يريم) ثم تعين حاكماً شرعياً لناحية (النادرة) ثم لفترة قصيرة لناحية (شرعب) ثم حاكماً لناحية (صبر) ومكث فيها إلى أن تقلد عمله الحالي، عضواً في محكمة النقض والإبرام في العاصمة الثانية (تعز)، وعرف في ميدان القضاء بالعدل والحزم والصرامة إقراراً للحق وإبطالاً للباطل.

وله في ميادين الأدب صيت ذائع، فقد قال الشعر مبكراً، وله القصائد والمطولات والمقطعات من الشعر العمودي الفصيح، وله تجارب في مجالات الشعر الحديث، وله قصائد زجلية من الشعر العامي ذي المكانة الرفيعة.

وهو شخصية بارزة في الحركة الأدبية اليمنية، وعضو مؤسس في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين في الشطرين، ومنذ أعوام انتخب ـ ولا يزال ـ رئيساً لفرع اتحاد الأدباء، والكتاب بتعز، وهو رئيس تحرير المجلة التي يصدرها الفرع فصلياً تحت اسم (المعرفة)[1].

---

(١) عن الأستاذ مطهَّر الإرياني (عام ١٩٩٠م).

عرس محمد بن عقيل

أقام القاضي محمد بن عقيل الإرياني عرسه بمدينة إريـان، وكـان عمـه العلامـة القاضي في حينه بمعتقل قاهرة حجة مع مجموعة من الأدباء المناضلين الذين آلمهم أن لا يشاركوا محمد بن عقيل فرحته وسعادته، فاتفقوا على نظم قصائد تهنئة على وزن وروي واحد، وأن يقدموها لعم المهنأ، رفيقهم في المعتقل العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني، وهكذا نظمت هذه المجموعة من القصائد الماثلة بين يدي القارئ، ولم يكتفـوا بتقـديم القصائد بل بنقدها نقداً علمياً وموضوعياً بحسب ما بدا لكل واحـد يومـذاك فتسلوا بذلك من مرارات الاعتقال والأثقال وعبّروا عن شعورهم بأحسن مقال، وكانت لفتة رائعة أن يضم القاضي الإرياني هذه القصائد إلى ما ورد في نقدها جميعاً ضـمن مجمـوع حققه وألّف ما بين دفّتيه الشاعر الكبير الأستاذ أحمـد عبـد الـرحمن المعلمـي وصـدر مطبوعاً عام ١٩٨٤ تحت عنوان نقد وشعر (أضـواء عـلى ثقافـة بعـض رجـال الـيمن ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) فمن أراد الرجوع إلى ما قيل من النقد فعليه مراجعة الكتاب وأما مجموعة قصائد التهنئة فها هي مذيلة بقصيدة القاضي محمد بن عقيل:

نغمات التهاني

• **الشاعر المبدع السيد أحمد محمد الشامي:**

نغـمـات أفــراح ولحـــن سرور ... رقصت عليهـا مهجتـي وشـعوري

عزفــت ولا وتــر يجـس ولا فــم ... يشدو، وماجت كالصدى المسحور

تـسري مـع النـسمات عطـراً فـائراً ... يـذكي الـشذى في روح كـل عبـير

ويجوب صمت الليـل صـوتاً هـائماً ... ينثـي سرائــر لحنــه المــسحور

أحســستها نغــماً مــذاباً في دمــي ... وعواطفاً سـكبت سنىً بـضميري

ومنـىً تطـير مـع الخيـال كأنهـا ... أسراب طــير أو عــرائس حــور

حاولت أمـسكها بـشعري فارتمـت ... في الجــو مثــل الطــائر المــذعور

أتبعتها نظري فغابت وانطوت
وتغلفت بالعالم المغمور

ظلت مع الأفلاك تسبح في الفضا
وتغوص في صبح وفي ديجور

تستفهم الأفلاك عن وطن النهى
والشعر والألحان والتصوير

حيث الهوى العذري يصدح نايه
بأرق آهات الجوى المصهور

حيث الطبيعة غادة فتانة
عذراء تحضنها أكف النور

ما بين ماء دافق أو غابة
أو شاهق متوشح بزهور

(إريان) مدرسة البيان وكعبة
العرفان والإيمان منذ عصور

حتى إذا اهتدت السبيل وحومت
منها بسفح شواهق وقصور

هطعت لها شُمّ الجبال وأنصتت
إنصات موسى يوم دك الطور

هبطت تفتش عن فؤاد طاهر
حر أبي ليس بالمأسور

وفؤاد طاهرة الأزار كأنما
خلقت وصيغت من سنى وعطور

وهناك ذابت بهجة وسعادة
ومحبة من لذة وسرور

ترشف الأنداء والأنوار من
زهر الهوى المنظوم والمنثور

وتزف باقات السرور تهانيا
زهراء صيغت من مذاب النور

يا بلبل الوادي السعيد تحية
تنبيك عن حبي وعن تقديري

حدث عن السحر الحلال وفعله
ما سر ما فيه من التأثير؟

من أين يستسقي المتيم لحنه
من أيما فيض وأي نمير؟

ما الحب؟ ما سر التجاذب ما مدى
تأثيره في الجسم والتفكير؟

ماذا يكون الكون لو لم ينتعش
بالحب قلب مجرب وغرير؟

سرُّ الطبيعة لا يبوح بكنهه
إلاّ يراع الشاعر المفطور

فانعش بفنك موميات جمالها
وابعث مفاتن سرها المطمور

وارسل خيالك في مجالي سحرها
واسبح به في بحرها المسجور

واغمس يراعك في مظاهر حسنها
واشرح جلال جمالها المغمور

مـا بـين روض ضـاحك بزهـوره ... فرشـته كـف ربيعـه بحريـر

والسحب في لجج الأصيل سفائن ... صـفراء تمـرح في ميـاه غـدير

في الـبرق، في الرعـد المزمجـر في الأسـى والبـشر في الإشراق والـديجور

في الحقل تـرقص كـالملاح غصونه ... في زغـردات النـاي والـشحرور

حكـم وأسرار إذا ناغيتهـا ... ناجتـك نجـوى العاشـق المحـرور

حـدث فأنـت بهـا خبـير شـاعر ... جـزل البيـان، موفـق التعبـير

واهنـأ بعـرس مثـل خلقـك باسـم ... سـيظل رونقـه بـلا تكـدير

وانعـم بـصفو سروره وسـعوده ... وحبـوره ونعيمـه الموفـور

واسـتقبل الـدنيا بثغـر ضـاحك ... وبنظـرة تغنـي عـن التـدبير

واعلم بـأن العـصر عـصر معـارف ... لا عـصر تخريـف ولا تزويـر

لا يخلبنـك زخـرف مـن باطـل ... جـسم الأفـاعي نـاعم كحريـر

والحق أقـوى مـا يـصول بـه الفتـى ... إن لم يـصب مـن عزمـه بفتـور

فـانهض بـه واسـأل ضـميرك دائـماً ... لا خـير في شـخص بغـير ضـمير

واجعـل لنفسك غايـة تـسعى لهـا ... بفـؤاد جبـار وعقـل خبـير..

لا تنكـرن نـصائحي إن أقبلـت ... في حـلي تهنئـة وثـوب حبـور

وتقول: حق العـرس بـشر خـالص ... مـا شـأنه ونـصائح التـذكير

لـيس الـزواج بـشهوة يقـضي بهـا ... أرب لغـاو أو هـوى لغـرور

لكـن حكمتـه تحمـل أسرة ... وبنـاء تـاريخ وخلـق دهـور

خـذها تحيـة معجـب متفائـل ... مستبـشر بعـلاك جـد فخـور..

قاهرة حجة ٢٤ ذي الحجة ١٣٧٠

بالرفاه والبنين

• للقاضي العلامة محمد بن أحمد السياغي:

نور على نور وفيض سرور ... ـ يا للمنى نيلت ـ وشرح صدور

وحي من القلب النقي لمثله ... بالحب أيقظه المهى بسفور

الله للجنس اللطيف فإنه ... نعمى الحياة وأنسها في الدور

ما الشمس تبدو للوجود إذا الندى ... درا تقطر في ثغور زهور

كلا: ولا وجه الصباح تنفست ... عنه السماء كشادن مذعور

يزهو: ولا تاج الأصيل كأنه ... فلك لطاووس يدور فخور

بأرق في عين الشباب إذا استوى ... من ناهد تجلى ربت في الحور

شطر الفتى الثاني فتاة تجتني ... بمآرب تسمو عن التعبير ..

والعيش إلا في حماها غصة ... عيش امرئ متزمت مبتور ..

(أحمد) يا ابن الأولى فخرت بهم ... قحطان من حقب مضت ودهور

وتباركت بهم العلوم وفجّرت ... أنهارها لمنابر وصدور

زفت إليك عقيلة من معقل ... أعلى المعاقل دونه كالطور

ولديك مثوى النازلين ممهداً ... من يقظة في فكرة وشعور

فاهنأ بها لا زلت في رفه وفي ... سلوى تمد ببهجة وحبور

واهنأ بأم للبنين تراهم ... في ظل عاطفتيكما كبدور ..

وإليكما من نازح في غربة ... طالت به ـ مصحوبة بقصوري

فاغفر إذا زل اليراع فإنه ... في كف مسجون النهى محسور

والشعر أن أهديكه فكحامل ... تمرا إلى ذي روضة متمور

لكنني أحببت فتح تعارف ... مع ذي تقى متأدب بشعوري

وتهيأ السبب النبيل: فقل إذن: ... نور على نور وفيض سرور

باقات الهنا

للأديب السيد إبراهيم بن علي الوزير:

أشعلت ألحاني بنار شعوري ... وصبغت أنغامي بنور ضميري
وأذبت في شعري هواي ومهجتي ... وسكبت فيه بهجتي وسروري
ونظمت للأفراح باقات الهنا ... قد طرزت حافاتها بزهور
ورفعتها بيد المسرة والصفا ... لفتى صفت أخلاقه كالنور
في يوم عرس ضاحك متألق ... يزهو على الأيام زهو أمير
يوم المسرة تسبح النسمات في ... جو يفيض ببهجة وحبور
والأرض من طرب زهت وتبلجت ... وتزينت بجمالها المسحور
والروض يضحك في الخمائل زهره ... وشذاه ينفح من معين عطور
والبدر يسطع فوق عرش الحب قد ... حُفّت به زهر الغواني الحور
شاهدته بمشاعري، ولمحته ... رغم الفضا والبيد والديجور
إن لم تكن عيني رأتك (محمد) ... إلا برق خيالة منشور
فلقد عرفتك في قريضك مبدعاً ... حي الضمير مسدد التفكير
فاسلم ودم واستر نقائص ناظم ... لم يوف حق الحب والتقدير
واهصر غصون البشر واقطف زهره ... وامرح بروضات الهنا الموفور
واقبل تحيتي التي ذوبتها ... من مهجتي وعواطفي وشعوري

(هاك شعوري)

للشاعر القاضي أحمد بن عبد الرحمن المعلمي:

الشعر لا أرضى: فهاك شعوري ... باقات زهر في الهناء عطير
حملت على أوراقها روحي ندى ... فيها يرى كاللؤلؤ المنثور
سقيت بماء من معين مودة ... سالت به نفسي وفاض ضميري

خـذها كـما تهـوى الأمـاني غـضة كـالفجر يـبدو وهـو غـض النـور
خـذها مـن الأضـواء أبهـى منظـراً خلابـة تحكـي ابتـسام ثغـور
قـد خـانني فيـك البيـان وعقنـي شـعري، وضـل سـبيله تعبـيري
ومشى يراعـي في الـصحيفة عـاثراً خجـلاً، ومـا عهـدي بـه بعثـور؟
خذ في الهنـاء ـ إذا عـصاني مقـولي ـ قلبـي، وأرجـو أن تكـون عـذيري
وانظـر إذا فتـشت في أنحائـه مقـدار أفراحـي وفـرط سروري
إن اللغـات جميعهـا والـشعر عـن خلجـات إحـساسي لفـي تقـصير
ولكـم معـان للنفـوس دفينـة عجـز البيـان بهـا عـن التـصوير
ولـذا سـأطرح في يمينـك مهجتـي كـيما تـرى فيهـا مـدى تقـديري
هـذي معالمهـا بـأبهج زينـة في مهرجـان قـد أقـيم كبـير
وانظـر بنـات خـواطري في مـرقص الأفـراح قـد لبـست ثيـاب حريـر
لكـأنها أعرسـت فيهـا فهـي كـم غنـت وكـم رقـصت بـدون فتـور
وانظـر إلى دنيـا فـؤادي إنهـا دنيـا نعـيم زائـد موفـور
أعرست فيهـا لـست عنهـا خارجـاً فجميعهـا في بهجـة وحبـور
واسـمع إلى شـعرائها وبهـم غنـى عـما يحـاول حملـه مـسطوري
فلو اعتـصرت الـشهب شـعراً نـيراً لك في الهناء لمـا ارتـضيت عـصيري
وأنـا عـلى بعـدي كـأني حـاضر طـرفي بهـذا العـرس جـد قريـر
إني أشـاطرك الـسرور وهـذه روحي لديك ومهجتـي وشـعوري
وكـما تعانقـت العواطـف قابـل التفكـير منـك مقـبلاً تفكـيري
ولنـاظري (إريـان) تبـدو جنـة خـضراء ذات حـدائق وزهـور
قامـت عـلى جنباتهـا أملاكهـا بزفـاف خـير فتـى لخـير الحـور
(أحمـد) مـا قدسـتك خـواطري تقـديس تلفيـق ولا تزويـر
لكنهـا وجـدت فتـى متوقـداً بذكائـه وصـنيعه المـشكور
ومهـذباً لكـأنما هـو فكـرة نبويـة الأنـداء والتبـشير

حـــدثاً يـــرى، وتـــراه في آرائــــه نجـــلاً لأجيـــال مـــضت وعـــصور
أعرست يـا فخـر الـشباب فبالرفـا ه وبـــــالبنين ممتعـــــاً والخـــــير
لا زلـت في عـرف المفـاخر والعـلى متربعـــــاً فيهـــــا أعـــــز سريـــــر

الحب أكسير الحياة وروحها

للأستاذ محمد عبدالله الفسيل:

مـــاذا يجـــيش بقلبـــك المغـــرور فيهـــب هبّـــة نـــائم مـــذعور؟
ويلـــــج في خفقانـــــه فكأنـــــه غـــرد يفزعـــه وثـــوب صـــقور
مـا هـذه الأطيـاف تقبـل نحـوه خلابـــة في موكـــب مـــن نـــور
حامـت حواليـه فهـام بـسحرها كالعاشـــق المتحـــير المهجـــور
ودنـت فَحَيَّـت كالحبيـب فخالهـا حوريـــة صـــيغت مـــن البللـــور
ورنـــت إليـــه بنظـــرة نفـــاذة أخـــــاذة في قـــــوة المقـــــدور
فهفـا إليهـا قـائلاً: مـن أنـت يـا ســحر الجــمال بــسره المــستور؟
فتبسمت ثـم اختفـت مـن وجهـه كـــالنور خلـــف ســتائر الـــديجور
وإذا بـــصوت نـــاعم مترقـــرق أنـــا طيـــف حـــب نـــازح مغمـــور
ما الحـب؟ مـا أسراره؟ مـا كنهـه؟ طلـــسم أزمـــان ولغـــز دهـــور
الحـب إكـسير الحيـاة وروحهـا وظـــلال فـــردوس ولفـــح ســـعير
الحـب نـشوة فرحـة طيـارة وهمـــوم قلـــب موجـــع مقهـــور
هـــو بـــسمة الزهـــر النـــدي ولمعـــة الـــنجم المـــضيء ونغمـــة الـــشحرور
هـــو قـــوة جبـــارة تاهـــت بهـــا أفكارنــا، وسـمت عــن التقــدير
مـــاذا يجـــيش بقلبـــك المغـــرور فيهـــب هبـــة نـــائم مـــذعور؟
هل بـث فيـه الحـب سـحر جمالـه؟ أم مـــسه لهـــب الهـــوى المـــسهور؟
قلـب تفـتح للحيـاة وهـام في أفـــق الجـــمال الفـــاتن المـــسحور
متـــدفق الآمـــال في جنباتـــه كـــالموج وســـط محيطـــه المـــسجور

وتمـــوج فيـــه عواطـــف مـــوارة عميـــاء بـــين غرائـــز وضـــمير

وخـــوالج للـــنفس لا يفـــضي إلى طياتهـــا قـــبس مـــن التفكـــير

يـــا أيهـــا الفنـــان طُـــر في جنـــة للحـــب فاتنـــة الـــرؤى والحـــور

واســـتلهم الأشـــعار منهـــا إنهـــا وحـــي وإلهـــام وفـــيض سرور

واهنأ بعرسك كيف شئت، وعـب نهـــر الـــسرور الـــدافق المخمـــور

واقبـــل تحيـــاتي فـــإني صـــغتها من مهجتـي وعـواطفي وشـعوري

٢٤ ذي الحجة ١٣٧٠هـ

أشعة التهاني

• الشاعر الأستاذ السيد أحمد بن حسين المروني:

هذي معـاني الحـب مـلء شـعوري أيـــن البيـــان ودقـــة التـــصوير

في كـــل نـــبض مـــن دمـــي قيثـــارة تشدو بلحن - في الهـوى - مـسحور

وبكـــل جارحـــة أحـــس حـــرارة كالكهربـــا في قلبـــي المهجـــور

أمـــا الحبيـــب ففكـــرة قدسـية قـد علقـت بحشاشتي وضـميري

نبتـت عـلى قلبـي خيـالاً سـاحراً يدنيـــه مـــن فردوســـه المـــستور

ويطـير في أفـق الأمـاني راكبـاً مـتن الأثـير وموجـة التفكـير

ويطوف في فلـك الـشموس مـردداً نغـــماً مـــن التهليـــل والتكبـــير

ويظـل يـصعد في الـسماوات العـلى ويغيـــب بـــين أشـــعة وأثـــير

حتـى يـشارف منبـع النـور الـذي مــلأ الفــضاء بــأنجم وزهــور

فيعـب مـن نبـع الخلـود سـلافة الله هيأهـــا لكـــل شـــكور ..

ويعـــود للـــدنيا بـــصورة جنـــة سـقيت بفـيض مـن شـعاع النـور

فيهـــا الزهـــور مباســـم حوريـــة وقلـوب عـشاق وحـسن ثغـور

والـــروح فيهـــا كـــالحمائم طـــائر ينـساب بـين ملائـك وطيـور

قد صاغ من تلك الجنائن باقة — لسليل مجد في الإنام غيور
(لمحمد بن عقيل) من يزهو به — أدب الشباب، وصفوة الجمهور
إني لأستوحي البيان معانيا — من حبه المنقوش في تفكيري
ويزورني منه خيال ملهم — يوحي إليَّ روائع التعبير
فأبثها يوم الزفاف تهانيا — فيها شذى قلبي ونفح شعوري
(أمحمد) هذي تحية مخلص — كالطل يجنى من جفون زهور
كالفجر إشراقاً، عليها بهجة — من بشر منطلق وفأل أسير
أهديتها لك كي تكون تميمة — تغنيك عن تعويذة وبخور
فالشعر من قلب المحب أجل من — فوح الشذاب ونفحة الكافور
أو شمعة جمعت أشعة ضوئها — من كل بدر في السماء منير
هبطت بها روح الوداد تحية — من عالم صافي الأديم طهور
خلصت عناصر جوه من كل ما — في أرضنا من شقوة وشرور
لم يبق فيه الطهر غير أشعة — لملائك طهر وطلعة حور
وصلاة عُبَّاد خلوا من باطل الدنيا وهاموا بالجزا المدخور
ومُنى فلاسفة تطوّف في العلى — ترجو الرخاء لخائب وفقير
ومواكب الأرواح تسأل ربها — حسن الثواب لمحسن وصبور
ملأ تخلص من رواسب طينه — فغدا طيوفاً في لفائف نور
وأطل من عليائه مترفعاً — من عالم يسعى لغير مصير
فاليكها تسعى يعرقل سيرها — ثقل القيود ومحنة المأسور
واهنأ بمن زفت إليك وكن لها — قلباً يفيض هوى، وخير عشير
وأفض عليها من فؤادك رحمة — لتكون منبع بهجة وحبور ..
واستقبلا دنيا السعادة والهنا — حفت بكل هناءة وسرور
ثم أبنيا عش الحياة مؤسساً — أركانه بالحب والتقدير
وتقارضا الإخلاص كيما تنجبا — نسلاً عليه طابع التحرير

يهوى المكارم والفضائل والعلى   خلو عن التعقيد والتزوير
ويعيد لليمن السعيد فخاره   وتظل (إريان) سماء بدور
كم أنجبت من ملهم ومفكر   عالي النهى سامي اليراع شهير

ابتسام الأفراح

• **للأديب المهذب السيد إبراهيم بن محمد الوزير:**

هذا الفؤاد يفيض منه سروري   وهنا على قلبي يسيل حبوري
سَبَحت بآفاق الخيال خواطري   وعلا هتاف القلب بالتفكير
وترنمت نفسي تهنئ شاعراً   ملأ الفضاء بشعره المسحور
وتناثرت كلمات تهنئتي له   من فرط أفراحي بدون شعور
وتصاعدت أنفاس أفراحي على   عجل فصرت كذاهل مخمور
وهفا فؤادي فاستفز حماستي   للشعر في غلس وعند بكور
فأخذت أفرغ في القريض مشاعري   وغرقت في بحر من التفكير
ولوحي نفسي قد سمعت وهاك ما   تُوحي إلي، وما يقول ضميري
إن الحياة حياة زوج أخلصت   لك وُدّها في الخدر أو في الدور
تلك الحياة خمائل مخضلة   فلكم تضم حنانها من حور
تلك الحياة هي التي عمر الوجود بها، وقام الكون منذ دهور
فكم استنار الناس من مصباحها   وتنعموا في قصرها البلوري
(أمحمد) هذي الحياة مباهج   ولذيذ أحلام وشدو طيور
فانعم بها ما شئت والبس حلة   منسوجة من درها المسجور
واهتف بشعرك في فضاها سابحاً   وانظم قصيداً صادق التعبير
(أمحمد) إني بعثت تحيتي   روحي، وتهنئتي عبير زهور
من مهجتي صيغت ومن قلبي سرت   فاقبل تحية مهجتي وضميري

تحت ظلال العرس

للشاعر الأديب محمد بن أحمد صبرة:

لا. لـــن أصـــاب بحـــيرة وفتـــور أبـــداً، ولم تنفـــد عـــليَّ بحـــوري
فلقـــد هـــززت يراعتـــي فتبـــسمت ومضت تسجل ما يفيض شعوري
وتزاحمت جـن القـريض بخـاطري تمـــلي عـــليَّ قوافيـــاً مـــن نـــور
وتقـدمت روحـي تريـد أصـوغها شـــعراً يتيـــه ببحـــره المـــسحور
قـــالوا: تحـــير في القـــريض وخانـــه فـــأجبتهم: هـــذي مقالـــة زور
أأحـــار والـــود المقـــيم بمهجتـــي كـــافٍ لهـــزّ مـــشاعري وضـــميري
لـــو كـــان منـــه ذرة في (باقـــل) لمحـــا قـــوافي (دعبـــل) و(جريـــر)
أو حـــلّ في صـــم الحجـــارة بعـــضه لأحالهـــا قطعـــاً مـــن البللـــور
أو كـــان في أفـــق الليـــالي كوكـــب منـــه لبـــدد ظلمـــة الـــديجور
أو كـــان في قلـــب الزمـــان أشـــعة مـــن نـــوره مـــا جاءنـــا بـــشرور
إيـــهِ ملائكـــة القـــريض، تمهـــلي ودعـــي الـــيراع يـــسير في التحريـــر
طـــوفي بـــأفق العـــرس كـــيما تنظـــري مـــا فيـــه مـــن شـــهب زهـــت وبـــدور
وتجـــولي بـــين الكواكـــب وابحثـــي عـــن كـــل معنـــى للهنـــاء منـــير
وأتي بـــما جهـــل الخيـــال ســـبيله كـــيما يـــدين بوحيـــك المـــشهور
وتـــأملي الأيـــام كيـــف تبـــسمت عـــن أمنيـــات الـــشاعر المفطـــور
أهدتـــه (كوكبـــه) الـــذي هامـــت بـــه الأحلام، واعتـــذرت عـــن التـــأخير
(أمحمـــد) يـــا ابـــن التبابعـــة الأولى خـــضع الزمـــان لهـــم خـــضوع أســـير
فاستخدموا الأفـــلاك في أغراضـــهم ومـــضوا إلى العليـــا مـــضي خبـــير
وبنـــوا مفـــاخرهم بنـــاء فطاحـــل علـــماء مـــا نـــسبوا إلى التقـــصير
هـــذي الأمـــاني قـــد أتتـــك بهيـــة فـــانعم بنيلكهـــا ودم بـــسرور

واستقبل العمر الجديد (وشمسه) بفؤاد مغتبط وقلب غرير
فالعرس فجر العمر يبزغ نوره وبه معاني الفوز والتبشير
لو لم تكن (حواء) شمس سمائه للناس ما عرفوا معاني النور
فهي التي تدع الحياة مضيئة وتزينها ببدلالها المبرور
وهي الجنان الباسمات زهورها التائهات بحسنها الموفور
فاغنم لذيذ العيش تحت ظلالها واسرح بها في غبطة وحبور
وإليك أهديت التهاني غضة ولها أذبت خواطري وشعوري

تاج الزفاف

للأديب السيد محمد الغفاري:

تتصافح الأفلاك في الديجور جذلاً بموكب بهجة وسرور
نور من الزرقاء بات مخيماً بأشعة التبريك والتبشير
هذي الكواكب من ذراها تنحني لتتوج القمرين تاج حبور
تاج تباركه الملائك في السما بالحمد، والتهليل، والتكبير
ما تاج كسرى مثله، كلا. ولا يلفى له فيما مضى بنظير
تاج الزفاف. وذاك تاج لن ترى إلاه تاج محبة وشعور
أهدته حراس السما في موكب عار عن التدليس والتزوير
تاج به نيل المنى، قد رصعت صفحاته بجواهر من نور
ألماسه أمل الشباب وتبره تلك الأماني الغُرّبين صدور
يا بدر: هنئت الزفاف، فإنه أمل الحياة بسره المستور
يا بن الأماجد من سلالة يحصب هذي خواطر مخلص مأسور
تتدفق الأحزان في آهاته آهات قلب في الضلوع كسير
يا بدر: هاك تحيتي مقرونة باليُمن و(الإعجاب) و(التقدير)

فاهنـــأ ودم في حلـــة منـــسوجة
مـن حـب سـيدة الحسان الحـور

واضمم إلى القلـب الوحيـد أنيـسه
واسـمع تغاريـد الهـوى المسحور

واغضض عن التقصير طرفاً طاهراً
يغـضي عـن الهفـوات والتقـصير

وإليكهـا بكـراً زهـت وتفتحـت
أكمامهـا عـن زاهيـات زهـور

وحي العرس

للسيد الأديب عبد الصمد بن محمد الوزير:

فاضـت أشـعة بُـشْرٍ مـن محياكـا
فأشرقـت مهـج بالحـب تهواكـا

تعمق البـشر حتـى مـا تـرى أحـداً
إلاّ يحـاول أن يحظـى برؤياكـا

هذي الأشعة وحي من سماك، ومن
عقـد القـران، وبـشر حـل دنياكـا

أوحت إلى الفكـر شـعراً كلـه نغـم
فـصاغه أسـطراً والقلـب غنّاكـا

لـو لم يكـن في حيـاتي غـير أمنيـة
أني وإن طالـت الأيـام ألقاكـا

مـا بغيتـي في الـدنا إلا مرافقتـي
لنـاهضٍ لـيس دجّـالاً وأفاكـا

إليـك تهنئتـي بالحـب عـاطرة
فـالله بالبـشر والأفـراح أولاكـا

ولا أهنيـك لكنـي أهنـئ مـن
رآك في يـوم عـرس ثـم حياكـا

كنـا نـود بـأن نحظـى بطلعـتكم
لكنـه الـدهر أشـقانا فأقـصاكا

لكننـا نتـسلى بالـشعاع ومـا
يفـوح مـن أرج يحويـه برداكـا

ثـم اكتفينـا برسـم كـان حـصتنا
من الـسرور فأصـبحنا كمـن راكـا

إن السعيد الـذي أضـحى بقـربكم
يـوم الزفـاف ومـن بالـشِعرِ هناكـا

فـنحن نـشدو بألحـان الهنـا فرحـاً
دام الـسرور ومـا نالتـه يمنـاك

وهذا هو الجواب على الأخوة الشعراء من المترجم له السيد محمد عقيل الإرياني:

هياكل النور

صاغوا القريض هياكلاً من نور ... بروائع الإبداع والتصوير
برزت مكهربة الشعاع يمده ... صلة بكل قريحة وضمير
شدت أواصره، وأذكت نوره ... بفؤاد حساس ولب قدير
يحي الضمائر والشعور بيانها ... كيد المسيح جرت على مقبور
وسطت فأوجزت الخطوب كأنها ... وخز الرماح وطعنة الموتور
تغزو بأرواح الشعوب وتجتري ... بحماس كل مسلط منصور
وعلت منصات البيان كأنها ... بفم الزمان قوارع المأثور
فأرتك مقدرة العقول كأنما ... صاغت بدائعها يد المقدور
سبحان ملهمها البيان ودقة الـ ... إبداع والتصوير والتعبير
ألحان فنان ودمعة عاشق ... وبكاء ثاكلة وصوت زئير
أبلابل اليَمن السعيدة حدثوا ... بلسان تجربة ورأي خبير
هل عيش صداح طليق سابح ... كحياة مقصوص الجناح أسير
وهل الهدير بروضة فينانة ... أزهارها فاحت بخير عبير
يجري النسيم الرطب في جنباتها ... وغصونها تزهو كزهو الحور
مثل الهدير بمعقل لم يحو غيـ ... ـر القيد والسجان والمأسور
في كف قناص كأن ضميره ... وفؤاده قدا من الديجور
أبلابل اليمن السعيدة غردوا ... رغم الخطوب ورغم كل شرور
صوغوا القريض ونسقوا من لؤلؤ ... شعراً تغذيه النهى بالنور
طيروا بآفاق الخيال وصوّروا ... قلب المحب بحبه الموفور
فالحب يوحي كل فن مبدع ... لا سيما للعاشق المهجور
الحب فيض الخلد يجتاح الأسى ... ويحيل ليل الهم صبح حبور
الحب من روح الإله ونوره ... سلوى الحزين وبلسم المصدور

الحب يخلق للبيان نوابغاً ... متفوقي الإدراك والتفكير
والحب إن رشف الأديب بكأسه ... خلى البيان بدره المسجور
ما الحب من لهب الجحيم ونارها ... ما الحب إلا جنة من نور
ما الحب إلا نفحة قدسية ... علوية في قلب كل طهور
إن الحياة بدون حب صادق ... سوداء قد قُدّت من الديجور
والنفس مجدبة إذا ما أقفرت ... منه وفاقدة لكل سرور
والقلب ميت والنهى مخبولة ... والعيش إلا فيه غير نضير
أبني الأساتذة الذين بنوا العلى ... بالعلم والأخلاق والتدبير
أنتم عباقرة البلاد وأنتم ... أس البنا لشبابها المنظور
وملائك الوطن المقدس أنتم ... ودعام حائط مجده المعمور
صغتم من الدر النظيم عرائساً ... قد لُفِّعت بمطارف وحرير
صغتم عواطفكم سنا مملوءة ... بحنان مشفقة وعطف غيور
طلعت بليل جوانح ومشاعر ... صُبحاً فجلت حالك الديجور
وحملن آهات البلاد طويلة ... وكتبن أنّات الأسى بسعير
تمشي على حَسَكِ الخطوب وتتقي ... وخز الرماح بأوجه ونحور
تستقبل النكبات وهي عوابس ... عمياء تعزو الشر للمبرور
فغدت بأعماق السجون صريعة ... بين الرجاء وبين يأس صبور
تلهو بها أيدي الحوادث مثلما ... يلهو الصغير الطفل بالعصفور
وحملتم الأرزاء وهي ثقيلة ... بثبات أفئدة ورحب صدور
تمشون في حلق الحديد عليكم ... عز الأبا وسكينة المأسور

١٩/ ١/ ١٣٧١ هـ

محمد عقيل الإرياني

الإرياني (محمد بن يحيى بن محمد)[1]

(١٢٩٨ - ١٣٥٠هـ/ ١٨٨٠ - ١٩٣١م)

القاضي العلامة عزّ الدين الشاعر البليغ محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن حسين الإرياني مولده في شعبان سنة ١٢٩٨هـ ونشأ في حجر والده في هجرة إريان وأخذ عن والده في الفقه وعن القاضي محمد بن عبدالله الإرياني والقاضي علي بن عبدالله الإرياني والقاضي حسين بن عبدالله الإرياني في الفقه والعربية والحديث وأجازه واستجاز من السيد العلامة سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين ومن المولى الحسين بن علي العمري والسيد سليمان الأهدل والسيد محمد بن طاهر بن عبد الرحمن بن عبد الباري ولما قدم مكة للحج سنة ١٣٤٩هـ أجازه من علماء مكة عمر حمدان المحرسي بعد أن قرأ عليه في موطأ مالك وفي سنة ١٣٣٥هـ نصَّبه الإمام يحيى حاكماً في ناحية جبن من بلاد رداع ثم عينه في قضاء بيت الفقيه ولكنه لم يتمكن من دخولها يومئذٍ فعاد إلى وطنه ثم عينه الإمام حاكماً في ميدي من تهامة وله شعر حسن، مدح الإمام يحيى وأولاده بعدة قصائد بليغة من ذلك قوله لما دخل الجند الأمامي مع القائد عبدالله بن أحمد الوزير بلاد البيضاء:

سر حيث شئت فإن جندك ظافر ... وأنزل بحيث ترى فأنت القاهر
ولك السلامة والفخامة والعلا ... والمجد والنصر العظيم الباهر

ومنها:

كان الحميقاني يظن بأنه ... ينجيه من أمر الإله الزاهر[2]
حتى رأى الجيش اللهام يقوده ... أسد هصور للنواصي هاصر

---

(١) نزهة النظر: ٦٠٣ ـ ٦٠٦.

(٢) الزاهر: حصن بالمشرق.

وهي طويلة جيدة وله مقطعات لطيفة من ذلك ما قاله في مليح في فمه قات:

لما بدا أدعج العينين مبتسماً ... كأنه البدر يجلو ظلمة الغسق
والقات في فمه فيرزج وشفا ... ت الثغر ياقوتة والوجه كالفلق
فقلت يا عجباً هذا بمبسمه ... فيروزة الصبح أم ياقوتة الشفق

وله في نوع من الحوت يسمونه (ديرك) وكان يظهر وهو في ميدي:

وحَوَّاتٌ أتى من دير سعد ... يقلّب في يديه نقود شيرك
فقال وقد دنا مني بلطف ... أفدني ما تريد فقلت (ديرك)

وله في نوع من الحوت يسمونه شعور:

وحوات لطيف قد أتانا ... ليقضي عندنا بعض الأمور
فأومأ بالسلام وقال عفواً ... لأني قد أتيت بلا (شعور)

وله في التشبه البديع:

زارت وقد لبست قميصاً أزرقاً ... وعليه قد نشر العقاص ذوائبا
فحسبتها قمراً بفلك سمائه ... والجعد ليلاً والحُلِي كواكبا

وله في قات حرام محل في بلاد حجة لا يخدر وقات أحلال[1] محل في بلاد أنس يخدر:

هات لي يا نديم ربطة قات ... إن في القات راحةً للندامى
فإذا ما أكلته من حرام ... كان حلّا ومن حلال حراما

ومن شعره أيضاً قصيدة مؤرخة سنة ١٣٣٤هـ، قال فيها مادحاً سيف الإسلام أحمد بن قاسم بن عبدالله حميد الدين (١٢٧٧ ـ ١٣٥٣هـ):

---

(١) حلال وإحلال من بلاد أنس والنسبة إليه حلالي ومنه القضاة آل الحلالي منها القاضي الرئيس حسين بن علي الحلالي.

سيف الهدى يعسوب آل محمد خضمّ علوم الشرع وهو المجدد
خلاصة أبناء الرسول وفخرهم سلالة مَنْ في مدحه الذكر يشهد
علا قدره فوق السماك فلم أجد سواه على تخت المفاخر يقعد
تنزه في روض العلوم وأنه يقيناً من السعد المحقق أسعد
أنار دياجي المشكلات بحكمة فنور الهدى من علمه يتصعد[1]

وكانت وفاته رحمه الله في ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ بهجرة إريان عن اثنتين وخمسين سنة وقد رثاه القاضي العلامة البليغ يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بقصيدة قال في مطلعها:

أنبأ البرق بما أجرى الدموعا مثلما قد أهمل الغيث الهموعا
نبأ هيَّجَ في القلب الأسى ولقد أضرم بالنار الضلوعا
نبأٌ أظلمت الأرض له غادرت شمس الضحى فيه الطلوعا
نبأٌ قد صكّ آذان العلا حين أهوى للعلا ركناً رفيعا
يا مدير البرق مهلاً لا ترع فلقد جئت به خطباً مريعا
قد نعيت العلم والفضل معاً بالذي كنت لنا فيه مذيعا
يا لقومي حزب (إريان) أما أخبر البرق به كان وقوعا
فلئن كان الذي أوحى به فلقد عدد في القلب الصدوعا
إذ ثوى عز الهدى خِدنُ العلا فهو خطب يمنع العين الهجوعا
نجم أهل العلم خرّيت القضا من بأمر الحق قد كان صدوعا
ثلمة في الدين جلّت ثلمة شرب العلم بها سُمّاً نقيعا
مَن لتحقيق أصول غمضت وقد استنبط من تلك الفروعا
من لعلم النحو من للنظم إذ قد سقى أذهاننا منه البديعا

---

(١) نزهة النظر: ١٢٢.

ومنها:

عـــز ديــن الله لـــو أن لنـــا قـــدرة أو أن للمـــوت شـــفيعا

لــدفعنا عــنكم الــشر وكنــا الــ ـــفدا لكننــا لـــن نــستطيعا

وقد جمع له القاضي الجمالي علي بن يحيى الإرياني ترجمة مطولة ذكر فيها بعض قصائده ومقطعاته وتاريخها جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ(١).

خلف صاحب الترجمة ابنه النجيب عبدالله بن محمد الإرياني وكان قد تولى في عصر الجمهورية وزارة الإدارة المحلية بثبات ونشاط، وفي يوم الأربعاء ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٨٥هـ تعدى عليه عبد الوهاب الوشلي فرماه في محل وظيفته بالوزارة بمسدسه وقتله ثم قتل نفسه نعوذ بالله من سوء الخاتمة وفي اليوم الثاني كان تجهيز القاضي عبدالله إلى مقبرة الشهداء بباب اليمن.



شاهد قبر الإمام صلاح بن علي (اليمن)

(١) مؤلفات الزيدية ١/ ٢٨٣ رقم ٧٩٦.

الإرياني (محمد بن يحيى)

(١٣٢٦ - ١٤٠٨هـ/١٩٠٨ - ١٩٨٧م)

القاضي العلامة عز الإسلام محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين الإرياني مولده سنة ١٣٢٦هـ بإريان وأخذ عن أبيه القاضي العلامة العماد يحيى بن محمد ورحل إلى صنعاء لطلب العلم وأخذ عن علماء المدرسة العلمية ومنهم العلامة علي بن محمد فضة والسيد العلامة عبد الخالق بن حسين الأمير وتولى القضاء في ناحية القفر من لواء إب ثم تولى القضاء في المخادر من لواء إب وفي خلال ذلك قامت الثورة سنة ١٣٦٧هـ التي قتل فيها الإمام يحيى وكانت له صدمة عنيفة بحبس صنوه القاضي عبد الرحمن لاشتراكه في حركة الثورة في قضاء إب وظل مهدد بالإعدام وهو بسجن حجة نحو سبع سنوات من قبل الإمام أحمد وفي خلال ذلك عَيَّنَ الإمام أحمد صاحب الترجمة قاضياً في الشعر ثم عينه في قضاء يريم وظل في ذلك إلى قيام الثورة سنة ١٣٨٢هـ وإعلان الجمهورية وفي عهد الجمهورية عُيّن حاكماً في قضاء الحجرية ولأتصافه بالأخلاق الحسنة والعّفة والصرامة في الحق كان تعيينه بعد ذلك رئيساً للمحكمة الشرعية الاستئناف بصنعاء وله شعر حسن كما لأسلافه وإخوته.

ومن ذلك هذه القصيدة في رثاء زوجته:

من نصف قرن ونيْف قد أنست بها	في خير عيش فلا همّ ولا كدر
إذا طغى الخطب واسودت نوازله	تبسّمت فتجلّى ليله العكر
كانت ضماد جروحي وهْي دامية	هي الحياة، هي الدنيا، هي العمُر
يا نفحة من جناب الله طيّبة	مسكيّة العَرف يزكو عرفها العطر
قدسية الروح، أطهار عرائقها	لم يشن من عزمها سقْم ولا كبَر
طهر الضمير فلا غلّ ولا حسّد	عفّ اللسان، فلا لغو ولا هذَر
سمحاء طيبة الأعراف من نفر	سموا كأنّ لهم فوق السّها وطر
آباؤها الطّهر أحيا في ضمائرنا	كأنما القوم ما ماتوا ولا قبروا

لما توارت وحلّت في مضاجعهم ضاءت بهم وتسامت فيهم الحفر
كانت مثالاً من التقوى لها صلة بالله، أخلاقها (القرآن) تزدهر
هالوا التراب عليها وهْي نيّرة كالشمس تحت سَحَاب الأفْق تستتر
يا ربة البيت يا مشكاة بهجته العيش بعدك مر كله صبر
في كل زاوية منك به أَثر إذا مررت عليه يبكي الأثر
كانت لنا فيه أوطار تعلّلنا بإختفائك عنه انتهى الوطر
وحولنا في زواياه، لنا شجر فروعها أينعت منا لها ثمر
ما زال منك بأفكاري وفي بصري وفي سويداء قلبي تطلع الصور
تسودّ في عيني الدنيا إذا خطرت كأنها الكون، لا شمسٌ، ولا قمر
بكتك (إريان)[1] وانهالت مدامعها وكاد يبكيك من جدرانها الحجر
وناح (ريمان)[2] واهتزّت جوانبه وكاد للهول والمأساة ينفطر
عشنا عليه زمانا في شبيبتنا والدهر سلْم، فلا خوف ولا خطر
كأن ساحاته العُليا لنا حرَم لا لهو في عيشنا ولا بطر
مازلت أذكر فيها خطونا وأنا وأنت نحبو إلى أن عاقنا الكبَر
أصداء أقدامنا فيها لها نغم وخطونا لم يزل فيها لها أثر
إنْ أنسى لا أنس أسفاراً لنا جمعت حياتنا وخطا أعمارنا سير
ست وخمسون عاما كلها سفر ألقيت فيها عصاك وانتهى السفر
أما أنا فعَصَا الترحال تدفعني للخطو في الدرب، مرسوم بها القدر
(يا ربة البيت يا مشكاة بهجته العيش بعدك مرٌّ كله صبِر)
ماذا ورا الموت ما سرّ الحياة فقد تاهت بأسرارها الألباب والفكر

---

(١) موطن الشاعر وزوجته.

(٢) حصن منيع قريب من إريان عاش الشاعر فيه فترة شبابه، وقد تكرر ذكره كثيراً في الكتاب.

ماذا ترين وراء الموت، هل كشفت ... لك الحقيقة عما تحجب الستر
جحافل الموت تمضي وهي مسرعة ... فيها العظات وفيها للورى عبر
ورقدة الموت طيّ القبر دائمة ... لا صحوَ فيها ولا نوم ولا سهر
لا أمس فيها بذكراه يحركها ... ولا غد بأمانيه له أثر
أن الحياة وإن طالت لها أمد ... إليه ينتهي التّرحال والسفر
استقبلتك من الرحمن رحمته ... دامت عليك إلى أن يحشر البشر
صلى الإله على قبر نزلت به ... ما طاف بالبيت أقوام وما اعتمرا

وحين قرأ الشاعر أحمد بن محمد الشامي هذه القصيدة اهتزت عواطفه فقال مجارياً ومعزياً:

قرأته، فتوالي الدمع ينهمر ... شعراً، قوافيه تبكي، وهي تنتحر!
ترثى الحنان الذي كانت بشاشته ... «هي الحياة، هي الدنيا، هي العمُر»
إذا تكّلم.. لا لغو، ولا هذر ... وإن تبسّم زال الهم والكدر
شعر دوافعه موّراة بلظى ... من المرارة فيها الروح ينصهر!
في كل قافية عين مسهدة ... أو مهجة بالأسى والحزن تنفطر
كأن ألفاظه بالدمع قد غمست ... فكل أحرفه بالدمع تنهمر!
شعر إذا رتلت أوزانه انتحبت ... تنوح، تندب، لا تبقى ولا تذر
شعر من القلب في ألفاظه أثر، ... وفي معانيه من أوجاعه شرر،
يرثي شريكة عيش في خمائله ... كانت هي العيش والآمال والوطر
خمسون عاماً ونيف سافرا، وهما ... بنعمة الحب لا يضنيهما ضجر!
ورحلة العيش أن كان الرفيق بها ... مثل الفقيدة. طاب العيش والسفر!
يا آل «يحيى»، وعز الدين مفخرة ... لك، به نحن «حزب الله» نفتخر
وأنتم في سبيل الله من ثبتوا ... لم يثنهم عنه لا خوف ولا خطر،
مجاهدون إذا ما مسهم ضرر ... تذكروا سيرة الآباء. فادكروا،

مـن كـل ذي مـرة لـو أن فطنتـه ... على الورى وزعـت لم يرتبـك بـشر

أن «جوملوا» شكروا، أو صورعوا صبروا ... ويـصفحون عـن الجـاني إذا قـدروا

وهم مع الحق قد سيطت دماؤهم ... بحبـه، وتفـانوا فيـه، وانـصهروا

من ذا أعرب؟ وماذا قـد يقـال لهـم ... شعراً؟ وهم خير من قالوا، ومن شعروا

والصبر شيمة من عفّوا، ومن كرموا ... وجنـة الخلـد مـأوى لـلألى صـبروا

وفي ذكرى أربعينية المترجم له محمد بن يحيى الإرياني أنـشد صـديقه الـشاعر أحمد عبد الرحمن المعلمي القصيدة التالية:

يتـداعى عنـد الرثـاء بيـاني ... ويراعـي يمـوتُ فـوق بَنَـاني

وكلامـي يَـذْوِي وأكـتم عنـه ... أنـه قـد أُصِـيبَ بالـسرطان

ولـساني يغـوص في قعـر حلقـي ... وقريـضي فَـمٌ بـلا أسـنان

غمغـماتي تنشـال دون معـانٍ ... وهُـذَائي يمـضي بـه هَـذَياني

والقـوافي عـلى رصـيف خيـالي ... مُثْخَنَـاتٌ جريحـةُ الأوزان

وقـصيدي عـلى مـواني نبـوغي ... أغرقتـه عواصـفُ الأحـزان

وشـعوري محـنَّطٌ وأحاسيـ ... سي بنـاءٌ مُهَـدَّمُ الحيطـان

واهتمامـي مبـارزٌ لا بـرمحٍ ... أو بـرمحٍ واهٍ بـدون سِـنان

وذكـائي: وهـل يظَـلُّ ذكـاءٌ ... في زمـانٍ مـشوَّهٍ كزمـاني؟

مخـبروه مثـلَ الوبـاء انتـشاراً ... هولُـه كـامنٌ بكـل مكـان

وكـسيحٌ فهمـي قعيـدٌ بـرأسي ... متعـبٌ يـشتكي ضَـيَاعَ الأمـاني

وإذا صرختـي تُهِيـب بـشعري ... لا مَلاكـي يُـصغي ولا شـيطاني

إننـي زورقُ الأسـى فـوق مـوجٍ ... بحـرُهُ هـائجٌ بـلا شـطآن

وأنـا الآن صرتُ لا مـا عهـدتُمْ ... فكيـاني قـد صـار غـيرَ كيـاني

قـد تغـيرتُ أو تلاشـيتُ حزنـاً ... مَـنْ يـراني أشـكُّ في أن يـراني

بـدَّلتني هـزائمٌ تتـوالى ... في بنـي أمتـي وفي أوطـاني

رحلتي في الرِّمالِ مِنْ نصف قرنٍ أنهكتني وحطَّمت بنياني
وإذا ما اقتحمت هولاً بدا لي في طريقي الطويل هولٌ ثان
وعواءُ الذئابِ من كلِّ فجٍّ لم يُرُعني في السير أو أوهاني
إنما راعني وأذهل عقلي جشعُ البعض من بني الإنسان
كم عميلٍ يغدو ويسرح فينا بمساويه ظاهراً للعيان
لا يرى رادعاً.. أكلُّ قوانا دونه في النفوذ والسلطان؟!
ويصلّي والدين منه بَرَاءٌ ويُرائي في السِّرِّ والإعلان
لا يبالي من أجل مالٍ وجاهٍ أن يبيعَ الأوطانَ للشيطان
وطموعٍ يقول هل من مزيد؟ هو في الإلتهام كالنيران
سائلوه عن الملايين من أين أتته؟ وعن فخيم المباني؟
إن أطماعَه وبالٌ على الشعب، نذيرٌ بالويل والطوفان
ما وجودُ (الإقطاع) إلا نكالٌ يصبح الحقد فيه كالبركان
من سأرثي وكلنا اليوم موتى جثثٌ لم تلفَّ في الأكفان
إن يوارِ الترابُ قَرْماً هُماماً طاهرَ العِرض عاشَ ثَبْتَ الجنان
فهو خيرٌ مِنْ أن يعيش بعصرٍ أخرسٍ رأسُه بلا آذان
عصرُ سوءٍ إرهابه متفشٍ شائهاتٌ ساعاته والثواني
ما يُفيد الحصيفَ رأيٌ وفكرٌ حين يمضي في موكب العميان
كلهم في الضلال يَهْوِي بهم جهلٌ شنيعٌ إلى هَوَان الهوان
وعمى العقلِ محنةٌ هي أدهى من عمىً تُبتلى به العينان
مَنْ سأرثي والكل منا يعاني سكراتٍ يا ويح مما نعاني
يأكلُ العارُ أمّةً ترتضي الذلَّ وتحيا في الخزي والخسران
لسياط اليهودِ مِنْ جِلْدِها خبزٌ شهيٌّ وتنحني بامتنان
ويبادُ الأطفالُ في «القدس» أو غزَّةَ والحاكمون مرضى التواني

وإذا قِمَّـــةٌ أتـــت بحـــوارٍ		هـل فهمـتم تَحَاوُرَ الطرشـان؟!

نجلَ «يحيى» يـا أنـت يـا خـيرَ هـادٍ		أنجبتـه العليـاء مـن «إريـان»

يـا زمـيلي ويـا رفيقـي وشـيخي		أنـتَ قوَّمـتَ همَّتـي ولـساني

أنـتَ علمتنـي وأخرجتنـي مِـنْ		خنـدق الجهـل رافعـاً أركـاني

ولقـــد قلـــتَ لي: يمـــوتُ الفتـــى حُـــرَّاً ولا يـــستكينُ للإذعـــان

كنـتَ فينـا كراهـبٍ في يديـه		مـشعلٌ زيتُـهُ مـن الإيـمان

هاديـــاً مرشـــداً تنـــدِّدُ بالإفـــساد والمفـــسدين والأوثـــان

وقُبَيْـلَ المـمات سـجَّلْتَ رأيـاً		في بيـان أكـرم بـه مـن بيـان

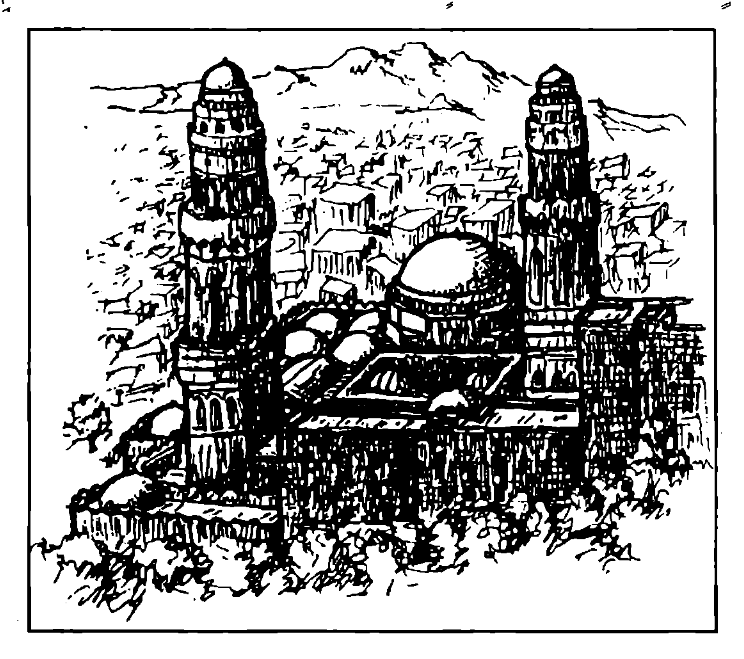
جـاء شـعراً عـذباً وصيحة حـقٍ		ضـدَّ كـل الطغـاةِ والطغيـان

رددتـه كـلُّ الجماهـير في العـ		ـرب بأقـصى رحابهـا والـداني

نـم قريـراً، لقـد فقـدناكَ نـوراً		نَـمْ كـما تـشتهي ريـاضُ الجِنَـان

وعـــزاءٌ لآلـــك الغـــرِّ منِّـــي		صـغته مـن عـواطفي وحنـاني

ولـشعبٍ رآك أعـدلَ قـاضٍ		ولـه كنـتَ خـيرَ حـام وحـانِ



الإرياني (يحيى بن محمد)

(١٢٩٩ ـ ١٣٦٢هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٢م)

القاضي العلامة الحافظ الشاعر البليغ الجهبذ يحيى بن محمد بن عبد الله بن علي بن علي بن الحسين الإرياني ثم الصنعاني.

مولده بهجرة إريان في جمادى الأولى سنة ١٢٩٩هـ وأخذ عن أبيه محمد بن عبدالله وعن عميه الحسين بن عبدالله وعلي بن عبدالله، وعن القاضي العلامة إسماعيل بن عبدالله العنسي الذماري والمولى سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين والمولى الحسين بن علي العمري والسيد سليمان بن محمد الأهدل والعلامة محمد بن إسماعيل الهتار وغيرهم وبرع في فنون العلم من أصول وفروع ومعقول ومنقول وتبحر في الحديث وقام بالتدريس بمدينة يريم وحج لنفسه في سنة ١٣٣٥هـ وعيّنه الإمام يحيى حاكماً بمدينة إب فأبان عن كفاءة ومكانة عالية في العلم والسياسة واستمر في القضاء تسع سنوات وانفصل عن إب سنة ١٣٤٥هـ وعكف على التدريس بوطنه وفي سنة ١٣٥٠هـ طلبه الإمام يحيى إلى صنعاء وعينه عضواً في محكمة الاستئناف برئاسة السيد العلامة زيد بن علي الديلمي فقام بذلك أحسن قيام وشكر سيرته المأموم والإمام وقام بالتدريس بصنعاء، وأخذ عنه جماعة من الأعلام في الحديث والتفسير والفقه ثم أنيطت به رئاسة محكمة الاستئناف فقام بأعمالها مع التدرس.

تحمل أعباء الرئاسة ناهضاً	بها كاشفاً للمعضلات العظائم
وما زال في نشر العلوم مشمراً	بهمة صنديد قوي العزائم

وكان في مدة بقائه بصنعاء يحضر في ديوان المؤلف السيد العلامة محمد بن محمد زبارة للسمر في ليالي شهر رمضان وأملاء صحيح البخاري حتى كمل في خمس سنوات آخرها سنة ١٣٥٨هـ وكان يحضر المجلس كثير من طلاب العلم ومنهم عبدالله بن عبد الكريم الجرافي والسيد العلامة أحمد بن محمد زبارة ومن الكتب التي درست الهدى النبوي لابن القيم وتحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين وغير ذلك ودرس

بمسجد الفليحي في الروض النضير والكشاف وضوء النهار وغير ذلك وكانت وفاته في تاسع ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ وقال قبل وفاته:

أيا رب قد عُمِّرت ستين حجة ... وزدت ثلاثا وهي عمر محمد
فهب لي ختاماً صالحاً ثم خذ يدي ... إليك وكن يوم القيامة منجدي

وله أشعار وقصائد طنانة من ذلك ما كتبه إلى الإمام يحيى بعد أن نهبت قبائل برط مدينة يريم سنة ١٣٢٩هـ وقال في أولها:

على رسلكم أهل المحابر والقلم ... بذا خبروا فلينقل النظم من رقم
قفوا ريثما أملي عليكم رسالة ... لها الصدق خال وابن خال لها دعم
منزهة عن ذكر ليلى وزينب ... ومشغولة عن وصف سلمى وذي سلم
مبرأة عن ريبة في حديثها ... وما ربها فيها تقول بمتهم
إلى مربع المجد الذي طال سؤددا ... مقام أمير المؤمنين أولي النعم
إلى واحد العصر الإمام الذي سما ... بعلياه حتى طاول البدر حين تم

ومنها:

فيا راكباً أما بلغت إليه لا ... يكن غير إخبار الإمام لك الأهم
بما كان حقاً في يريم ما جرى ... من القوم مما أوقع الطفل في الهرم
فلم يتركوا للمسلمين جميعهم ... من المال ما يجدي ببيع ولا سلم
فقد أخذوهم من محب ومبغض ... وما فرقوا بين الصحيح وذي السقم

ومنها:

لأنهم ظنوا بأن دخولهم ... مبيح فكل للإباحة قد زعم
ولم يعلموا والله أن ليس مسلم ... بذا قابلاً يا قبح ذلك من وهم
وحاشا وكّلا أن يكون أمامنا ... بذا آذناً أو راضياً للذي ظلم

وقد أجاب الإمام يحيى بأبيات بليغة فقال:

كما بك بي دع عنك ما قيل من وهم ... وليلى وذات الضال والبان والسلم

وأيـام لا تنفـك نفـسك تبتغـي ... مناها وتحكيم الهوى عند أن حكم
وأحيـان تنـسيك الجرائـد كلـها ... تـذكرتها الأهلـين والـدار والخدم
وليلـة سـامرت النجـوم كـأنها ... عليك تعد الشهب ما غاب أو نجم
وأهـلاً وجيرانـاً وصـحباً وصـبوة ... تعاقبهـا شـيب المنـازل والقمـم
ولا تحـسبني ملـت بعـدك نـاظراً ... سـواك فـما مـثلي يميـل ولا يـذم
ولكـنما للـشيب وجـه تخـصص ... لمـا كـان أيـام الـصبا لّمهـا وعـم
وقل لي عن الأيام هل صحّ عنـدها ... بأني إمرء أسقي الأعـادي كـل سـم
وسقت إلى الأعـداء في كـل وجهـة ... جبالاً على إشعافها الـسمر والخذم
وعمداً ضربت الهام منهم فأصبحوا ... أسارى وقتلى غـير مـن فـرَّ وانهـزم
وسل كل حصن كيف كان اقتناصه ... ومـاذا بـه للعاقـل الإبـر مـن نقـم
وآليـت لا تنفـك بينـي وبيـنهم ... معارك فيها السيف منجي ومعتصم
وقـد جـاءني واليـوم بـاد ضـياؤه ... خطاب الذي قد جرَّ في الكاغد القلم
كتـاب إمـرئ لله ذلـك مـن فتـى ... تصرف في ذاك القريض الذي نظم
يزاورنـا بـالنظم حتـى كأنـه ... عقـود جمـان زانـه الـدر فـانتظم
وآداب ذي وُدٍ لـسحبان عِمـدها ... تـأخّر عـي خانـه معجـم الـبكم
وأبيات ممدوح الـسجايا تراصـفت ... بهن المعاني فاستوى الـسير وانقـسم
إذا التفتـت عنـد التوثـب خلتهـا ... تلفت عن خـد بـه الخـال قـد رقـم
وقـد خبرتنـا عـن يـريم مُبينـة ... بـما كـان فيهـا عـن لـسان لهـا وفـم
ومـا فعـل الجـيش الـذين تعلقـوا ... بأسوارها إذ أغلـق البـاب مـن ردم
أتـوا منكـراً عمـوا بـه كـل منـزل ... وما نزهوا الأمر الشريف عـن الـوخم
أفيـدك أني لـست أرضى فعـالهم ... ولا نكر ذي نكر ولا ظلم من ظلـم
وقـد أقبلـوا عـاراً وأسـوء فعلهـم ... علينا وقالوا أنت يا ذا النهى الحكـم
وحطوا مواثيق الوفاء عن نفوسـهم ... إلى أجـل أن يرجعـوا كـل محـترم
فمهـلاً فـإن وافـوا بـصدق تنزهـوا ... به عن مساوي الغي والبغي والنـدم

وإلا فقد أنذرتهم يوم كربة يسوق إليهم كل هم وكل غم
وفي الأدهم المبروم في سوق رهنهم وفاء وتبكيت وفي صولة الرسم
أفي زعمهم قد فات ما كان عندهم وما فات كلا ما جنوه وما انهضم
وما ذمة الإسلام إلا الذي لها ذمام ويرعاها أولو الحق والذمم
وفي غارة الرحمن تفريج كربة ومن عنده سبحانه الجود والنعم
رجوناه في عسر ويسر وإننا له وبه ندعو إذا حادث ألم
إلا أنه المولى ألا أن جوده المـ ـفيد ألا من عنده يبذر الكرم

ولما عزم في سنة ١٣٥٩ لزيارة بعض أرحامه في إريان عقيب مرض كان قد عرض له بصنعاء كتب إلى السيد محمد بن محمد زبارة[1].

أمولاي إني قد نزحت ولم أكن لأنسى خلالا حزتها بالتقاسم
مكارم أخلاق ولين عريكة وواسع عرفان وجمّ مراحم
ووافر إيمان وطيب سريرة وحسن سلوك وإتقاء مآثم
وحسن إخاء في الإله توثقت عراه وإحساناً وصون محارم
وحبك نشر العلم وهي سجية خصصت بها من فضلك المتراكم
فأنت الذي إن رمت نشر فضيلة مددت إليها الكف غير مزاحم
يراعك سيَّال وعلمك وافر يموج كبحر بالهدى متلاطم
ونجلك رأس الزاهدين صفيهم ومن هو عن خير الهدى غير نائم
خذا بنت فكر مضه ألم النوى فأضحى لما في طيه غير كاتم
ومذ مَنَّ رب العالمين بصحة أسمت يراع العي بين السوائم

(١) كتب محمد بن محمد بن زبارة عند ذكره لهذه القصيدة «كتب إلى بعض إخوانه في الله بصنعاء» ولم يذكر اسمه وقد أخبرني أستاذي القاضي عبد الرحمن الإرياني بأنها موجهة إلى السيد محمد بن محمد بن زبارة كما أخبرني بأن الجواب من السيد عبد الكريم الأمير.

فكان من الجواب عليه، والشعر للأديب السيد عبد الكريم الأمير:

أتتنا على بُعدِ المزار بشيرة ... بعافية المولى عماد الأكارم
حليف الهدى شمس المكارم والتقى ... وطود النهى بحر الندى والمكارم
أجل ذوي العلياء قدراً وسؤدداً ... وقاضي قضاة العصر صدر المحاكم
ونابغة قد زُرَّ جيب قميصه ... لعمري على قس وقيس وحاتم
وبدر كمال ما مشى فوق زَلَّة ... ولا ضل إلا عن سبيل المآتم
يحمِّل أعباء (الرياسة) ناهضاً ... بها كاشفاً للمعضلات العظائم
ترحَّل عن صنعاء لا عن ملالة ... ولا رغبة عن سوحها والمعالم
ولكن أبى نسيان أول موطن ... له بيت مجد فيه عالي الدعائم
هنيئاً (لإريان) الذي بك أشرقت ... سروراً وأضحت في عداد العواصم
فيا عالم الدنيا ويا علم التقى ... ويا خير قاض بالمفاخر هائم
بداراً إلى (صنعا) فقد طال شوقها ... ولو قدرت طارت بغير قوادم
كأني بنا نتلو أمامك بالهنا ... على الطائر الميمون يا خير قادم
وأسنى سلام الله يغشاك كلما ... تغنت على الأغصان ورق الحمائم
وهنيتم شهر الصيام ومنتهى الـ ... ـمرام لتال للكتاب وصائم
حبانا جميعاً ربنا فيه عفوه ... ورضوانه المدنى لحسن الخواتم

ولما كتب السيد العلامة يحيى بن محمد بن الهادي إلى صاحب الترجمة ملغزاً بقوله:

يا من مزاياه أبت ... عن أن تحاط بعدد
ومن بحار علمه ... فيها القضايا كالزبد
ميتة ليس لها ... أب يجوز أو ولد
لها أشقا بلغوا ... أربعة عند العدد
لم يرثوا من مالها ... شيئاً وصاروا في كمد
ليس لهم من مسقط ... عن إرثهم قط يعد

مـــــع إن في إحـــــرامهم نـــص مـــن الـــشرع ورد
فمـــن حـــوى تراثهـــا دونهـــم إذا اســـتبد
فـــانظم جوابـــاً شـــافياً طبـــق الـــسؤال لا يـــرد

أجاب صاحب الترجمة بقوله:

يـــا ســـيدي وســـندي ومـــن عليـــه يُعتمَـــد
وافى النظـــام فعلـــه كالنافثـــات في العقـــد
والعلـــم أنـــت بحـــره وعلـــم غـــيركم ثمـــد
لكـــن أجبتـــه بـــما رأيتـــه هـــو الأســـد
ميتـــة قـــد تركـــت زوجـــاً وأمـــاً لا ولـــد
وإخـــوة لـــلأم حـــازوا ثلثـــاً كـــما ورد
لـــذلك الـــشقيق لم يبـــق لـــه ســـوى الكمـــد
وهـــذه تـــدعى الحـــما ريـــة في نقـــل العمـــد
وذكـــروا فيهـــا خلافـــا قـــد أتانـــا بالـــسند
دمـــتم لحـــل المـــشكلا ت المعـــضلات للأبـــد

ولما قال القاضي البليغ علي بن عبدالله الإرياني أبياته في ذم القات[1] وهي:

تـولعتم بالقـات والقـات قاتـل وفي حذف حرف اللام منه دلائـل
وكم قـد رأينـا مـن رجـال تولعـوا فقـد ثكلـتهم بعـد ذاك الثواكـل
أضـاعة مـال ثـم فقـر وفاقـة وييبس يضر الجسم والجسم ناحـل
وما هـو إلا الـضر مـن غـير شـبهة ويقطـع بالإكثـار منـه التناسـل
ومنه يـزول العقـل مـن غـير مريـة ومنـه الـسهاد الأعظـم المتطـاول

(١) ولما وصل صنعاء أمين الريحاني صاحب كتاب ملوك العرب سنة ١٣٤٠هـ اقترح على رفيقه قسطنطين يني وكلاهما من لبنان أن يهجو القات فقال أبياته المشهورة وأولها: «القات فيه عجاب يا أيها الأصحاب» وأرسلها إلى الإمام يحيى فأجاب عليها الإمام يحيى منتصراً للقات.

وكـم فيـه مـن داء عظـيم وإنـما   لأجـل التـداوي بعـضه يتنـاول
قلـيلاً لإذهـاب البخـار وإنـه   يفـرّج أحيانـاً وتلـك قلائـل
ولكنـه مـن بعـد يـورث غمـة   على القلب منه الكرب لا شك نازل
فـلا تكثـروا مـن أكلـه يـا أحبتـي   وقد يقبل النصح الرجال الأفاضل

ومنها:

ومـن رام قـولاً غـير هـذا فـإنني   أحاكمـه يومـاً بـما هـو قائـل
إلى القـائم المنـصور مـن آل هاشـم   إمـام المعـالي بـدرها المتكامـل
غياث الورى أن ناب خطب وحادث   فـلا زال غوثـاً خـير مـا يتواصـل
بقيت بقـاء الـدهر يـا كهـف أهلـه   وهــذا دعــاء للبريــة شــامل

قال صاحب الترجمة في جوابه في سنة ١٣٣٣هـ:

سمعت نظاماً صاغه الماجـد الـذي   به (إريان) فخـراً في الـبلاد تطـاول
عـلي بـن عبـدالله عَمَّتـه رحمـة   مـن الله مـا دامـت تـسير المنـازل
إبـان خـواص القـات فيـه محققـاً   وقـدر الـذي منـه يبـاح التنـاول
فقلــت مريــداً أن أذيلــه بــما   يقـر بـما قـرّتْ عليـه الأفاضـل
إلا أنـه لا شـك في الطبـع يـابس   وقـل هـو أيـضاً بـارد يـا حلاحـل
ومختلـف حـسب الـبلاد بزرعـه   وبـالطبع ثـم الـذوق لا يتـشاكل
فطـوراً تـراه في اليبوسـة غايـة   مع الضر والتخدير والبعض عاطل
وفيــه مــضرات وفيــه منــافع   وبينـهما إن كنـت تـدري فواضـل
ففيــه مــن الأضرار تقليــل بــاءة   ويبس إلى القولنج لا شـك واصـل
وهــذا الــذي قررتــه في كثــيره   ولـيس يـضير المـرء منـه القلائـل

ومنها:

وإن كنت في أرض الوبا وخفـت أن   تسوق لك الأمـراض تلـك المنـازل
فأحسن بأكل القات في حفظ صحة   إذا اختلفــت للــشاربين المناهــل

ومن يك من ضر الرطوبة خائفاً ... ففي القات تخفيف الرطوبة حاصل

ويطرد نوماً إن أردت تهجداً ... فنعم المعين إذ تقام النوافل

يزيل الهموم النازلات على الفتى ... فتهرب عن قلب الكئيب الشواغل

ويعطيك أفراحاً وروحاً وراحةً ... كأنك ما بين السماكين نازل

فيغني عن الصهبا وليس بمسكر ... وليس بمحظور فيأثم آكل

ولا سيما قات البخاري فإنه ... أصح كما قال الرجال الأماثل

فما شار ما المعلي ما البحرين ما ... السماوي وقات العافشي يماثل

وليس يجاريه بميدان فضله ... كجران فاترك ما تقول العواذل

فشرح البخاري صح فينا رواية ... وفضلاً وإن قال الحسود المجادل

فما مسلم في الناس ينكر فضله ... فكم حاز فضلاً أن تعد الفضائل

فعض على ما قلته بنواجذ ... شداد فإن الحق في ذاك كامل

وقوله في الأبيات كجران هو قات وصاب العالي ولبعض آل إسحق وهو من لطائفهم وفيه التورية:

مولاي عذراً إن تأخرت عن ... مجلس أنس ما له ثاني

فحسن ظني فيك بالعفو قد ... أطمعني والقات جراني[1]

قلت: وفي المترجم له يقول أحمد محمد الشامي مبتدءاً بذكر ولده العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني:

و«إريانيكم» إن حاف يوماً: ... فقدماً كان قاضينا الأمينا

وكان أبوه «زيدياً عتيقاً» ... وهم كتبوا لنا مستوزرينا

وتلك قصائد الشعراء منهم ... وتلك مؤلفاتُ الناثرينا!

* * *

(١) نزهة النظر ٦٣٥ ـ ٦٤٢.

يُشير في الأبيات إلى أن القاضي عبد الرحمن رحمه الله كان مقرباً لدى الإمام أحمد ومن حكامه الشرعيين وكتب فيه «انقلاب الثلايا» ثم انقلب مع عبدالله السلال[1].

وكانت وفاته في تاسع ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ، ورثاه كثير من الأدباء والشعراء وفي مقدمتهم نجله وأستاذنا القاضي العلامة الوجيه عبد الرحمن بن يحيى الإرياني بقوله:

خطب أسال له الإسلام مدمعه ... واحتل من شامخ العليا أمنعه

وكارث صيّر الألباب ذاهلة ... ولم يدع أروعا إلا وروّعه

ولم يدع مقلة إلا وقرحها ... ولا فؤاداً زكياً إلا وأوجعه

يا للعباد لخطب ما لصدمته ... حد فتجتاز بالتسليم أربعه

شُلّت يد الدهر أهوى ركن جامعة ... للمجد والعلم والتقوى وصدّعه

فأي شمس محى أنوار ضحوتها ... وأي نشر أغار الدهر منبعه

مضى الزمان بأعلى المرشدين يداً ... وحط تحت طباق الأرض أورعه

مضى بعلامة الدنيا وواحدها ... وبدر هدي رأينا الشعب مطلعه

قضى الرئيس وما كان الرئيس سوى ... قاموس علم رأينا الحق مشرعه

وحافظ سنة المختار مسندها ... وكل فن رأينا فيه مجمعه

قافٍ لخير البرايا في مناهجه ... والفوز يحرزه من أم مهيعه

يا دهر كيف استطاعت راحتاك بأن ... تغتال طود الهدى الراسي وتنزعه

الجهبذ الناشر النظّام فكرته ... أهدت إلينا من العرفان أنفعه

محقق إن دهانا مشكل فله ... فكر يعيد بهيم الأمر أنصعه

له خطى جازت العلياء وما فخرت ... وهمة بلغت في المجد أرفعه

سما وجاوز هامات العلى شرفاً ... وما وقاه العلا والعلم مصرعه

ما كان إلا كميٌّ فاض جانبه ... علماً على الوطن العالي فأمرعه

---

(١) ديوان الشامي ٢/ ٥٨٢.

تَنْـدَى يـداه حيـاء في قرابتـه ... ولا يـضم عـلى دنيـاه إصـبعه
كـم وقفـة في سبيل الحق قـام بها ... حتـى أبـان لنـا في الأمـر أمتعـه
وكم لَـجُـوجٍ أتـى بـالقول مشتبهاً ... فبـتّ بـالحق والتبيـان مطمعـه
إن قـام في النـاس يومـاً في محاضرة ... أصغى الزمان إلى مـا قـال مسمعه
أخلاقـه كريـاض جاءهـا مطـر ... والله مـن كـرم الأخـلاق أبدعـه
وفكـره كـان جـوّالاً فلـيس يـرى ... يوماً سوى الحق في التحقيـق مقنعه
قـضى عـماد المعـالي وابـن بجـدتها ... وأقفـرَ المـوتَ مـن عليـاه مربعُـه
ولّى ولم تجـد الـدنيا لـه عوضـاً ... ولم نرى في الورى من سد موضعه
مصيبة من صروف الـدهر معضلة ... رمـى بهـا مجمـع العليـا فزعزعـه
لم يـترك الـدهر مـن آمالنـا أمـلاً ... مـن بعـده أبـداً إلا وقطّعـه
تنكـر العـيش واسـودت نواصـعه ... وضـيّقت خطـوات المـوت أوسـعه
فـلا الحيـاة حيـاة حـين فارقنـا ... فيها ولا العيش عـيش حـين ودّعـه
والدهر لم يأل حربـاً ضـد كـل فتـى ... يـرى إلى مـنهج الإصـلاح منزعـه
سـهامه نافـذات في الـسراة فلـم ... تدع سَرِيّـاً تـرى في المجـد موضـعه
تالله لـو كانـت الـشعرى لـه وطنـاً ... لجرعتـه المنايـا مـا تجرعـه
والعمر شـوط وحـدّ المـوت غايتـه ... والمـرء يجهـد في الـدنيا ليقطعـه
ومـا لـه مـن مجـاني كدحـه غـرض ... ينيـل نفعـاً إذا مـا زار مـضجعه
سـوى سـوالف أعـمال يقـدمها ... في الـصالحات ويبقـى أجرهـا معـه
وكلـما قـدم الإنـسان مـن عمـل ... زاكٍ يكـون عمـوم النفـع أنفعـه
وقـد تـزود أجـداه وأعـوده ... نفعـاً عـماد الهـدى يحيـى وأبدعـه
أبي وأنـت شـفوق لـو رأيـت وقـد ... أبدى لنا الخطب يوم العيـد أروعـه
والناس في عيدهم يمشون في حـزن ... ولـيس فينـا الـذي لم يجـر أدمعـه
ولـيس فينـا الـذي لم تـدم مهجتـه ... أسـى ولم تحـرق الأحـزان أضـلعه
إذاً سـألت إلـه العـرش عـصمتنا ... كـي ينفـع الـصبر مـن منـا تدرعـه

وكنت أنت عذيراً في تقاعدنا ... عن واجب كنت دون الناس مرجعه
والفكر ناب وعين الشعر غائرة ... والقلب فقدك أدماه وأوجعه
وهل يجيد قريضاً في الرثاء فتىً ... قد كنت ناظره فيه ومسمعه
نهوى فداءك بالأرواح قاطبةً ... لو يسعد الموت فيه أن يشفعه
لكنه الموت لا يبقي على أحدٍ ... وكل حي سيلقى فيه مصرعه
وإننا إن تناهى خطبنا عِظَماً ... ولم يدع كبداً إلا ومزعه
نلقى القضاء وإن أنكى بأفئدةٍ ... ترضى به إذ علمنا الله مبدعه
ونحمد الله حمداً لا يخالطه ... سخطٍ ولا جزع قد شاب منزعه
والمرء إن لم يكن فيما يلم به ... مسلِّماً لم يجد في الحزن منجعه
وإن مما نرى فيه العزاء لنا ... إن الفقيد أحاط الخير أجمعه
وعاش يسعى لنشر العلم مجتهداً ... حتى توسد تحت الأرض أذرعه
في تاسع الحجة الغراء عن عمرٍ ... كعمر طه رغبنا أن نودعه
سقى ثراه من الرضوان صيبة ... وبرّد الله بالغفران مضجعه

وقال الشاعر السيد أحمد بن محمد الشامي:

أصحيحاً هوى منارُ الرشادِ؟ ... أيقيناً خبا ضياء النادِي؟
وثوى ذلك الخضمّ على الأعـ ... ـواد وأندك أشمخ الأطوادِ؟
يا لروض العُلوم، يا لمنى الأحـ ... ـرارِ، يا للإسلام، يا للعبادِ!
قد تولَّى الندى، وأجدب مرعاه ... وغاب التقى، ومات الهادِي!
فالأماني مقرّحاتٌ حيارى ... يتعثَّرن في ثياب الحدادِ
وعيون القريض تبكي فتاها ... فائضات بالدمع فيض الغوادِي
ونوادي العلوم تندب من كـ ... ـان لها خير ناصرٍ و«عمادِ»

* * *

إيه شعري ولستَ إلاَّ دموعاً ... نزفتها مشاعري وفؤادِي
أبك من كان كوكباً للمعالي ... أبك من كان بهجة للنَّوادِي

أبك من ألبس البطولةَ تاجاً ... من ذكاءٍ، وحكمةٍ، وسدادِ

كان للعدل مصحفاً ينذر الظـ ... ـلم قوى الإنذارِ والإرعادِ

كان للدّين ناصراً وأميناً ... وسياجاً له من الإلحادِ

كان للشعرِ والبلاغة روضاً ... تجتني زهره شعوب الضَّادِ

ربَّ شعرٍ لَهُ تودّ العذارى ... لو تقلَّدْنَه على الأجيادِ

إن تغنَّى به شجيٌّ أثار الحـ ... ـزن ناراً تكوي شعور الفؤادِ

أو تلهَّى به طروبٌ خليٌّ ... رقَّص الكائنات بالإنشادِ

هو آيات فكرةٍ تتجلَّى ... بسنا الوحي والتقى والرشادِ

هو آهات مهجة ألهبتها ... جمراتٌ من الذكا الوقَّادِ

* * *

عجباً للمنون وهي سهامٌ ... سدَّدتها كفّ الزَّمان العادِي

كيف أودت بكوكب الحقّ ... والحق شديد المراس يوم الجلادِ؟

لا عجيبٌ! فالموت كاس وكلّ ... رغم حُبّ الخلودِ للكاس صادِي

إنَّما النَّاس في الحياة ثمارٌ ... والمنايا مناجلٌ للحصادِ

وحياة الأنام في الأرض وهمٌ ... وخيالٌ معرَّض للنَّفادِ

رسمتها الأقدار في الأرض رمزاً ... لحياةٍ تكون بعد المعادِ

يا صريع الجلال، والمجد، والحكـ ... ـمة، والعلم، يا رفيع العمادِ

غبْ كما غابت الشموس فقد ... خلَّدت مجداً يضيء للآبادِ

وتنعَّم ونَمْ فقد كلَّ متناك ... وأدَّيْتَ واجبات البلادِ

في نعيم الجنان في جنَّة الفر ... دوس تجني ثمار ذاك الجهادِ

ومن قصيدة الشهيد محمد محمود الزبيري في رثاء العلامة يحيى بن محمد الإرياني:

شمسٌ طواها بليل القبر مقدورُ ... فالنور مفتقدٌ والصبح مقبورُ

الشعب يطرق حول النعش مرتئياً ... له إلى القبر تقديمٌ وتأخيرُ

مفكراً كيف يُلْقي المجد في جدثٍ ... وكيف يُنْبَذُ تحت الصخر نحريرُ

وكيف ينشب ناب الموت في جبلٍ وكيف تعلق بالنجم الأظافيرُ
وكيف يدفن رأسٌ ملؤه دررٌ ومهجةٌ روحُها للأرضِ تطهيرُ
وكيف يهدأ قلبٌ منه.. كان به لدورة الدهر تبديلٌ وتغييرُ
ساروا به يحملون النعش في جزع كأنه السيفُ في الأعناق مشهورُ
كأنهم حملوا الإسلام في كفنٍ من المصاحف حاكته المقاديرُ

وأخيراً فهذه وثيقة بخطه وهي عبارة عن قصيدة نظمها وأرسلها للإمام يحيى ناصحاً، وقد أهداني الأصل المخطوط من خط والده العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا راكباً خيل البريد رحيلا هاك الكتاب فلا يكون ثقيلا
أبلغ إلى المولى الإمام تحيّةً واستصحب التعظيم والتبجيلا
إنا بني يمن قشيبٌ شيعةٌ حُنَفَا نصلّي بكرةً وأصيلا
حتماً نرى لله في اموالنا حتّى الزكاة منزّلا تنزيلا
كنا نسلمها بطيّب أنفسٍ والترك تركضُ في البلاد خُيولا
ما أن نغادر من زكاة ثمارنا مما له فرضُ الإله فَتيلا
والآن خرّاص المزارع قدّروا ظلماً علينا في الزكاة وبيلا
لا يتَّقُون اللّه فيما حمّلوا جهلاً وقالوا كان ذاك ضئيلا
ليسوا كعقّابٍ وابن رواحةٍ حتى يكون كلامهم مقبولا
قد قدّروا شطر الثمار بعشرها بتجاهلٍ قد بَدّلوا تبديلا
جاء المخمن أوّلاً وورائه كَشَّاف سوءٍ يعلم المجهولا
قالوا على الصُّبرَ العظيمة مَالَنَا أن نُنْقِض المكتوبُ التأصيلا
وقفاهم المساح للأرض التي ذكروا ليعلم قدرها تفصيلا

قطعـوا بمرآنـا الـصلاة تعمـداً　　　أخـذوا الوشـاة تهتكـاً وغلـولا

زعمـوا بـأَنْ سيكون تقـديراً عـلى　　　قـدر المـساحة هكـذا قـد قـيلا

عجبـاً وأيّ شريعـةٍ قـد قـررت　　　هـذا الـذي قـد خـالف المعقـولا

فالأرض هـذي جـارة قـد فُـضّلت　　　ثمـراً عـلى جاراتهـا تفـضيلا

قـد غرّمونـا مـرّةً مـع مـرّةٍ　　　مـع مـرة قاتـاً ورزقـاً كـيلا

كانـت غرامتنـا كمثـل زكاتنـا　　　بـسياسةٍ كانـت علينـا لـيلا

يـا أيهـا المـولى الإمـام تنبهـوا　　　فالعـدل لـيس نـراك عنـه عَـدُولا

إِنّـا لتحـتِ النّـيْر مـن ظلـم غـدا　　　كـلّ الأهـالي تحتـه مقتـولا

ظلـم مـن الخـراص والكـشّاف والمـساح حتـى اسـتغرقوا المحـصولا

فـارحم رعيتـك الـذين تَوحَّلـوا　　　في الظلم واحلل مـن غـدا مغلـولا

سيـسجل التـاريخ إن لم ترحمـوا　　　هذي الظّلامـة في الـورى تـسجيلا

مـا إِنْ لنـا غـير الـدعا وصـعوده　　　فـوق الـسحاب صـاحباً جـبريلا

انّـى يخيـب سـهام مظلـوم غـدت　　　أرياشـها التـسبيح والتهلـيلا

طـارت شرارٌ مـن قلـوبٍ أحرقـت　　　ظلـماً فاحرقـت البيـاض شـعيلا

فانظر جوانب هـذه الـشكوى تجـد　　　برهـان صـدقٍ لم يكـن مغلـولا

والطمس فيها من دموع قـد جـرت　　　مـن شـدّة الظلـم المـبرّح سـيلا

أو أن تـرد إلى سـواي ظلامـةً　　　وقعـت بنـا فـلا أنـت أقـوم قـيلا

أبقـاك رب العـرش غوثـاً للـذي　　　مـن ظلمـه قـد فـارق المعقـولا

حاشـاك يـا مـولى الأئمـة أن تَـرَى　　　شكوى الضعاف البائسين فُـضُولا

وَلأَنْـتَ أدرى بالـذي قـد نالنـا　　　في الظلم فارحم من عليهم صِيْلا

الإرياني (يحيى بن محمد بن عبدالله)

(المتوفى ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)

القاضي العلامة أبو محمد يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن حسين الإرياني.

أخذ العلم عن جده من قبل أمه القاضي العلامة محمد بن يحيى السماوي الملقب بالبدر الحنفي المتوفى سنة ١٢٧٢هـ، وعن عدة، حتى صار بقية أهل الاجتهاد، وواسطة عقد أهل الانتقاد، وشمساً في الزمان، وإنساناً في عيون الأعيان. وفي الشجاعة والكرم العلم المفرد، كما ترجمه بعض عارفي فضله ومكانته. وممن أخذ عن نجله القاضي محمد بن يحيى حاكم ميدي المتوفى بوطنه في ذي القعدة سنة ١٣٥٠هـ، وموت صاحب الترجمة في ثالث ذي الحجة سنة ١٣٣١ إحدى وثلاثين وثلاثمائة. ورثاه ولده المذكور بقصيدة منها:

ما بال عينك دمعها لا ينفد	وحشاك فيه جمرة تتوقد
أدهاك خطب مفجع أم موت من	جمع الفضائل فهو فيها المفرد
يحيى الذي أحيى العلوم وقد محا	أنوار بهجته ظلام أسود
فغدا وقد طلعت شموس علومه	بيضاء صافية تغور وتنجد
لله من قبر ثوى في بطنه	جبل أشم بل خضم مزبد
العالم العلم المنيف على السبا	الناسك المتأوه المتعبد
رب الفضائل والمكارم والتقى	فله إذا في كل مكرمة يد
تنبيك بالحسنات من أفعاله	سِوَرُ المثاني والحديث المسند
إن كان قد سمع الأصم كلامه	فلقد رآه بمقلتيه الأرمد
وإذا الشدائد شمَّرت أذيالها	وأنسدَّ مسلكها وضاق المصعد
تنظر لمقدمه السرور كأنه	قمر تحل به الأمور وتعقد
قد كانت العلما بيسر وجوده	تشفى بمات طبيبها والعُوّد

يا من غدا قلق الفؤاد ودمعه الهتان في صحن الخدود يخدد

ما إن تلام على عويلك إنه	خطب رماك به الزمان الأنكد

ورثاه هو والقاضي حمود بن حسين الإرياني القاضي البليغ يحيى بن أحمد السماوي بقصيدة منها:

رزء ألم فللحشاء توقد — والعين يجفوها الكرى والمرقد
إذ جاء طرسى في مطاويه الشجى — خبر تكاد الشم منه ترعد
نعى لطود شامخ قد خانه — واغتاله الزمن الخؤون الأنكد
العالم النحرير أكرم من مشى — فوق البسيطة متهم أو منجد
مات السخاء بموت يحيى يا له — من فادح فالقلب منه مكمد
يا عين فابكي والداً قد كان لي — حصناً بنجد إذ أغور وأنجد

حتى قال في ذكر حمود بن حسين:

آه على قاضي القضاة (حمودنا) — من كان سيفاً ناشراً لا يغمد
أسفاً على بتّار علم زاخر — صار العلاء لفقده يتأود
كالبدر في أفق السماء محاه من — ريب المنون كسوفه المتعمد

الإرياني (يحيى بن علي بن عبدالله)

(١٣١٦ - ١٣٥٨هـ/ ١٨٩٨ - ١٩٣٩م)

القاضي العلامة يحيى بن علي بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين الإرياني.

مولده بإريان في رجب ١٣١٦هـ ونشأ في حجر عميه القاضي حسين بن عبدالله والقاضي محمد بن عبدالله وكان والده مقيماً في بلاد حاشد لدن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، وأدركته الوفاة بغريان من بلاد ظليمة من حاشد ونشأ صاحب الترجمة في طلب العلم، وأخذ عن القاضي يحيى بن محمد وعن السيد العلامة زيد بن علي الديلمي، وتولى أعمال كتابه القضاء بمدينة إب، ثم كان من أعضاء محكمة الاستئناف بصنعاء من سنة ١٣٥١هـ إلى أن أدركته الوفاة بصنعاء سنة ١٣٥٨هـ وخلف ولداً نجيباً اسمه علي بن يحيى[١].

---

(١) نزهة النظر / ٦٢٥.

الإرياني (يحيى بن علي)[1]

(١٢٤٠ - ١٣١٣هـ/١٨٢٤م - ١٨٩٥م)

القاضي العلامة الشاعر البليغ الأديب الحافظ الأريب يحيى بن علي بن عبدالله بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الوجيه عبد الواحد بن الصديق محمد السيفي الإرياني.

مولده تقريباً سنة ١٢٤٠هـ. وأخذ عن القاضي محمد بن يحيى السماوي الملقب بالبدر الحنفي، وعن القاضي عبد الملك بن حسين الآنسي الصنعاني وغيرهما. وكان عالماً جهبذاً محققاً. ومن أكابر من أخذ عنه القاضي الحافظ علي بن عبدالله الإرياني فإنه لازمه نحو خمس عشرة سنة وأخذ عنه في العربية والأصولين والمعاني والبيان والحديث والتفسير والفرائض والحساب. وأخذ عنه أيضاً القاضي الحسين بن عبدالله الإرياني والقاضي العلامة عبدالله بن محمد العيزري الذماري وغيرهم. ولما تعين القاضي العلامة محمد بن يحيى بن علي الردمي الصنعاني للقضاء بمدينة ذمار في آخر القرن الثالث عشر قال صاحب الترجمة مكاتباً له بقصيدة منها:

قِدوم محمد أسمى ذمارا	فتاهت بالذي يحمي الذمارا
وأخصب عيشها من بعد مَحْلٍ	فماست في غلائلها افتخارا
بعز الدين عزت بعد ذل	فطابت مسكناً وعلت ديارا
لقد فازت بطلعته ومن لي	بما نالت فاحمده مرارا
كريم الراحتين سليل يحيى	ولا تلد الخيار إلا خيارا
أكاتبه وإن نزحت دياري	وأهواه وإن أبدى ازورارا
وأشكر ما حييت بني شهاب	وأمدحهم وإن ملوا نفارا
وما حبي لهم إلا لحبي	لمن حاز المكارم والفخارا

(١) أئمة اليمن ٢/ ١٨٥ - ١٨٩.

وبعد أن تجاسر علي أحمد الكليبي صاحب بلاد الحدا ونحوه من الأشرار أهل الجرأة على إحراق دار صاحب الترجمة التي كان يسكنها بذمار مدة ولايته القضاء بها بالبارود واستشهد من ذلك الإحراق صنوه العلامة الضياء صالح بن يحيى الردمي، قال القاضي يحيى بن علي الإرياني قصيدة منها:

خطب ألمَّ فعمَّ أقطار اليمن ... وكسى النجوم الزهر أثواب الحزن
موت ابن يحيى صالح الحبر الذي ... في فضله قد فاق أبناء الزمن
فرمى ضياء الدين أكبر محنة ... وسلامة البدر المنير من المنن
فلذاك في الفردوس أعلى منزل ... ولذا جميل الذكر والوصف الحسن
صبراً بني يحيى الكرام فأنتم ... أُسد الشرى أنَّى لمثلكم الوهن
ولكم بخير الخلق أفضل أسوة ... وبآله فيما أصيبوا من محن

وقال مادحاً حسن فنّي المصري اليمني المتوفى حوالي سنة ١٣١٠هـ:

اسمحي باللقاء من غير مَنٍّ ... يا سليمى وواعديني ومُنِّي
وارحمي عبرة على الخد تجري ... وضلوعاً على الغرام كشن
كم تقاسي مهجتي في هواكم ... من صدود وجفوة وتجني
كان ظني بأن ترقّوا لما بي ... فرأيت الذي به ساء ظني
يا نديمي وللغرام رجال ... سلكوا فيه كل سهل وحزن
غادة في القريض ذكر المغاني ... والغواني وهات كأسي ودني
وفنون النظام جَمّاً ولكن ... مدح (قائمقام أحسن فني)
أوحد الناس سؤدداً وكمالاً ... وفخار الذروة العزيَبْنِي
ما رأت مقلتي له من شبيه ... لا ولا مثله سمعت بأذني
ما (حريري) وقتنا ببيان ... وجميع الرواة في (الدار قطني)
لجميع الإلقاء مصدر يمن ... وعليه فلن ترى غير مثني
و(يريم) تاهت به إذ أتاها ... والأهالي فازوا بِيُمن وأمن
أصبحوا كلهم بكل سرور ... وغدا بعضهم لبعض يهني

دام في العـز نافـذ الأمـر فـرداً في الـسجايا وجـابراً كـل وهـن

قـد أتـتكم تمـشي لـضعف ووهـن تطلب العفو أن تكن لـيس تغنـى"[1]

ولما أكمل القاضي علي بن عبدالله الإرياني في سنة ١٣٠٧هـ نظم ألفيته في فقه السنة النبوية قرظها صاحب الترجمة بأرجوزة كبيرة منها:

وبعـــد فالألفيـــة الفريـــدة منظومـــة عقودهـــا نـــضيدة

فائقـــة في الحـــسن والإحـــسان ســـميحة الألفـــاظ والمعـــاني

جامعـــة أحكـــام ســـيد البـــشر فائقـــة نظـــم الـــدراري والـــدرر

للعـــالم العلامـــة النبيـــل متبـــع الـــسنة والتنزيـــل

مـــن فـــاز بـــالتحقيق والإتقـــان عـــليّ المـــدعو بالإريـــاني

يـــا طـــالبون للحـــديث النبـــوي والمـــذهب المـــدني إلى الـــرب القـــوي

علـــيكم بهـــذه الأرجـــوزة فإنهـــا جـــوهرة عزيـــزة

ولا تقـــل شـــهادة مـــن والـــد والشمس لا تخفى بجحـد الجاحـد

عـضوا عـلى ذا الـنظم بالنواجـذ لأخـــذه مـــن أشرف المآخـــذ

إن الحـديث عِلْمُـه قـد انطـوى بـساطه وقـد هـوى منـه الـروى

ولم نجـــد في عـــصرنا والقطـــر مغترفـاً مـن فـيض هـذا البحـر

ســـوى عـــليّ زاده الله عـــلا منوهـــاً بفـــضله بـــين المـــلا

يـــا عـــالم الأسرار والإعـــلان احفـــظ علينـــا فطـــرة الإيـــمان

فَـــرّج عـــلى العبـــاد والـــبلاد ومـــزقنَّ عـــصبة العنـــاد

يـا ربنـا وأمـنن بحـسن الخاتمـة فهـي الـذي نفـسي عليهـا حائمـة

حـــرر هـــذا في ربيـــع الأول شـــهر تعـــالى بـــالنبي المرســـل

في عـــام ســـبع وثـــلاث عـــشرة مئتـين تمـت مـن سـني الهجـرة

حـــرره ذو العجـــز والنـــسيان يحيـــى ســـليل عـــلي الإريـــاني

---

(١) نزهة النظر ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

وأفـــضل الـــصلاة والـــسلام | عـلى الــذي طــاب بــه ختــامي
محمــــــد والآل والأصـــــحاب | ومقتفـــي الـــسنة والكتـــاب

ومات بإريان في شعبان سنة ١٣١٣ هـ. ورثاه تلميذه القاضي علي بن عبدالله الإرياني بقصيدة منها:

ألا أي خطب جل فـامتنع الغمـض | وأظلمت الأكوان والطول والعـرض
ونـادى المنـادي في البلائـد كلهـا | كذلك من أطرافها تـنقض الأرض
لموت الذي أحيـى العلـوم بأسرهـا | وتم لـه التحقيـق والكـرم المحـض
أبعـد عـماد الـدين يـدعى مجمـع | وقد شهدت كل الـورى أنـه محـض
فقـل لفنـون العلـم تبكـي دماؤهـا | فقد نالهـا مـن بعـد إبرامـه الـنقض
عليـه مـن الـرحمن أفـضل ملـبس | إلى أن يكون الحشر والنـشر والعـرض

يحيى علي الإرياني

(ولد ١٩٤٢ ـ ...)

أستاذ وأديب وروائي كبير، ولد في إريـان سـنة ١٩٤٢ ودرس فيهـا ثـم انتقـل للدراسة في سوريا حيث حصل فيها على الثانوية العامة والليـسانس في قـسم الفلـسفة وتخرج عام ١٩٦٦ وعاد إلى اليمن أثناء مقاومة اليمن للمحاور الاستعمارية وشارك في الدفاع عن صنعاء أثناء حصار السبعين. عمل وكيلاً لـوزارة الإعـلام والثقافـة وأمينـاً عاماً مساعد لأمانة العاصمة ثم عمل نائباً لرئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني.

من رواياته المطبوعة:

- ركام وزهر ١٩٨٨
- مشاهد في الحكاية، نشرت أولاً في مجلة اليمن الجديد عام ١٩٨٢ ثـم خرجـت في ١٩٨٩ في كتاب.
- سيزان، رواية، بيروت ١٩٩٥.
- لو يزهر الكرم (بيروت).

مــلاحــــق



(١)

من مذكرات
القاضي عبد الرحمن الإرياني
رئيس المجلس الجمهوري في اليمن
(١٩٦٧ - ١٩٧٤م)

سيرته بقلمه:

اسمي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، تاريخ مولدي في جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ/ حزيران سنة ١٩١٠م ومكان مولدي هو حصن ريمان المطل على هجرة «إريان» في بني سيف العالي ناحية القفر محافظة إب.

بداية دراستي على يد شيخنا العلامة عبد الواسع بن محمد الإرياني رحمه الله، وقد قرأت عليه القرآن ومبادئ العلوم الدينية واللغوية والبلاغية والمنطق، ثم درست على والدي رحمه الله في مختلف العلوم. ولما أقيمت المدرسة العلمية في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م التحقت بها مع شقيقي محمد بن يحيى، وأخذنا على شيوخها، ومنهم القاضي عبدالله بن محمد السرحي والعلاّمة أحمد بن علي الكحلاني والعلامة أحمد بن عبدالله الكبسي وسيدنا علي محمد فضة والعلامة عبد الخالق الأمير والقاضي أحمد العمري والأساتذة لطف الفسيل وحسين وعبد الواسع الواسعيين وغيرهم. ولم تكن مناهج المدرسة تختلف عن مناهج الدراسة في الجوامع والهجر، ثم درسنا على والدنا في إريان ثم في صنعاء، وكان قد عقد حلقة تدريس في جامع الفليحي، كان يحضرها إلى جانب تلامذته كثير ممن كانوا يعتبرون من العلماء. وكان رحمه الله يدرس كتب السنة وشروحها لمجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني رحمهم الله جميعاً.

ووالدي هو يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني، عالم مجتهد يعمل بالدليل ويندب طلابه إلى الاجتهاد، تولّى القضاء في قضاء إب من سنة ١٣٣٧ وهو تاريخ دخول الإمام يحيى صنعاء واستيلائه على البلاد، وبدء انسحاب الأتراك من اليمن في أعقاب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨م. وانفصل عن القضاء في آب عام ١٣٤٦، وفي عام ١٣٤٩ استدعاه الإمام إلى صنعاء وعيّنه عضواً في الاستئناف ثم عيّنه رئيساً للمحكمة الاستئنافية العليا، حيث تقلّد هذا المنصب زهاء اثنتي عشرة سنة حتى وفاته رحمه الله في أواخر عام ١٣٦٢.

ووالدتي هي السيدة الفاضلة سلوى بنت محمد بن يحيى الإرياني. كانت امرأة خيّرة ذات ديانة وصلاح وعقل راجح وحب للخير والصدقة رحمها الله. وقد أنجبت لوالدي رحمه الله ستة أولاد هم علي وعبدالله وعقيل ومحمد وعبد الرحمن ولطف الذي مات شاباً عن ثماني عشرة سنة.

تولى اثنان من إخوتي، هما علي ومحمد، القضاء في عدة جهات، وتوفي علي رحمه الله في سنة ١٣٥٨ عن سبع وثلاثين سنة، وتولى محمد أبقاه الله منصب القضاء في عدد من القضوات حتى نُقل بعد الثورة من محكمة قضاء الحجرية إلى رياسة المحكمة الاستئنافية بصنعاء. وهو يعمل الآن مستشاراً لوزارة العدل، وكان الأخ عبدالله (رحمه الله) القيّم على الأهل والأملاك التي كانت غلاّتها توفر للأسرة عيشاً كريماً لا إسراف فيه ولا تقتير. أما الأخ عقيل بن يحيى الأديب والشاعر الناقد فقد وافته المنية وهو في الحادية والعشرين من عمره، فلم يتولّ منصباً رسمياً بل كان يشتغل بالدرس والتدريس. أما الأخ حمود، وهو أصغرنا سناً، فيعمل مساعداً لحاكم المخادر، وأما أنا فقد عيِّنت حاكماً في قضاء النادرة سنة ١٣٥٥ وأنا في السابعة والعشرين، ثم عُيّنت في قضاء العدين، وفي عام ١٣٦٣ اعتقلت مع من اعتقلوا في ذلك التاريخ، وبعد إطلاق سراحي من معتقل حجة عام ١٣٦٤ عُيّنت عضواً في الهيئة الشرعية التي عيّنها ولي العهد أحمد في تعز كفرع للاستئناف، ولكن هذا

التعيين لم يكن بأمر الإمام. ولذلك فإننا حين ناقشنا قراراً للاستئناف على أحد الأحكام وقررنا خلافه جاءت برقية من الإمام إلى ولي العهد تسأل: من عيّن الإرياني استئنافاً على الاستئناف؟ ومع أنه كان من أعضاء الهيئة اليدومي والذاري والموشكي (رحمهم الله) فإن الإمام لم يفتح عينيه إلا على اسم الإرياني... وبعد خروجي من سجن حجة في أواخر عام ١٣٧٤ عملت في الهيئة الشرعية نائباً لرئيسها العلامة زبارة، ولما تشكلت أول حكومة في عهد الإمام أحمد برئاسة وليّ عهده عُينت وزيراً للدولة. وقد ظل مع ذلك عملي في الهيئة الشرعية، وكان منصب وزير الدولة شرفياً اقترحه أحدهم حتى لا يكون جل الوزراء فيها من فئة معينة. وقد حضرت جلستين من جلساتها بعد أن أصبح البدر إماماً، وقد لوّح الإمام الجديد بسيفه في وجهي لسبب لا يوجب أقل العتب أو التأنيب. وأذكر القصة وإن كانت خارجة عن الهام في موضوعنا.

لقد استعرضت في الجلسة الأولى البرقيات التي أرسلت إلى الملوك والرؤساء مخبرة بوفاة أحمد وقيام محمد إماماً ملقباً بالمنصور بالله، وكانت البرقية التي إلى الملك سعود مبالغة في التملّق والخضوع وتعطي معنى البيعة له كحاكم مشرف، كما كانت البرقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر عادية جداً، فاقترحت أن تُعدّل البرقية الى سعود لتضمن السيادة والذاتية اليمنية، وأن تمتاز البرقية التي إلى عبد الناصر فتتضمّن الرغبة في التعاون. وأيدني في هذا الدكتور عدنان ترسيسي، وكان يحضر كمستشار. ولم يرق ذلك لبعض الوزراء فعارضوا. وفي الجلسة الثانية جاء البدر ليفتتح الجلسة بقوله: «هؤلاء الناصريون الذين يريدون تسيير الأمور في اليمن بتوجيهات عبد الناصر وما عندي لهم إلا السيف!» وكان الذين عارضوا الاقتراح في الجلسة الأولى قد فسّروا له ذلك بحسب هواهم، وذكّروه بما كانوا قد لفتوا نظره إليه قبل وفاة الإمام إلى صداقتنا مع السفير المصري الأستاذ علي الدسوقي، وكنت قد بدأت أردّ وأقول: إذا كان اقتراح لا يهدف إلا إلى المصلحة يوجب التهديد بالسيف، فلماذا أمرتم إذاً بحضورنا في هذه الجلسات؟ وأشار الدكتور عدنان

ترسيسي بيده فسكتُّ وتولّى هو الجواب فقال: والله ما غرضي وغرض القاضي الإرياني إلا مصلحة اليمن ومصلحة العرش، ووزير الخارجية ـ يعني حسن إبراهيم ـ يعرف ما لعبد الناصر من مكانة في الدول العربية، ومن مصلحة العرش أن تكون العلاقات معه حسنة.

وبعد خروجنا من الجلسة جاء الدكتور عدنان يعتذر إليّ لأنه قطع حديثي وقال: «أنا أردت أن أتولّى الجواب الذي أعرف أنه لن يرضي بعضهم، لأنهم إذا غضبوا عليّ سيقولون لي مع السلامة. أما أنت فقد تذهب إلى السجن وإلى ما هو أخطر منه فينفذ التهديد» فقلت له: «لا داعي للاعتذار، فأنت تستحق الشكر على ذلك».

ومن حسن الصدف أنه جاءني بعد خروجي من الجلسة إلى دار الضيافة العقيد عبدالله جزيلان والرائد محمد الأهنومي يطلبان إليّ باسم الضباط التوجّه إلى تعز للإشراف على الأعمال هناك والتعاون مع الضباط الذين كان منهم في تعز سعد الأشول ومحمد الخاوي والشهيد أحمد الكبسي وعلي الضبعي ومحمد مفرح. وكان ينتظر التحرّك من قبل «العكفة» الحرس الملكي، وقالا إن الحركة ستكون يوم الأربعاء وسبب الاستعجال أن البعض قد أبلغ نائب الإمام القاضي محمد الشامي وأن وزير الخارجية هدّد أبناء المشايخ وهم يخشون أن يتّخذوا ضدهم إجراء قبل عمل أيّ شي. ولما كان السماح بالسفر مستبعداً، فقد عمدت إلى بعض الإخوان بتحرير رسالة باسم العائلة تقول بأن أحد الأولاد مريض، وعرضتها على البدر الذي وافق بعد تردّد على السفر لمدة يومين، وجاء الأربعاء، الموعد المحدَّد للثورة، ولم نسمع شيئاً من الإذاعة، فشعرت بالخطر لأني قدّرت أن البدر قد وأدها باعتقال الضباط، ولكنه جاء على الطائرة الأستاذ أحمد المقطري الذي كان من العاملين معنا ليطمئننا. وفي صباح الخميس سمعنا البيان الأول وجاءت ثورة سبتمبر (أيلول) الظافرة فأطاحت بالبدر.

وفي عهدها توليت عدة مناصب من وزير عدل إلى عضو في قيادة الثورة إلى رئيس للمجلس التنفيذي إلى نائب لرئيسه وعضو في المجلس الجمهوري إلى نائب

لـرئيس الجمهوريـة. وفي ٥ نـوفمبر (تـشرين الثـاني) انتخبـت رئيـساً للمجلـس الجمهوري حيث بقيت إلى ١٣ يونيـو (حزيـران) ١٩٧٤م. وفي هـذا اليـوم قـدمت استقالتي إلى مجلس الشورى فقبلت، وغادرت صنعاء إلى تعز. وبعد يومين غادرت تعز إلى سوريا كمبادرة اختيارية لأترك لمن خلفني في الحكـم الفرصـة كاملـة. وقـد جاء رئيس مجلس القيادة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء إلى تعز للوداع، وقد كان وداعاً رسمياً كبادرة تتميز بها اليمن في التعامـل بـين الـسلف والخلـف في الحكم، كما إني استقبلت في سـوريا اسـتقبالاً رسـمياً، وكـان عـلى رأس المـستقبلين الرئيس حافظ الأسد. ولما شكره الأخ الأستاذ نعمان الذي كان معي في الطائرة على هذه البادرة الكريمة قال: «نحن نقدر القاضي لشخصه لا لمنصبه».

ومع أن استقالتي كانت اختيارية وبرغبة صادقة وقناعة كاملة، كما كان السفر إلى دمشق اختيارياً وعلى أساس العودة بعد شهر، إلا أني مُنعـت بعـد ذلـك مـن العـودة. وحينما جاء المرحوم الحمدي إلى سوريا جاءني إلى محل إقامتي زائراً، ثم جـاءني مودّعـاً ففاتحته برغبتي بالعودة، ولكنه بعد ذلك اعتذر بمعارضـة المـشايخ التـي لـيس لهـا مـا يبررها، واغتيل الحمدي رحمه الله، وجاء الغشمي الذي كان صريحـاً في اعتـذاره حيـنما طالبته بالعودة إذ اعتـذر بمعارضـة خارجيـة، وذكـر اسـم مـسئول كبـير مـن هـؤلاء المعارضين. وقد ساءني ذلك جداً أكثر من معارضة من اعتذر بهم الحمدي، وقد بعثت رسالة احتجاج عنيفة لهذا المسئول ألومه عـلى العـداء غـير المـبرر والتـدخل في شـئون بلادي غير المقبول، وقد عاد جوابه بعد مقتل الغشمي متنصلاً من التهمة ومتبرعاً بما لم أطلبه وهو أنه سيقنع الأخ العرشي الذي خلف الغشمي مؤقتاً بالسماح بالعودة.

ثم جاءت البادرة الكريمة والشجاعة من الرئيس القائد عـلي عبـدالله صـالح دون طلب من أحد بالسماح لي وللأخ المشير السلال ولمـن يرغبـون في العـودة ممـن يعيشون في الخارج من الإخوان الذين عملوا للقضية الوطنية وعلى رأسهم الأسـتاذ نعمان والفريق العمري واللواء عبدالله جزيلان وغيرهـم.

وكانت هذه البادرة المشكورة هي الأولى من نوعها في العالم العربي، باستثناء لبنان الذي يعيش فيه الرؤساء السابقون مع من خلفهم يتمتعون بكامل الحقوق السياسية والاعتبارية. ولذلك فقد كانت بادرة الرئيس اليمني محلّ تقدير في الداخل والخارج وأذكر أن الإخوان السوريين قد ذهلوا حينما جاء الرئيس الحمدي رحمه الله لزيارتي في محل إقامتي حينما زار سوريا ثم جاء للوداع، وقد قال لي الوزير السوري المرافق: «نتمنى لو أن الدول العربية تقتدي باليمنيين في هذا التعامل الكريم».

لم يكن لي نشاط سياسي بعد الاستقالة، فيما عدا النصائح التي بعثتها إلى الحمدي ثم الغشمي ثم الرئيس الحالي وفاء بحق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم وحق الوطن وأولي الأمر فيه، وعملاً بالحديث الصحيح «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأولي أمر المسلمين ولعامّتهم» أو كما قال صلى الله عليه وسلم. ولقد كان جوابي لكل من يحاول العودة بي إلى حقل السياسة التمثّل بقول الشاعر العراقي الذي يبدو أنه عانى منها ما عانيناه:

من مُبلغ القوم شطّت دارهم ونأتْ ... أني رجعت إلى كتبي وأوراقي
عفتُ السياسة حتى ما أُلمّ بها ... وقد رددت عليها كل ميثاق
لأنها جشّمتني كل غالية ... وأنها كلفتني غير أخلاقي

ومن منطلق العودة إلى الكتب والأوراق، فقد قمت بتحقيق بعض كتب التراث وطبعها وسوف أواصل ذلك ما أمد الله بالعمر وأمتع بالجهد.

اليمن في العهد الإمامي:

الأوضاع التي كانت قائمة في عهد الإمام يحيى وابنه يستوي في معرفتها السائل والمسئول. إنها أوضاع تخلُّف وجهل وفقر ومرض وظلم وإذلال، ولكننا في مطلع أعمارنا كنا كغيرنا من الناس نعتبرها الحياة الطبيعية ونعتقد (أن «أيّ» كذا خُلقت) كما يقول المثل، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان. ولم نكن نعرف عن شيء مما يجري في العالم أو نتصور أن للشعب حقاً على الدولة، وكل ما كان يستنكر هو

الظلم والإذلال اللذان كان يعاني منهما المواطنون الأمرَّين، من خراص إلى كشاف إلى ملتزمين إلى جنود إلى خطاط إلى رهائن إلى سخرة إلى تنافيذ إلى إلى إلى ما لا يحصى. وقد كانت كل هذه المظالم تجري باسم الدين وباسم ركن من أركانه الخمسة، وهو الزكاة التي كانت تؤخذ مضاعفة من الغني والفقير ثم تخزن في مخازن الإمام ومدافنه دون أن يصرف شيء منها في مصارفها التي نصّ عليها القرآن الكريم. ولقد كانت الإمامة تستولي على معظم محصول الفلاحين باسم الزكاة، مما جعل العلاّمة المجتهد السيد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله يقول في قصيدته الرائية الناصحة الناقدة مخاطباً الأئمة:

خراجية صيرتمو الأرض كلها ... وضممتم العمال شرّ المعاشر
لذاك الرعايا في البلاد تفرّقت ... وفارقت الأوطان خوفَ العساكر
وقد رضيت بالعشر من مالها لها ... وتسعة أعشار تصير لعاشر



إنها شنشنة عرفها الإمام يحيى ممن سبقه من أخزمي الأئمة وفيهم من نسب إليه العلامة المقبلي رحمه الله قوله لأحد عماله حاثّاً له على استصفاء أموال الرعايا: «إن الله لا يسألنا إلا عما أبقيناه في أيدي المجبّرة والمشبهة من أموالهم - ويعني بهم الشافعية - لقد كانت مآخذنا على عهد الإمام يحيى مآخذ دينية ومطالب سلبية، أي أنها كانت تطلب عدم الظلم والجور بأنواعها والاستعلاء الذي كان يمثله قول أحدهم: «هل أنتم إلا عبيد لأبي؟» وقد كانوا يستهلّون رسائلهم إلى رؤساء العشائر اليمنية بقولهم: «إلى خدّامنا آل فلان» ولما كنا قد نشأنا في أسرة علمية متحرّرة مذهبياً تعمل بالكتاب والسنّة وتدرس كتب مجتهدي اليمن، فقد كنا نسمع ممن هُمْ أكبر منا سنّاً وأوفر علماً نقداً حاداً للإمام يحيى وللمظالم التي كان يعاني منها الشعب، وكان من علمائها من نقد الإمام يحيى قبل دخوله عام ١٣٣٧ صنعاء واستقراره فيها، ومنهم عمّ الوالد القاضي علي بن عبدالله الإرياني رحمه الله الذي بعث للإمام يحيى قصيدة يهنّئه فيها

بدخول صنعاء للمرة الأولى التي لم يطل بقاؤه فيها، إذ جاء أحمد فيضي فخرج منها متخفّياً من باب ستران وذلك في ١٣٢٣ وقد جاء في هذه القصيدة ما يلي:

وقد آن أن أهدي إليك نصيحة ... وأفضل ما يُهدى مقال ذوي النصح

تفقّدْ أمور المسلمين جميعها ... وبادر لأهل الجور بالعزل والطرح

فلا خير يُرجى من ولاية ظالم ... ولو كان في أفق السماكين والنطح

ولو كان فيه مسحة من ملاحة ... وحذق فما والله في الظلم من ربح

إلى أن يقول:

وكم من ذئاب لا سقى الله عهدهم ... يَرَوْنَ وعيدَ الله ضرباً من المزح

وما الخير إلا في اتّباع محمد ... نبيّ الهدى مع صحبه أنجم الفلح

وما خالف المنصوص فهو ضلالة ... وإن قرروه في الهوامش والشرح

أما والدي رحمه الله فقد كانت نصائحه الناقدة متعددة المناحي ومختلفة المواضيع، فمنها ما هو ديني ومنها ما هو سياسي، وكان أولها قصيدة بعث بها إلى الإمام يحيى في عام ١٣٢٨، وهو في التاسعة والعشرين من عمره، وذلك حينما بعث الإمام جيشاً كبيراً بقيادة محمد يوسف وعبدالله بن إبراهيم ويحيى بن محمد بن الهادي فمروا في طريقهم بمدينة يريم التي توالي الإمام وتعادي الأتراك، فعاث هذا الجيش في المدينة فساداً، ونهب كل ما في منازلها، فبعث للإمام القصيدة التالية ناصحاً وناقداً ومطالباً بإعادة المنهوب أو تعويض المنهوبين:

على رسلكم أهل المحابر والقلم ... بذا خبّروا فليرقم الخط من رقم

قفوا ريثما أملي عليكم رسالة ... لها الصدق خال وابن خال لها وعم

منزّهة عن ريبة في حديثها ... وما ربّها فيما يقول بمتهم

إلى أن يقول:

فيا راكباً إما بلغت إليه لا ... يكن غير إبلاغ الإمام لك الأهم

بما كان حقاً في يريم وما جرى ... من القوم مما أوقع الطفل في الهرم

فلـم يتركـوا للمسـلمين جميعهم — من المال مـا يُجدي ببيع ولا سلم
وقد أخذوهم مـن محبّ ومبغض — وما فرّقوا بين الصحيح وذي السقم
وكم من ضعيف قد أذيق بظلمهم — عذاباً من التهديد والهتك للحرم

وقد أجاب الإمام يحيى بقصيدة على الوزن والقافية قال فيها:

وقـد جاءنـا واليـوم بـادٍ ضيـاؤه — خطاب الذي قد جرّ بالكاغد القلم
خطـاب امـرئ لله ذلـك مـن فتـى — تصرّف بالـدر النضيد الـذي نظم

إلى أن يقول:

أفيـدك أني لسـت أرضى فعـالهم — ولا نكر ذي نكر ولا ظلم من ظلم
وفي الأدهم المبروم في سوق رهنهم — وفـاء وتبكيـت وفي صـولة الرسم

لقد تبرأ الإمام من ظلم الجنود ولكنه لم يعمل على إعادة الأموال المنهوبة إلى أهلها أو تعويضهم عنها كما هي في نصيحة الوالد بل قال: إنه قد أمر بوضع الأدهم المبروم أي القيد على أقدام رهائنهم وهي عقوبة يوقعها على غير مجرم وقد بعث الوالد قصيدة أخرى يأسف فيها لعدم الإصغاء للنصيحة قال فيها:

تـصوّرت إذ جـاء الكتـاب المسطّر — وسالت مـن العينـين في الخـدّ أنهر
ولـيس لأطـماع لـديّ أُكنُّهـا — فـما أنـا ممّـن للزخـارف ينظـر
ولمـا أبـت نفـسي الـدنيّات كلهـا — غـدت هـذه الـدنيا بعينـي تحقـر
ولكننـي آسي لإخـلاف موعـد — وعـدت بـه القـوم الـذي تـضرّروا
وقلـت لهـم هـذا الإمـام مؤمـل — سـيجزل تعويـضاً لكـم ويـوفِّر
ولم يـك للوعـد الكـريم بمخلـف — وحاشـاه فـالإخلاف لا يُتَـصوَّر
ولكـنّ في طـيّ الجـواب تغلّفـت — مواعيـدُ عرقـوبٍ فعـمَّ التحسُّر

وفي عام ١٣٤١ كتب إلى زميله ابن عمه العلامة القاضي محمد يحيى الإرياني، وكان حاكماً في رداع، قصيدة يندّد فيها بمظالم حكام الإمام يقول فيها:

نـم سـتراني مخـبراً بعجيبـة — وإن كنـت تـدريها يقينـاً محققـا

بـأحوال حكّـام الإمـام وأمـرهـم ... لقـد شربـوا الأطـماع كأسـاً معتّقـا

إلى أن يقول بعد تعداد مظالم الحكام:

فـوا أسـفا مـا العـذر للـترك إننـا ... وعـدنا بـإجراء الـشريعة مطلقـا

وقلنـا لهـم أنـتم هـدمتم بناءهـا ... وقد كان قصر العدل يعلو الخورنقا

وأمـا إذا صـارت إلينـا فإننـا ... سنجعل بين العدل والظلـم خنـدقا

فلـما ملكنـا خفّهـا وسـنامها ... أضـعنا وأبـدينا اعتـذاراً ملفقـا

وقد جاء جواب ابن عمه يقول:

ولا شك في الأمر الذي قد شكوته ... فعنـد جميـع النـاس صـار محققـا

فإنـا ارتقبنـا الـصبح حتـى إذا بـدا ... توغَّـل في الليـل البهـيم وأغـسقا

وفي سنة ١٣٣٨ بعث الإمام كشّافاً من المشايخ يخرصون المحصول الزراعـي ويقدرون الزكاة بحجة أن المخامنة لم يوفوا الزكاة حقها. وقد جاء هـؤلاء الكـشاف بعد حصاد الثمرة فلم يروا غير التراب، ومع ذلك فقد قدروا المبـالغ التـي أرضـت الإمام فبعث إلى الإمام قصيدة جاء فيها:

تأمـل في الـذي يبـدي الزمـان ... ومـاذا قـد أتـاح بـه الأوان

أمـور لـو تأملهـا لبيـب ... بعـين العقـل حـار لهـا الجنـان

ومـاذا يبتغـي العقـلا وهـا قـد ... رأينـا الخـوف إذ يرجـى الأمـان

أحكم العقـل يـرضى خـرص زرع ... وقـد أودى وطـاح بـه الزمـان

وخارصـها مـن العرفـاء شـيخ ... وفي العرفـاء قـد جـاء البيـان

ومما يجب أن يذكر في سنة ١٣٦٠ وما بعدها كانت المجاعة قـد عَمَّـت تهامـة وما جاورها من الجبال وتفرق مواطنوها في المناطق، طلباً لما يسدّ الرمق ويبقي عـلى الحياة وكان نصيب صنعاء الأوفر أملاً بالإسـعاف مـن الإمـام، ولكنـه لم يـأمر بـما ينقذهم من الموت جوعاً وكانـت حـارات صـنعاء وشـوارعها تـشهد الكثـير مـن الوفيات فرفع الوالد رحمه الله نصيحة للإمام يحيى واقترح أن يأمر الأفران التي تموّن

الجيش «بالكدم العادي» بأن تضاعف إنتاجها من هذه الكدم لتوزّع على الجائعين لسدّ الرمق والإبقاء على الحياة، فجاء جوابه بقلمه على غرة النصيحة يشكو محنة الجفاف الذي سبّب المجاعة ثم قال وأحسنتم بالنصيحة ولكنه «كما تعلمون لا يكفي الخلق إلا الخالق» يقول ذلك وخزائنه مليئة بمئات الملايين من ريالات ماريا تريزا ومدافنه ومخازينه في عموم اليمن مليئة بالحبوب من حاصلات الزكاة ناسياً أو متناسياً قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ .. الخ ﴾ الآية.

وجاء الأخ علي بن يحيى الإرياني رحمه الله فبعث للإمام نصيحته الحائية التي صدّرها بالمدح والإطراء ليخلص إلى النصيحة وفيها يقول:

قف للخليفة موقف النصاح ... لا موقف الشاني له واللاحي
وارفق ولا تشطط لدى تذكيره ... واخفض لسطوته أعزّ جناح
واصدق إذا ما رمت نصح جنابه ... فالبهت في الإسلام غير مباح
الصدق أدنى للسلامة إن ترد ... نصح المليك السيد الجحجاح
واجعل قيامك بالنصيحة خالصاً ... لله تمس مكلّلاً بنجاح[1]

طلب الحرية للمسلمين

قل يا أمير المؤمنين وخير من ... نصر الهدى بأسّنة ورماح
لا تجعل الإصلاح ذنباً لامرئ ... يسعى به في غدوة ورواح
شرّ الملوك مملّك يخشى أذى ... سطواته الساعون بالإصلاح
حاشاك أنك واحد في علمه ... مصغٍ إلى الوعّاظ والنصاح

ماذا يقول المصلحون

مولاي إن المصلحين قضوا بأ ... ن بلادنا في هُوَّة الأتراح
وبأنكم إن تهملوا إصلاحها ... نزل العدوُّ بها بدون كفاح

(١) تعرض بعض كتابنا الموهوبين إلى ذكر هذه القصيدة وأشار، منتقداً، إلى قوله «واخفض لسطوته أعز جناح» ونسي قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام: (وقولا له قولاً ليّناً لعلّه يذكّر أو يخشى).

أيـــردّه جنـــدٌ بخـــستم حقّــه   أم قـــوة الحـــرّاث والفـــلاّح
والكل عزل عـن سـلاح الحـب يـا   بـدر الهـدى والحـبّ خـير سـلاح

الفقر والهجرة إلى الخارج والتلميح إلى السبب

والـشعب يـشكو الفقـر في أبنائـه   والفقـــر أعظـــم صـــارم ذبّـــاح
فـارحم رعيّتـك الـذين تفرّقـوا   مـــن فقـــرهم في أنجـــد وبطـــاح
سـلْ عـنهم «أديـس أبابـا» إنّـما   تـــشكو هنـــاك تـــزاحم الأرواح
مـا هـاجر اليمنـي عـن أوطانـه   طمعـــاً بجمـــع المـــال والأربـــاح
فعليـه قـد مـضت الـسنون وأنـه   في داره في عـــــزة وفـــــلاح
مـــا فـــارق الأوطـــان إلا مـــرغماً   يبكـــي ذويـــه بمـــدمع ســـفّاح
مـــا ذاك إلا نـــاتج عـــن علّـــة   الـصمت فيهـا جـاء كالأيـضاح
لـولا المـلام لكنـت عنهـا مفـصحا   لكـــن صـــمتي جـــاء كالإفـــصاح

العدل أساس الملك والظلم ظلمات

فـإذا أردت دوام ملكـك فاجتهـد   في العـــدل بالـــدانين والنـــزّاح
العـــدل للأوطـــان خـــير وقايـــة   وأجـــلّ عـــدة خـــائف لكفـــاح
والظلم كـالظلمات في الأوطـان يـا   بـــدر الهـــدى والعـــدل كالمـــصباح

البدلات ومخالفتها الشرع الإسلامي

مـولاي والبـدلات في الأعـشار لم   يـك حكمهـا في شرعنـا بمبـاح
لم يوجـب الخـلاّق إلا العـشر مـن   ثمراتنـــا بنـــصيبها الوضـــاح
فاحـذر مـن القـانون فهـو ضـلالة   والـزم شريعـة جـدك الجحجـاح

المعارف وحاجة الشعب إليها

مـــولاي إن الـــشعب مفتقـــرٌ إلى   تنـــويرهِ بمعـــارف الفتّـــاح
وأراه مفتقـــــراً إلى التعلـــــيم للتهـــــذيب للأخـــــلاق والأرواح

الشرع وتلاعب الحكام به

مـولاي والـشرع المطهّـر قـد غـدا — كـرة بكـف اللاعـب الطـماح

أحكامــه لا تــستقر كأنهــا — ريــش تــساقط في مهــبّ ريــاح

ضاعت حقوق المسلمين وأُهملت — إذ أصـبحوا بتخاصـم وتلاحـي

يـا هـل تـرى لخـصامهم مـن غايـة — قـصوى لديـه راحـة المرتـاح

فانـصره يـا بـدر الملـوك بقيـت في — حفـظ الإلــه الواحـد الفتّــاح

وإليكهـا مـن مخلـص لا يبتغـي — مـالاً ولا يهـوى سـوى الإصـلاح

وله من قصيدة طويلة:

مـا أيقـظ العـزم إلا بـارق الأمـل — بالفوز بالنصح للصمـصامة البطـل

قل يا مليك بني الزهراء من فخرت — بـه الأواخـر في الـدنيا عـلى الأول

عليك بالعدل إن العدل أفـضل مـا — يحمي الـبلاد وينجيهـا مـن الفـشل

عليه قامت دعـام الملـك وارتفعـت — وفيه دامت عروش الملـك والـدول

وشاور القـوم عنـد النائبـات ففـي — رأي الجماعـة منجـاة مـن الزلـل

ولا تكــن مــستبدًا في حكومتــه — فالمـستبد سريـع الهلـك والهبـل

وعمّـم النـشر للعرفـان مجتهـدا — فبالمعــارف يعلــو كــل مــستفل

واعمـر بـلادك واعلـم أن ثروتهـا — أمنيّــةٌ بــسوى العمـران لم تنـل

واحفظ لشعبك عهداً مثلما حفظـوا — لــلآل عهـد وداد غـير منفـصل

هم شيّدوا لـك ملكـاً أسسوه عـلى — أشـلاء كـل كمـي مـنهم بطـل

فاجعـل جـزاءهم الحـسنى فـإنهمُ — أبطالك الشوس عند الحادث الجلل

وهي طويلة وله رحمه الله غيرها فلنكتف بما سجلناه.

أما الأخ عقيل، رحمه الله، فإنه على الرغم من عمره القصير فقد رفع للإمام عدة نصائح ومنها النصيحة التي يمكن أن نـصفها بأنهـا نـصيحة سياسـية، وذلـك حينما عقدت المعاهدة بين الإمام يحيى وإيطاليا التي كانت تحتل أريتيريا وشطراً مـن

الصومال. وكانت إحدى الصحف قد نشرت صورة لموسوليني الرئيس الإيطالي وهو واضع إحدى قدميه على الساحل الأريتيري والأخرى على الساحل اليمني، وكان الاستعمار لا يزال في عزّ وسلطان وقد بعث للإمام قصيدة ناقدة وناصحة يقول فيها:

ويلاه قد عمّت الناس الضلالاتُ وزحزحت عنهم تلك الهدايات
وأصبح المسلمون اليوم في وهن وفيهم خفقت للظلم رايات

إلى أن يقول:

قالوا العهاد وما هذا العهاد فها قد مادت الأرض منه والسماوات
كنا نراه محالاً والزمان به يأتي وتظهر للناس المحالات
أيا العدى نرتجي نفعاً لأمتنا لقد ضللنا وأعمتنا الجهالات
ومن يلاعب ثعباناً براحته سرت إليه على الفور المنيات
لئن أتونا بآلات منمّقة فإنها لاغتيال الشعب آلات
فلا وربك ما جاءوا بآلتهم وقصدهم ترتقي فينا الصناعات
لكن لأمرٍ خفيّ سوف تُدركه غداً إذا انقشعت عنك الغشايات

وقد عرّض في هذه القصيدة ببعض حكام الجزيرة العربية الذين يوالون الإنجليز حيث قال:

ولو هدينا بعين العقل كان لنا بغيرنا عبرٌ شتى جليّاتُ
لا بارك الله في ذا العام كم ظهرت فيه أمور وأشياء نكيرات

ولما جاءت إيطاليا بما سمي بالورشة وهي آلات قديمة وقد أخلي لها العرضي الأعلى الذي بناه الأتراك، وبطائرات شراعية قديمة تساقطت بطياريها بعد ذلك وأكثرت صحيفة الإيمان الإشادة بذلك قال هذه المقطوعة الشعرية الساخرة وكأنه يجيب على التساؤل الذي كان مطروحاً:

وقال جهلت ما تبغي النصارى أغشّاً أم تراهم ناصحينا

فقلت فعالهم من غير شك لقد دلّت على ما يقصدونا
حبونا ورشة كبرى وجاءوا بطياراتهم لـ «يطيّرونا»

وجاء من الأسر أيضاً الأخ القاضي حسن بن أحمد الإرياني وكان قد تولّى القضاء في جهران والمحويت وملحان وإب فرفع للإمام قصيدة نصح كان فيها حاداً جداً ولم أعد أذكر منها إلا مطلعها القائل:

كم مليك أعداؤه صحبوه وعن الحق والهدى حجبوه

ومع أن الإمام كان لا يجد مناصاً من التظاهر بقبول النصح مهما آلمه، فقد رأى أن الناصح في هذا البيت قد جعل الإمام محجوباً عن الحق والهدى وهو يرى نفسه هو الحق وهو الهدى، ولذلك أعلن استياءه حينما حرّر على غرة القصيدة بخطّه عبارة (كذّاب دقنك يا فقيه) ومع أن صفة الفقيه هي صفة يعتزّ بها إلا أنها في مصطلح آن الجواب تُعطي عكس مفهومها.

هذه هي البيئة التي نشأنا فيها، وهي كما ترى بيئة متحررة مذهبياً، فقد كانت تنظر إلى الإمام كسلطة زمنية لا كسلطة دينية مقدسة كما هو معتقد من يقولون «ظلمني صلوات الله عليه» «نهب مالي سلام الله عليه». إلى جانب ذلك فقد كان لكتب مجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني أثرها في التحرّر ومناهضة الوضع الذي لا يتفق مع ما تدعو إليه القيم الدينية من العدل وصرف أموال الله في مصارفها. وكان ما يعانيه الشعب من الظلم والإذلال هي الدافع إلى إرادة التغيير أو على الأصح تمني التغيير. وكان ذلك منطلقاً من منطلقات دينية وكانت الحيثيات تدخل تحت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنها بعد أن جاءتنا كتب جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والكواكبي وغيرهم وتسرّبت بعض المجلات التي كان يكتب فيها المسمري والعنسي والحورش كالصداقة وغيرها، وما كان يكتبه أمين سعيد في بعض الفترات، كل هذه المستجدات كان لها أثر كبير في توسيع مداركنا، وبفعلها توسّعت

مطالبنا. فبعد أن كانت سلبية تتمثل بالمطالبة بعدم الظلم المتنوع المناحي، أصبحت إيجابية تتمثل بالمطالبة بالحرية والدستور والشورى وبالمدارس والمستشفيات ومحاربة الفقر والمرض. وقد أشار إلى ذلك الميثاق الوطني المقدس.

ذكريات من أيام النضال قبل الثورة:

لم يخطر على بال أحد من العاملين للقضية الوطنية هذا التغيير في ذلك التاريخ، لأن الواقع العربي والواقع اليمني بصورة خاصة كان يرفض هذا التغيير. وفيما عدا سوريا ولبنان فإن الأقطار العربية كلها كان يحكمها الملوك والاستعمار الذي اعتمد على الملوك أيضاً. ولم تأت ثورة يوليو (تموز) المصرية إلا بعد خمسة أعوام. ومع ذلك فقد أبقت في البداية على الملكية ونصبت الطفل فاروق ملكاً تحت وصاية مجلس الأوصياء كما هو معروف. فمن زعم أنه - في ذلك الوقت - طرح اقتراح تغيير النظام الملكي الإمامي إلى نظام جمهوري فإنما هو مزايد ومدّع لا حجة له. إن التطلع الوطني في ذلك التاريخ لم يتجاوز التوقان إلى إبدال حكم الإمام يحيى المستبدّ غير العادل بحكم شوروي دستوري له حكومته المسئولة ذات الصلاحية وللشعب مجلس شورى يعبر عن رغباته ومصالحه بحيث يمكن أن تتوفر الفرصة للتقدّم والتطور وتحقيق الأمل في أن يحرص الإمام الدستوري الجديد على الالتزام بالميثاق الوطني وبالدستور على النحو السليم، وكان البعض قد اقترح تشكيل مجلس إمامة أو مجلس سيادة، ولكن الاقتراح لم يكتب له النجاح كما سنوضحه لاحقاً.

وقد كان العمل الوطني في البداية مقصوراً على نقد الأوضاع بما عليها من مآخذ وما أكثر في المقايل والاجتماعات، وهو ما كان يسمى في صنعاء (بالوقز). وكانت الاتصالات بمن عندهم شيء من الوعي محدودة وبين عدد لا يتجاوز العقد وفيهم المحلوى والمطاع والسنيدار والعزب وأولاد السياغي والشماحي والخالدي. وكانت صلتي في البداية بالشهيد المطاع الذي كان يحضر درس تفسير الزمخشري

لدن الوالد رحمه الله في جامع الفليحي. ثم جاء دور خروج الوقز من القول إلى العمل بتوزيع المنشورات، الأمر الذي حمل الإمام يحيى على اعتقال المطاع والمحلوى والشماحي والعزب والسنيدار والسياغي ونفي الخالدي إلى وشحه ثم نفي الشهيد الزبيري والخطيب أبو طالب إلى الأهنوم لأنهما كانا يخطبان في المساجد ناصحين وناقدين. وكنت أنا والأخ الأستاذ أحمد المعلمي، نحرّر المنشورات نظماً ونثراً ونوزّعها في المساجد وفي أبواب المسئولين، وكنا نحررّها بخط محرف. ولما جُلد الخالدي ونفي إلى وشحه بحجة أن حرف الواو في المنشور أشبه خطّه، أحجمنا عن تحرير المنشورات بالخطّ وكنا نعمد إلى أعداد من صحيفة الإيمان ونلتقط منها كلمات المنشور ثم نلصقها ببعضها في ورقة ونكتب عليها فتبدو كما لو كانت قد طبعت بآلة كاتبة. وأذكر أن الشهيد المطاع عرض علي نسخة من أحد المنشورات وقال: «جلدوا الخالدي لأنهم شبّهوا الواو بخطّه فجاءت لهم واوات من عدن»... وكان يعتقد أن المنشور قد طبع في عدن. ولكنه جاءنا في يوم من الأيام يقول رجاءً أوقفوا المنشورات لئلا تتسبّب لإعادتنا إلى السجن. ولعل السيد محمد بن محمد زبارة رحمه الله، وهو الشخص الوحيد الذي كان على اطلاع بما نصدره من المنشورات، هو الذي أخبره لما بينهما من الثقة المتبادلة. وكان العلامة زبارة يمثّل المعارضة المواجهة والجهرية، وأذكر أني في أحدى المرات نظمت قصيدة ناقدة ووزّعتها بالاشتراك مع الأخ أحمد المعلمي جاء فيها:

سـاد الفـسـاد فلـن تـرى ... غـيـر الخليـع مـوقّرا
في دولـة أوهـى الزمـا ... ن مليكهـا المتكـبّرا
وبنـوه كـلٌّ مـنهمُ ... ثـوب الـشقاء تـأزّرا

وجاء فيها بعد تعداد مظالم العمال والحكام والخراصين وكتاب المقام وجنود الإمام ما يلي:

هُبّـوا بنـي الـيمن الـسعيد ... فـأنتم أسـدُ الـشرى

واســــتيقظوا مــــن نــــومكم ... فــــإلى متــــى هــــذا الكــــرى

هبّــــوا لمــــن أمــــسى يــــسو ... ســــكمُوا العــــذابَ الأكــــبرا

وغــــداً يــــراكم يــــا بنــــي ... وطنــــي بعــــين الأزْدِرا

حتــــى كــــأنكم العبيــــد وإن والــــده اشــــترى

فــــرّوا بــــدينكمُ إذا ... خفــــتم إلى أم القــــرى

فهنــــاك ســــوف تــــرون أن الــــدين بــــات مــــوقّرا

هــــذي نــــصيحة مــــشفق ... بكــــمُ حــــداه مــــا جــــرى

ولقــــد رأيــــت بقــــاءكم ... في الهــــون أمــــراً أخطــــرا

إن دام فينــــا مــــا رأيــــت ... وظــــل فينــــا مــــا أرى

فنــــصيحكم يخــــشى عــــلى الإ ... ســــلام أن يتنــــصَّرا

ولما وصل هذا المنشور إلى الإمام يحيى أقامه وأقعده، وقد أثاره ما جاء فيه من ذكر «أم القرى» الذي يعطي المقارنة بين حكمه وحكم الملك عبد العزيز آل سعود، وقد اتهم في ذلك السيد المؤرخ محمد بن محمد زبارة رحمه الله، لأنه كما أسلفت كان يصرح في نقده للإمام وحكمه، ولذلك فقد بعث الإمام ابنه الحسين الذي كان على علاقة حسنة مع السيد زبارة ليستخلص ما عنده، وقد بعث معه بالبيتين التاليين:

إن لم تكونــــوا مــــن بــــرى ... ذاك النظــــام وحــــبّرا

فلعلكــــم لا تجهلــــون ... الأمــــر في «أم القــــرى»

وقد أقسم العلامة زبارة رحمه الله للحسين أنه لم يقل كلمة واحدة ولا كتب حرفاً واحداً من المنشور وما علمه بناظم المنشور وموزعيه، فقد تخلّص دون أن يسمي أحداً. وقد أكبرنا فيه الوفاء في حمل الأمانة. وبعد حبس من حبس أوقفنا المنشورات فترة، ثم بدا لنا أن نستأنف العمل حتى لا يؤكد انقطاعها أن مصدرها هم الذين في المعتقل، فأصدرنا المنشور التالي وبالطريقة نفسها:

هــــذا العــــدوّ غــــدا عــــلى الأبــــواب ... يرنــــو بعــــين الفــــاتح الغــــلاّب

والمستبدّ له إلى أموالكم	توقان مهجور إلى الأحباب
قد صار في دور الذهول وشعبنا	أضحى يقاسي منه دور عذاب
وبنوه فيكم كلّهم قد مثّلوا	رمز الفساد وخيبة الأحساب
قد أنفقوا أموالكم فيما اشتهوا	من وصل غانية وحسو شراب
وأولئك الكتّاب والوزرا غداً	في مالكم لهُم صيال ذئاب
وأراكمو في نومة لا تنتهي	أبداً بغير تصادُم وخراب
فالقوا إلى الشعب المعذب نظرة	فلعلّها تهديكمو لصواب
والقوا زمام الشعب في كفّ الذي	سيقيه شرّ عدوه الوثّاب

ولما بدا الكلام يدور حول ضرورة الاستعانة بالسيد عبدالله بن أحمد الوزير واستبدال الإمام يحيى به، وكان متردداً، استطاع السيد الشهيد حسين بن محمد الكبسي رحمه الله إقناعه بدغدغة طموحاته بالتلويح بنصبه إماماً خلفاً للإمام يحيى نظراً لعدم صلاحية ولي العهد للخلافة لعدم استكماله لشروطها المعتبرة في المذهب الزيدي، أصدرنا المنشور التالي تحت رقم (١٣):

أرقت وما شوقاً لسلمى وزينب	سهادي ولا دعوى الغرام تليق بي
ولا أنا ممن يعشق الغيد قلبه	فلا الهجر يضنيني ولا الوصل مطلبي
ولكنني ألقيت في الشعب نظرة	وفكّرت والتفكير شأن المهذَّب
رأيت المليك المستبدّ وقد دنت	إليه المنايا بالحسام المشطِّب
وفي الشعب من أبنائه كلُّ أرعنٍ	قليل اطلاع العلم غير مهذّب
فمن ذا الذي يرضى به الشعب منهم	ليحكمه والكلُّ غير مدرّب
أذاك وليّ العهد وهو الفتى الذي	عرفتم له رأي سريع التقلُّب
أم الحسن الموصوف بالزهد وهو مَنْ	غدا رأيه بالظلم أفضل مكسب
أم السيف عبدالله وهو الذي غدت	تجارته فيكم بشرق ومغرب
وإخوته الباقون غير الحسين لم	نجد فيهم كفواً لأحقر مَنْصب
ولست بمُبْد للذي تعلمونه	حياء وذاكم شيمة المتأدب

فإن كان هذا البيت أضحى لديكم ... وكل بنيه صار غير محبّب
فقوموا إلى من زاده الله بسطة ... بعلم وجسم ذي الكمال المجرب
وذالكم رأي النصيح فإن يكن ... صواباً وإلا جئتموني بأصوب

وفي سنة ١٣٥٩ أصدر الإمام أمراً بأن تكون الزكاة (صبرة) أي أن يؤخذ من بدلات السنوات الماضية أوفرها وتجعل أصلاً لواجبات السنوات المقبلة، ويجبر المواطنون على دفعها سواءً غلت أرضهم أم لم تغل. وقد عانى الفلاحون من ذلك الأمرّين بمظالم لا طاقة لهم بها، وقد جهد الناس في المراجعة بدون جدوى فعظمت المصيبة عليهم. وكان أحدهم يزكي قمحاً على أرض أغلّت شعيراً. وقد دفعني ذلك إلى نظم القصيدة التالية وقد بعثتها إلى كثير من العلماء ولم يجب أحد منهم عليها بل بعث أحدهم ينصحني بأن لا أتدخّل فيما لا يعنيني وهذه هي القصيدة:

سؤال إلى يم الهدى ثاقب النظرة ... وشمس علوم المصطفى صفوة العتره
ومن أثمر الفتوى الصحيحة علمه ... فأصبح في أفق الهدى بيننا بدره
إلى من يقول الحق للحق معلنا ... له فهو لا يهتاب من ظالم نكره
له قلم من ذي الجلال مداده ... يؤيده الروح الأمين لذي السطره
فيكتب لا يخشى ملامة لائم ... إذا كان في ذات الإله يرى زبره

ومنها:

أمولاي أني قد بليت بمعضل ... بهيم وقد أجهدت في حله الفكره
ولست بملقيه على غير عالم ... قدير على التخبير ذي فكرة حره

وجه الأشكال:

أقول وفي قلبي ندوب وتنوّعت ... وقد صعدت من فرط ما نابني زفره
ألم يك مولانا الحكيم بشرعه ... قضى وهو فيما قد قضى مالك أمره
على كل ذي مال بخمسة أوسق ... فما فوقها في الكم من ماله عشره
وليس على المعدوم منه بموجب ... زكاة وما حظ العديم سوى الحسره

ولا مبـدل عـشر الـشعير بـ ـحـة　　　ولا آخذ عـن عـشر حنطتـه دجـره

الاحتجاج:

فــما بالنــا عنــه جنحنــا تعمــداً　　　وملنا إلى تقديرها مـنهج «الـصبره»

وقلنا هي المعيار في كـشف واجـب　　　علينــا جهلنــا في دوائرنــا قــدره

سواء أعنّـت أرضـنا منـه فاسـتوى　　　عـلى سـوقه أم لم تكـن قبلـه مـصره

وفي هذه الفترة اشتركت في مجلة «الفتح» التي تصدر في القاهرة، وقد تـأثرت كثيراً بما كانت تُسطره من مقالات تحريرية تهاجم الفرديـة وتـدعو إلى الديمقراطيـة التي كنا بعيدين عنها بعد السماء عن الأرض، كـما كنـت أنـشر بأسـماء مـستعارة في صحيفة «فتاة الجزيرة» التي كان يصدرها في عدن محمد علي لقمان انتقد فيها الوضـع بصورة إجمالية تارة وبالنص على حوادث معينة تارة أخرى.

وفي سنة ١٣٦٢ عاد أولاد الإمام الحسن والحسين وعلي وإبراهيم وإسـماعيل ويحيى والقاسم من الحج، وبعد وصولهم صنعاء بأسبوع واحد وُجـد أحـد الـشبان المراهقين مقتولاً خلف مسجد البكيرية وقد شُوِّه وجهه بالأسـيد حتـى لا يعـرف، ولكنه تم التعرف عليه كأحد اللصيقين بأولاد الإمام الشبان فنشرت والأخ المعلمي منشوراً نثرياً جاء فيه:

«إنهم قتلوه في مجلس شراب وقدموه كقربان لحجهم (المبرور).

وقد كان للمنشور أثره في النفوس لما للجريمة من بشاعة.

وقبله كنت أنشأت قصيدة سينية تفوق على خمـسين بيتـاً عـددت فيهـا مظـالم الحكم الإمامي وما يجري من العمال والحكام وجنود الإمـام وكتّـاب المقـام، وكـان هؤلاء محلّ نقمة شعبية كبيرة بل كان كثيرون من السذّج ينسبون إليهم جميـع مظـالم العهد الإمامي، ويسمونهم «المحوشين». ويقول مطلع هذه القصيدة:

ســاد في ذا الزمــان كــل خـسيس　　　فاســد واســتكان كــل رئـيس

وغدت زمرة الضلال بعزّ وأولو الحق في شقاء وبوس

وجاء بعدها القصيدة الميمية التي نافت على مئة بيت تحت عنوان «صرخة لواء إب» وهي التي عثر عليها بين أوراق جمعية الإصلاح وقد ساقتني في ما بعد إلى سجن حجة للمرة الأولى في عام ١٣٦٣ ومطلعها كما يلي:

إنما الظلم في المعاد ظلام وهو للملك معول هدّام
كم عروش قد قوّض الظلم والعسف وكم دمرت به الأيام
آه مالي أرى الرعية قد أضحت بهذا اللواء خسفاً تُسام
قد تولّى شؤونها الحاكم المطلق فهو الأمير وهو الإمام
فأتاها «بصبرة» يقشعر العدل منها ويصرخ الإسلام
ثم يأتي منهم لتحصيلها قو م لهم في عروضنا أحكام
إذ أتى من جنودهم كل فظّ لم تَزِنْهُ مروءة واحتشام
والعصيات مالنا من أذاهم قط في هذه البلاد اعتصام
قد غدا من بيوتنا لهم المأ وى ومن أهلنا لهم خدّام
والإمام الإمام قد صمّ أذنيه وأعمى عينيه عنّا الحسام
فاصدقوه بالنصح منكم وقولوا قم تفقَّدْ ما يشتكيه الأيام
أنصف الناسَ من بنيك وإلاّ أنصفتهم من بعدك الأيّام

وقد سار هذا البيت مسير المثل.

ومنها:

هذه صرخة أتت من لوا إب إليكم وكلها آلام
أمّلت نصركم وأنكم لا يعتريكم عن نصرها إحجام
فإذا لم تجد من العدل ما تبغي وأضحى لما تعاني دوام
فعلى الدين والشريعة والعد ل وهذا اللواء منا السلام

تأسيس جمعية الإصلاح:

وفي أوائل عام ١٣٦٣ ومن وحي المآسي التي كنا نراها كل يوم أمام أعيننا، وبباعث الرغبة في التغيير إلى الأفضل والنزوع إلى تحقيق العدل وإلى التطور، والذي كنا نسمع به ولا نراه أنشأنا في إب أول جمعية سياسية أسميناها (جمعية الإصلاح) واعتبرناها رافداً من روافد الحركة الوطنية في عدن بقيادة الشهيد الزبيري والزعيم نعمان. وكان رأينا أن العمل من الداخل أجدى وأنفع مهما كان محفوفاً بالمخاطر، وقد اطلع السيد الشهيد يحيى بن أحمد السياغي والسيد محمد أحمد المطاع على برنامج جمعيتنا وحضر البعض جلساتها ووافقا على البرنامج وشجّعا على المضيّ الحذر في العمل. كما أن الجمعية اتصلت بمن في عدن وبعثوا لها ببطاقات عضوية وسندات مطبوعة للتبرُّعات.

وبرغم أن هذه الجمعية لم تعمر إلا أشهراً معدودة، فإنها في حدود معلوماتي أول منظمة من الداخل تتخذ شكلاً تنظيمياً ويكون لها منهج للعمل ونظام داخلي واشتراك شهري. وقد أشار الأخ القاضي عبدالله الشماحي في كتابه (الإنسان والحضارة) إلى منظمة شكلها الشهيد المطاع وسماها (هيئة النضال) ولم يكن بين جمعيتنا وهذه المنظمة ارتباط، عدا ما كان من ارتباط شخصي بالشهيد المطاع. اخترنا الأخ المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع رئيساً للجمعية لأنه كان أكثر حماساً واستعداداً لتحمّل تبعات ذلك، وبعد وضع نظام الجمعية وبرنامج علمها التزم كل عضو بها وكل إليه، ومن ذلك محاولة ضم أعضاء إلى الجمعية ممن يثق بوطنيتهم ويتأكد من صلابتهم. وقد تفرق الجميع وذهب كل واحد إلى عمله. ولم تمض أشهر حتى أقدم بعض الأعضاء بدافع الطيبة ونقص التجربة على ضمّ شخصين، وهما مما لا يمكن الاطمئنان إليهم لمحدودية أفكارهم ولولائهم المتزمِّت العقائدي للإمام، فكانا جاسوسين على الجمعية للأمير الحسن فأبلغاه كل التحركات والخطط وحتى مخابئ أوراق الجمعية وأسماء أعضائها. وعلى ضوء ما حصل من المعلومات أمر

الأمير الحسن بالقبض على من كان موجوداً من الأعضاء في إب، فاعتقلوا رئيس الجمعية، والأخ الشاعر محمد أحمد صبرة والأخ عبد الكريم العنسي والأخ محمد منصور الصنعاني والأخ عبده محمد باسلامة.

وكنت أنا في إريان، ولما بلغنا اعتقال من اعتقل وأن جميع أوراق الجمعية قد وقعت في يد الأمير الحسن وأسماؤنا فيها، وفيها أيضاً قصيدتي الميمية السالفة الذكر، وهي بخطي الذي لا ينكر، توقّعنا أن نلقى نفس المصير وأن نساق إلى السجن فتحوّلنا من إريان إلى منطقة حوار التي يوجد فيها حمّام طبيعي بعذر الاستحمام. وإلينا جاء الأخ المعلمي الذي كان يعمل في محكمة المخادر. وما مرّ يومان حتى جاءنا إشعار من الإخوان بأن النقيب علي الفقيه الأعور قد وصل إريان ومعه ثلاثون جندياً للقبض علينا وإيصالنا إلى إب، فعاد الأخ المعلمي إلى المخادر لينتظر المصير، وفكرت أنا في الفرار إلى عدن، ولكني تذكرت ما ستتعرض له الأسرة الكبيرة من متاعب ففضلت التضحية إيثاراً لسلامتهم، ورجحت الفرار إلى الإمام كوسيلة من وسائل محاولة النجاة أو تخفيف العقوبة على الأقل. وتحركت مع أحد الذين كانوا معنا من الجنود مشياً على الأقدام، بينما بعثنا جندياً آخر لإيصال البغلة واللحاق بنا عن طريق وادي الحار، وهي غير الطريق المسلوكة عادة. وفي إحدى قرى وادي الحار بتنا وقد أكرمنا أهلوها غاية الإكرام. وفي الصباح الباكر، وكان قد لحق بنا الرفيق من البغلة، أردنا التحرّك صوب ذمار، ولكن ربة البيت أبت علينا السفر قبل أن نتناول طعام (الصبوح)، وبعد دقائق جاءت ووجهت إلي الخطاب قائلة: «إني أعرف أنك القاضي عبد الرحمن الإرياني ولكن لا تخف والله لأغمض عليك في عيني» وكانوا فيما يبدو قد بلغهم وصول الجنود إلى إريان للقبض عليّ، أردت بذكر هذه السيدة الكريمة للتنويه بجميلها «وأن المعارف في أهل النهى ذمم». سافرنا إلى ذمار وبتنا فيها متخفين. وفي اليوم التالي غادرناها إلى معبر وهناك بتنا، وفي أثناء الليل أحسسنا بجلبة حول البيت الذي نزلنا فيه وفتح أحد الرفاق النافذة ليرى جنوداً كثيرين

يحيطون بالبيت. وبعد هنيهة دخل خمسة منهم واستفتحوا غرفة النوم التي ننام فيها، ففتحنا ودخلوا وجلسوا دون أن يقوموا بمهمتهم، بل أخذ ثلاثة منهم يتهيّأون للنوم، ولما حاولت الخروج إلى المسجد لصلاة الفجر قال أحدهم ممنوع الخروج فقلت له ممنوع الصلاة فقال لا وفي إمكانك أن تصلي هنا. نحن مأمورون فلا تؤاخذونا، فقلت مأمورون بماذا؟ قال في المحافظة عليك حتى تأتي الأوامر بشأنك من صنعاء، فقلت لهم: ولماذا لم تعلنوا ذلك عند دخولكم فقال: استحينا أن نواجهك بذلك سامحنا، الله يخارجك.

وقبل الشروق جاءنا العامل في جهران محمد أحمد الوزير رحمه الله، وكان معنا كريماً فأخذنا إلى بيته وأطلعني على البرقيات التي جاءته بشأني من ولي العهد ومن الأمير الحسن، وكانت برقية ولي العهد تقول: ابحثوا عن الإرياني وأوقفوه لديكم حتى يأتيكم من صنعاء بشأنه ما يلزم، أما برقية الحسن فقد كانت محل استغراب العامل وسخريتي، فقد قال فيها: عليكم أن تفاجئوه بعد أن يحيط الجنود بالبيت من الخارج ودخول البعض للبقاء في غرفته ونفّذوا ذلك بدون تردد، فإنه لا يخلو أن يكون له جواسيس وعيون ورقباء فحاذروا فراره. واستأذنت من العامل أن أرفع للإمام يحيى برقية بمحاولة ابنه استعادتي وأنا أقصد مقامه، وأن عملهما هذا قد أذكرنا موقفاً للمتوكل أحمد من والده المنصور علي، وكان هذا قد عقّ والده وتجاوز الصلاحيات التي أعطاها له. وذهبت مع العامل رحمه الله إلى دائرة «السلك» وقد أخبر العامل مأمور السلك أن الإمام يحيى أبرق لولي عهده برقية يقول فيها الإرياني قد عرف الطريق وسنجري ما يلزم عند وصوله، وأن ولي العهد أجاب يرجو السماح لهم بإعادتي إلى تعز ليعرف المعتقلون هناك أنه لا تمايز ولا مهاودة مع أي متهم. وكانوا قد اعتقلوا هناك آل نعمان وعباس بن أحمد الباشا وابن أخيه أحمد بن محمد باشا ابن عامل تعز وآل الجنيد والمجاهد وبعض المشايخ، فوافق الإمام على إعادتي. ومن أجل ذلك أرسلوا من صنعاء إلى تعز الإخوة عبد السلام صبره وإسماعيل الأكوع ومحمد ويحيى وحمود أبناء السياغي وجازم الحروي.

وأبرق ولي العهد إلى أمير الجيش بصنعاء يأمره بإرسال خمسة من الجنود «حمران العيون» على سيارة القاضي حسين الحلالي إلى معبر لإيصال الإرياني إلينا. وجاء «حمران العيون» يرأسهم باتشاويش، وغادرنا معبر إلى يريم، وهناك كان مبيتنا لدى العامل الأخ علي أبو طالب رحمه الله، وقد كان كريماً معنا. وفي الصباح غادرنا يريم على حمار لأن السيارة قد انتهت مهمتها لعدم وجود طريق وما تجاوزنا «المريمة» حتى أطل علينا النقيب الأعور والثلاثون جندياً المرسلون من الحسن إلى إريان وقد أراد استلامنا من الجنود الخمسة، ولكن هؤلاء رفضوا بحجة أنهم مأمورون من ولي العهد بإيصالي إليه وأن عامل جهران أخذ منهم التزاماً بذلك. وقد كادت الفتنة أن تنشب بينهم فتدخلت لحل المشكلة واقترحت العودة إلى يريم والإبراق لولي العهد واعتماداً ما يأمر به. وعدنا إلى يريم وبقينا يوماً آخر انتظاراً لجواب ولي العهد الذي أمر بأن يستلمنا النقيب الأعور وإخلاء ذمة «حمران العيون». وكان الأعور قد رفض اقتراح العامل بنزولنا في الحكومة وأنزلنا في بيت «مقوت» الذي يحترف بيع القات اسمه إسماعيل الخولاني. وقد كان هذا الرجل في غاية الكرم معنا، فقد جاء إلينا في المساء يحمل حوالي خمسمائة ريال في «مسب» ووضعه يديّ وقال لي خذ حاجتك أو خذها كلها، فشكرته وقلت له لست في حاجة إلى شيء وقد أخذت حاجتي من الحاج حسن الزبيري أحد التجار الذين نتعامل معهم، فأصر الرجل على أن آخذ ولو قرضاً لا يقضى، فقال له النقيب الأعور: ارفع فلوسك حتى لا ينتهبه الجنود، فرفعها وهو يرى أنا كسرنا خاطره. وقد ذكرت هذه القصة لأثبت أن في الزوايا خبايا وأن بين صفوف أبناء الشعب العاديين من عنده المروءة ما ليس عند علية القوم.

اعتقالي ورفاقي وما جرى خلال الاعتقال والسجن من الأحداث

غادرنا يريم وبتنا في المخادر، حيث ضمّوا إلينا الأخ المعلمي الذي كان يعمل في محكمتها، وواصلنا السفر إلى إب حيث وضعنا في سجن خاص على باب المدينة

يسمى «الزلومة» وأوكلت حراستنا إلى العصيمات كنوع من النكاية بنا لينالنا أذاهم الذي أشرت إليه في القصيدة بقولي:

والعصيمات ما لنا من أذاهم قطّ في هذه البلاد اعتصام

وقد كانوا ينوّعون أذانا فعلاً ويختلقون الأكاذيب والأراجيف ويشنّون علينا الحرب النفسية التي تمارسها المخابرات المتمرسة، وكانوا يهدّدوننا بالتشميس مما ترك في نفوسنا أثراً سيئاً فافتدينا ذلك منهم بمبلغ من المال، وقد أذكرنا ذلك قول الشهيد الزبيري رحمه الله:

والعسكري بليد بالأذى فطن كأنّ إبليس للطغيان ربّاه

وهو رحمه الله لم يقصد إلا مثل هؤلاء الجنود. وفي أوائل ذي الحجة ١٣٦٣/ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ وصلت مجموعة ممن اعتقلوا في صنعاء مشياً على الأقدام وعلى أعتاقهم السرات ـ الأغلال ـ وهم الإخوان عبد السلام صبره ومحمد السياغي وأخواه يحيى وحمود وإسماعيل بن علي الأكوع والشيخ جازم الحروي. وقد أمر الحسن بتشميسهم في باب السجن بالأغلال ليراهم المواطنون كنوع من الردع وإظهار الهيبة. وقبل عيد الأضحى كان سفرنا إلى تعز مع كل من سميناهم وبإضافة الشيخ حسن الدعيس والشيخ حسن البعداني والشيخ محمد حزام خالد والشهيد النقيب عبد اللطيف بن قائد بن راجح وآخرين من المجموعة الواصلة من صنعاء.

وبعد وصولنا تعز جاءوا بالأخ الشيخ صالح بن مرشد المقالح من قعطبة، وكان قد تمكّن من التخلّص من سجن القلعة بصنعاء حيث سُجن بعد عمله مع الشريف الدباغ أحد أشراف الحجاز الذي كان يريد إنشاء دولة في الجنوب اليمني، واتخذ من يافع مقراً له، وقد حورب من قبل الإنجليز ومن قبل الإمام يحيى وقد قبض على الشيخ صالح المقالح رحمه الله في البيضاء وسيق إلى سجن القلعة وعمل بعد ذلك على إثارة طموحات الأمير إسماعيل بن الإمام وإغرائه

بالفرار إلى عدن للانضمام إلى أخيه سيف الحق إبراهيم الذي كان قد سبقه إلى هناك والعمل _ الجمعية اليمنية، وقد قبض عليهما ومعهما الأستاذ محمد البريمي في قعطبة، وسيق الأمير الحميدي ومعه الأستاذ البريمي إلى سجن القلعة وسيق الشيخ صالح إلى تعز ثم إلى سجن نافع في حجة. وقد بقي فيه إلى ما بعد ثورة ٤٨ بسنين. وفي من جاء من إب السيد محسن باعلوي وكان ممن اعتقل في إب وسيق إلى تعز فحجه الشيخ منصور البعداني ومن آل دماج قاسم بن عبدالله دماج وقائد بن عبدالله دماج وناجي بن علي دماج وعبدالله بن يحيى الدميني وعبدالله بن حسن خرصان.

وكان اعتقالهم بسبب فرار الأخ النقيب مطيع بن عبدالله دماج رحمه الله إلى عدن ونشاطه المعارض ونشره مقالات ضد الوضع الإمامي في صحيفة «فتاة الجزيرة». وقد جهد ولي العهد أحمد بمحاولة استعادته فلم ينجح فاعتقل مَنْ ذكرنا من أسرته للضغط عليه.

وصلنا تعز فأمر ولي العهد بتوزيعنا، فأنزلني والأخ المعلمي والشيخ الدعيس أحد الأماكن الملحقة بمقام العرضي مع بعض المعتقلين من تعز، وفيهم الشيخ أحمد عبد الرقيب حسان وعبد الرحمن المجاهد وعباس بن أحمد باشا وعبد الوهاب بن محمد الجنيد ومحمد بن علي المطاع الشاعر، وأنزل الإخوة الباقين في حبس الشبكة. وفي يوم وصولنا استدعيت والأخ المعلمي والشيخ حسن الدعيس إلى ولي العهد وعرض علي بعض ما ضبط من أوراق الجمعية وسألني من هو (اليحصبي) وهو اسمي الحركي. وكنا قد وضعنا أسماء لجميع الأعضاء كالأزدي، والكندي، ووو. وقد نقيت علمي وأنكرت صلتي بالجمعية وادّعيت أن خلافي مع سيف الإسلام الحسن هو الذي جعله يزجّ بي في المسئولية عن الجمعية. ومن حسن الحظ أنه لم يرسل لأخيه القصيدة التي حُرّرت بخطي مما سيجعل من الصعب إنكارها. وقد فهمت أن الحسن لا يريد إطلاع أخيه على ما فيها من الحقائق ضده. أما الشيخ

حسن الدعيس رحمه الله، وهو الفيلسوف الحاذق، فقد كان جوابه غير موفق، فقد قال مخاطباً ولي العهد: إن الحادثة صغيرة جداً ولكنكم أخذتم المكبر على أعينكم فرأيتموها كبيرة جداً. أما بالنسبة إلينا فإنهم قالوا ولا الضالّين فقلنا آمين، ففهم ولي العهد من الجواب الاعتراف لأن التأمين على الحدث إقرار له.

وبعد عيد الأضحى والانتهاء من الاحتفالات بعرس الأمير البدر نجل ولي العهد فوجئنا بسيارات الشحن تقف أمام مقام العرضي وجاء من يبلغنا بأن علينا أن نعدّ أنفسنا للسفر إلى حجة المعتقل الذي مات فيه أكثر من (٧٠٠) من الزرانيق الذين ساقهم ولي العهد إلى سجن نافع بعد استيلائه على المنطقة واحتلال بيت الفقيه بعد حرب دامت أكثر من سنة كان قائدها ولي العهد. وجاء الصباح فحشرنا في السيارات مزدحمين بحيث لم يستطع أحد القعود طوال تلك الرحلة الطويلة الشاقة وقد تركنا تعز في ٢٣ ذي الحجة عام ١٣٦٣/ ١٩٤٤م ووصلنا حيس في اليوم التالي، لأن الطريق كانت وعرة جداً، وقد بتنا في حيس لنحظى بضيافة كريمة من حاكمها الأستاذ عبدالله العزب أحد رواد الإصلاح رحمه الله، وغادرنا حيس إلى زبيد، وقد أراد النقيب الأعور أن ينزلنا في الحكومة ليكون جنودها المسئولين عن الحراسة، ولكن عامل زبيد عبدالله بن حسين الديلمي رحمه الله رفض ذلك واختلف مع الأعور فقال له هؤلاء هم زعماء اليمن فقال الأعور: (لو هم زعماء إنهم في بيوتهم) وواصل بنا السير إلى بيت الفقيه، وهناك كان عاملها أبو طالب كريماً، وحفلت الرحلة بالمتاعب والآلام، ولا سيما والسفر كان في سيارة مكشوفة ونحن معرّضون لجحيم شمس تهامة الحارّة فواجهنا في ذلك مشقة ما بعدها مشقة، ووصلنا حجة، وهناك فرّقونا، فكنت أنا والإخوة المعلمي والبعداني الذي توفي في سجن حجة والدعيس وعبد الرحمن الحداد وعبد الرحمن المجاهد وعبد الوهاب الجنيد والشيخ محمد حسان المتصوف الذي تجاوز عمره الثمانين والذي لم يكن له أي اتصال بالعمل الوطني وإنما نقم عليه ولي العهد بسبب شعبيته في المنطقة كشيخ صوفي وقد توفي رحمه الله في سجن حجة، وأنزلوا معنا أيضاً من آل نعمان الشيخ

محمد رحمه الله والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي محمد وابنه عبد الرقيب والشيخ أمين نعمان، وكان معهم أيضاً عباس بن أحمد باشا ومحمد بن علي المطاع، وأنزلوا الآخرين وهم الأكثر في سجن نافع.

وبرغم تشديد الحراسة في سجون حجة إلا أنه لم يمض علينا أكثر من شهرين حتى تلقيّنا الصحف والرسائل من عدن من الأخوين نعمان والزبيري، وكانت الصحف تتحدّث عن القضية وعن سجننا ونفينا إلى حجة وعن فرار الشهيد الموشكي وأحمد الشامي إلى عدن والتحاقهما بمن فيها من الأحرار، وعن تشكيل الجمعية والتنديد بالأوضاع. وقد رفعت هذه الأنباء معنوية من انخفضت معنوياتهم من المعتقلين، وإذا سأل سائل عن الوسيلة التي تمكّنا بها من الحصول على هذه الصحف فالجواب هو بالتأثير على بعض الحرس «والقرش بعد الله خير الأعوان».

إطلاق سراحي:

كان عددٌ من أولادنا يدرسون في صنعاء وقد واصلوا مراجعة الإمام يحيى وتذكيره بأني كنت قد لجأت إليه وقصدت مقامه، ولا شك أنه قد كان لذلك أثره. فقد وصلت برقية من الأمام إلى نائب حجة يأمره بإطلاق سراحي وإرسالي إلى صنعاء، وذلك في سلخ ربيع الأول عام ١٣٦٤ الموافق ١٢/ ٣/ ١٩٤٥م أي بعد خمسة أشهر وأيام من اعتقالي، ولكن النائب رغم أنه كان كريماً معي جداً لم ينفذ الأمر إلا بعد أن استأذن من ولي العهد وأخذ موافقته.

وتحضرني هنا واقعة تعطي نموذجاً للعلاقات التي كانت سائدة بين الإمام وولي عهده، إذ أن الأخير أمر بأن تُجهّز لي بغلة إلى عمران أي دون أن تصل إلى صنعاء، ولما سألت عن السبب قيل إن ولي العهد لا يسمح بدخول شيء مما في حوزته في حجة إلى صنعاء، لأن الإمام يستولي عليه. وقصة أخرى تعطي نفس النموذج: فقد دخل أولادنا إلى الإمام يحملون مئة ريال وطلبوا تحويلها لي إلى نائب حجة، وقد سُرّ الإمام بذلك وأمر بتحرير برقية التحويل ووقّع عليها وكتب بقلمه

بأعلى البرقية ما يلي: (تسحب مجاناً) وقال للأولاد قد أمرنا بسحب البرقية مجاناً فهذا أول ما يصلنا من واجبات حجة (فلا يزيدوا عليكم في بيت السلك) أي لا يأخذوا منكم أجرة سحب البرقية.

مقابلة الإمام:

وفي اليوم الذي وصلت فيه صنعاء (٤ ربيع الثاني) ذهبت لمقابلة الإمام غير متفائل بمقابلة سريعة، ولكني فوجئت «بالريمي» الآذن المعني بالتبليغ بكل من يصل - يأخذ بيدي ويوصلني إلى باب الغرفة التي يجلس فيها الإمام والكتاب ويدخل للاستئذان ثم يعود ليقول لي «تفضل» وقد استقبلني الإمام استقبالاً حسناً وقال لي: «من أين»؟ فقلت من حجة فقال قد هي حجة!! فقلت وزيارة وكلتاهما كفيلتان بتكفير الذنوب الموهومة، فضحك وتطرّق إلى الحديث عن الجامعة العربية والضغوط التي يتعرض لها للانضمام إليها. ومع أنا كنّا نأمل الكثير بانضمام اليمن إلى الجامعة وأقلّه فتح كوّة لتسرّب النور إلى الظلام الذي تعيشه اليمن وقال إن فكرة الجامعة إنجليزية وأن الإنجليز هم الذين أوحوا إلى النحاس باشا بالدعوة إليها لخدمة مصالحهم، وتناول بعض زعماء الدول العربية المتعاونين مع الاستعمار وقد لزمت الصمت، وأذكر أيضاً أنه أخبرني بوفاة صديقي علي بن يحيى الذاري ووالده رحمهما الله فرثيتهما بقصيدة تعرّضت فيها لشرح سوء حال المسلمين العرب وتسلّط الاستعمار على بلادهم وتحوّل زعمائهم إلى عملاء للاستعمار ينفذّون سياستهم ويسيرون طبق توجيهاتهم وأشرت إلى الجامعة العربية فقلت مخاطباً الفقيدين:

وغادرتما هذي الحياة لتبلغا ... مقاماً جوار الله في الخلد عاليا

فإن نلتما فيه جوار محمد ... وأنزلتما مستودعاً منه دانيا

فقوما على أعتابه وأخبراه عن ... زمان غدا للمسلمين مناويا

زمان رماهم بالخطوب ولم يزل ... يفوّق أحداثاً تصيب المراميا

وأمته أضحوا لأعداء دينهم ... على الرغم أذناباً وصاروا أياديا

وقولا له قم تنظر الأرض شعلة ... تلظى بأحداث وترمي دواهيا

وتنظر بلاد المسلمين وقد غدت بأيدي العدا قد أملأوها مخازيا
وتنظر بني الإسلام كيف تفرقوا شعوباً وصاروا في الصراط مناحيا
فلا الدين بالدين الذي قد عهدته ولا الشرعة السمحاء فيهم كما هيا
هم نفّذوا للكافرين إرادة وهم بلّغوهم في الشعوب الأمانيا
لئن صبغوها صبغة عربية فهيهات أن يخفوا علينا المغازيا

ولم يرق للإمام البيت: فلا الدين بالدين... الخ، لأنا لم نستثن اليمن فقال أما اليمن بحمدالله فالدين كما عهده الرسول صلى الله عليه وسلم والشريعة كما شرعها.

مقابلة ولي العهد والعمل في تعز:

غادرنا صنعاء إلى إريان وبعد البقاء في إريان مدة قصيرة توجّهنا إلى إب حيث زرت الحسن زيارة مجاملة وغادرتها في اليوم التالي إلى تعز وهناك استقبلني ولي العهد استقبالاً حسناً، وقد كان يعمل على استصفاء دعاة الإصلاح بعد فرار فر إلى عدن وكما فعل بالشهيد الموشكي والشامي بعد عودتهما من عدن. وقد عينت عضواً في هيئة تدقيق الأحكام التي كان يرأسها ويوقع على قراراتها، وفي فترة بقائي في تعز وحتى آخر سنة ١٣٦٦/ ١٩٤٧ توسّعت دائرة مطالعاتي وكان فيما تسرب إلينا من الكتب «هذه هي الأغلال» للكاتب السعودي عبدالله علي القصيمي. وكان السيد حسين الويسي يتردّد على عدن بأوامر ولي العهد، وكان يعود بالكثير من الصحف بما فيها «صوت اليمن» وكان ينزل في غرفة مجاورة لغرفتي في الدار الشرقي من مقام العرضي، فكنت أطلع على كل ما يأتي به من صحف ومجلات وكتب حديثة، وكان هو نزّاعاً إلى التغيير، ولا شك أنه كانت له صلات بصنعاء وإن كنا نحن نتعامل معه بحذر نظراً لقربه من ولي العهد. وقد تعيّن في حكومة ثورة ١٩٤٨ وزيراً للمواصلات وقد كان ينفحنا بما يحمل من الكتب والمجلات فتوسع بذلك اطلاعنا على الحياة الحديثة. وقد يكون مما يستغرب اليوم أن أقول إنني حينما كنت في تعز استمعت إلى الإذاعة لأول مرة فاشتاقت نفسي لشراء راديو، ولكن كيف لي بذلك وقد كان شراؤه ممنوعاً على المواطنين، بحجة أنه يذيع أغاني يحرم سماعها. ورفعت إلى الإمام يحيى رسالة رجاء

أطلب فيها السماح لي بشراء راديو لسماع الأخبار وما يذاع من برامج دينية وجاء جواب الإمام بخطه يقول: «عافاكم الله والسلام عليكم، لا بأس أن تشتروا راديوها ومثلكم من لا يلهو بالملهيات» ليؤكد بذلك أن منع اقتناء أجهزة الراديو للمواطنين إنما باعثه الخوف عليهم من الإفتتان بما يذاع من الأغاني، ولمّا أمن عليّ الفتنة أذن بالشراء.

ثورة ١٩٤٨ = ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ

هناك أمر هام لم يتطرق إليه الكثيرون ممن كتبوا عن ثورة ١٩٤٨م، وهو العلاقة التي كانت بين القائمين بها وحركة الإخوان المسلمين في مصر، وهي علاقة كان لها أثر لا يستهان به في تطوير حركة الأحرار والتحضير لقيام الثورة.

وعلى الرغم من أن أياً من الأحرار لم يكن منضماً إلى الإخوان المسلمين، إلا أن بعضهم كان قد اتصل بالشهيد الشيخ حسن البنا كالأستاذين الزبيري ونعمان وعبدالله بن علي الوزير والمسمري ومحيي الدين العنسي وشرحوا له أوضاع اليمن وما يعانيه من جهل وفقر ومرض وعزلة، فوجدوا منه تجاوباً ووعداً بالتعاون. وقد انتدب لدراسة أوضاع اليمن المجاهد الجزائري «الفضيل الورتلاني» الذي وصل إلى اليمن تحت ستار الوكالة لبعض الشركات، وقد كان لهذا المجاهد الكبير دور كبير في التحضير للثورة.

وقد أسلفنا أنه كان لبعض شباب الثورة رأي في إنشاء مجلس سيادة أو إمامة، ولكن الورتلاني رحمه الله رأى أن دائرة الثورة ضيقة الحلقات لا تتجاوز بعض



الشباب المستنيرين، في حين أن الجماهير اليمنية على ما تعانيه من مظالم ومتاعب وما تقاسيه من جهل وفقر ومرض لا تفكر بالثورة ولا تنتظرها، والثورة تفتقد القواعد الشعبية ولا يعلم إلا الله ردود الفعل التي ستواجهها بعد قيامها، مما يجعل من الحكمة ألاّ تندفع في استفزاز القبول الشعبي السائد المتمثل في الإمامة، وأقنع المتحمسين من الشباب بأن تجاوز الظروف والواقع دون

رأي عام ووعي شعبي وقواعد شعبية سيجعل من نصيب الثورة الفشل، وأن الطريق الصحيح للثورة هو التخلّص من الإمام المستبدّ المنغلق المتحجّر العقلية بنصب إمام تتوفّر فيه قابلية التطور والخروج باليمن من العزلة المضروبة عليها. ويتقبل أيضاً أن يكون للبلاد دستور يحدّد الاتجاهات ويوزع الصلاحيات ومجلس شورى يكفل المشاركة الشعبية وحكومة لها صلاحياتها وعليها واجباتها، ولا بد مع ذلك أن يكون له شعبيته ووجاهته وبالذات لدى القبائل الشمالية.

وعلى ضوء هذه القناعات بدأ العمل على إقناع السيد عبدالله بن أحمد الوزير بأن يقبل تنصيبه إماماً لأنه الشخصية الوحيدة التي لها مكانتها في نفوس القبائل. وقد استعان الأحرار بالشهيد السيد حسين بن محمد الكبسي رحمه الله ثم جاء المجاهد الورتلاني فعمّق القناعة في نفس الإمام الجديد. ولم يكن هذا هو المردود الوحيد لصلة الأحرار بحركة الإخوان المسلمين، فقد جاء عدد منهم إلى صنعاء وعملوا على مدى أيام الثورة القليلة في مجال الإعلام إذاعياً وخطابياً، وكان لهم أمل كبير في أن يجدوا في اليمن المجال الواسع لتطوّر حركتهم دون أن تتعرض للقمع أو لدسائس الاستعمار. وأذكر أني في سنة ١٣٨١ التقيت بأحد قادتهم وهو الدكتور سعيد رمضان مريد الشهيد البنّا وزوج ابنته في مكة المكرمة، حينما اشتركنا معاً في مؤتمر رابطة العلم الإسلامي وقد قال لي: إن البنّا كان يقول لمريديه: إن نجاح الحركة الإسلامية سيكون في هذا الصقع المبارك «اليمن» لأنه لا سلطان فيه للاستعمار، ولأن أهله مشهود لهم بالحكمة والإيمان بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» فتعاونهم مع الثورة كان منطلقاً من أمل كبير في أن يجدوا في اليمن المناخ المناسب لنموّ حركتهم واتساع دائرتها بل والحصول على السلطان الذي يزع به الله تعالى ما لا يزع بالقرآن، ومما لا شك فيه أن كل تعاون سياسي بين دولة ودولة أو بين منظمة وأخرى يصدق عليها المثل القائل: «مأرب لا حفاوة».

بعد إقناع الوزير بتولي الإمامة بدأ وضع الخطة للتخلّص من الإمام يحيى وولي العهد بضربة واحدة وكلّف بالقيام باغتيال الإمام يحيى الشيخ علي ناصر القردعي

والشيخ محمد قائد الحسيني والشيخ محسن هارون وابنه وغيرهم، كما كُلِّف باغتيال ولي العهد في تعز العقيد حمود الجائفي والمقدم محمد حسن غالب والنقيب حسن بن صالح الشائف والنقيب محمد بن حسن أبو راس وآخرون وحددوا للعملية غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧، ولكن القردعي تردّد في جواز قتل الإمام يحيى وطلب فتوى من العلماء تبرّر القتل يلقى بها ربه، فأعطاه الوزير الوثيقة ولكن العملية أجلت إلى سابع ربيع الآخر ١٣٦٧. وقد حدثت بعض الملابسات التي سبّبت ارتباكاً وتخوفاً في صفوف الأحرار إذ كان الإخوة في عدن ينتظرون قيام الثورة وإشعارهم بها بواسطة الشهيد الخادم غالب رحمه الله عن طريق برقية إلى وكيله في عدن وبصيغة متفق عليها. ولكن برقيته وصلت عدن تخبر بوفاة الإمام يحيى قبل الموعد المحدد عن طريق وكيل تجاري بريطاني في الحديدة بإيعاز المندسين في صفوف الأحرار وبتكليف من ولي العهد لغرض إجهاض الثورة، وقد جاء في البرقية أن الإمام يحيى مات ميتة مشبوهة.

وقد أرسل والي عدن مندوباً لتعزية سيف الحق إبراهيم بوالده، ومع أن البرقية المتفق عليها لم تصل من الشهيد الخادم غالب، إلا أن ثقة الأحرار بأن معلومات حكومة عدن يمكن أن تكون غير صحيحة مع احتمالهم لأن يكون عائق قد حال دون وصول البرقية جعلهم يسارعون إلى نشر الميثاق المقدس مع القوائم الملحقة به لمجلس الوزراء ومجلس الشورى ومديري الإدارات.. الخ.

وقد توقع الجميع أن تقوم الحكومة باعتقال من جاءت أسماؤهم في الميثاق وبدأ الإعداد لذلك، فأمر الإمام ولي عهده بالانتقال إلى صنعاء لاتخاذ الإجراءات اللازمة ضد من سماهم بـ «الخونة» وتظاهر ولي العهد بأنه يتأهب لمغادرة تعز، ولكنه كان يتوجّس خيفة من أن يعطي تواجده مع أبيه في العاصمة الأحرار فرصة التمكن من القضاء عليهما دون أن يجد فرصة للخلاص كما وجدها أخيراً في تعز، أو أنه كما قال بعض اللصيقين به كان قد استطال عمر والده وطال انتظاره لتولي إمارة المؤمنين فتباطأ في الاستجابة لإلحاح أبيه عليه بسرعة الوصول حتى يتخلّص من

أبيه ثم يتخلص به من أعدائه. وقد حاول السيد عبدالله الوزير أن يبرئ نفسه فأصدر بياناً يتهجم فيه على من في عدن واتهمهم أنهم أرادوا بنشر الميثاق إغراء الإمام يحيى برجال دولته المخلصين وتظاهر الإمام بالتصديق.

وبقي الجميع يعيشون في قلق ويتوقعون وصول ولي العهد من تعز، وحرت أنا فيما أعمله، ولكني تذكرت المثل الشعبي القائل «قتله بين سبعة عرس» وجزمت بعد التفكير أنهم لا يمكن أن يؤاخذوا بعضاً ممن جاءت أسماؤهم في الميثاق دون بعض.

كنت عند قيام الثورة في إب، وكان الأمير الحسن متغيباً، وكان ينوب عنه القاضي أحمد بن أحمد السياغي. ومر علينا الثلاثاء ـ الموعد المحدد أخيراً للحركة ـ دون أن نسمع شيئاً مما نتوقع، ثم فوجئت بعد صلاة العشاء برسول من السياغي يستدعيني إليه، ولما كان عهدي به قريباً، فقد توجّست خيفة من هذه الدعوة، وكان أخشى ما أخشاه أن تكون الحركة قد قامت في صنعاء وفشلت وصدرت الأوامر بالقبض علي وعلى غيري ممن جاءت أسماؤهم في الميثاق، ولكني لم أجد بداً من الاستجابة حتى لا يصدق علي المثل «بلهاء تدلني على سرّها» لو أبديت تلكؤاً، فذهبت إلى الحكومة حيث يقيم السياغي واستغربت أنه لم يقابلني في مكتبه بل استدعاني إلى سكنه ووجدته منهاراً لا يملك عينيه من البكاء، فحدست كل شيء تقريباً، ولم يكلمني بل ألقى إليّ برقية تقول: من الإمام الداعي عبدالله بن أحمد الوزير. لقد كان ما قضاه الله وأمضاه من وفاة المغفور له مولانا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله ورضي عنه في صباح يومنا هذا، وقد أجمع أهل الحل والعقد وكلّفوني بالقيام بأمور المسلمين وبايعوني على كتاب الله وسنة رسوله وعلى الطاعة في المنشط والمكره، ولم نجد بداً من القبول، فنأمركم بأخذ البيعة ممن قبلكم وحزم أمور اللواء والتعاون مع القاضي الوجيه عبد الرحمن بن يحيى الإرياني والأخ أحمد محمد مفضل والأخ يحيى عبد القادر على تسيير أمور اللواء والمحافظة على الأمن وأمروا خطباء المساجد بالخطبة لنا وأفيدونا بما يتجدّد» وقلت للأخ السياغي

وعلام البكاء والرجل قد نيّف على الثمانين والواجب التجلد والثبات لتثبت أنك من رجال الأحداث فتعلّل بأنه إنما يبكي إشفاقاً على النساء والأطفال فقلت: فكّر الآن في الشعب اليمني.

وفيما نحن في الحديث إذ وصل السيد يحيى عبد القادر. ولما كان الإمام الوزير قد أمر بالتعاون معه فقد أطلعه النائب على البرقية واستطلع رأيه فقال: نحن لا ندري الآن ما هو موقف وليّ العهد، ولا شك أنه سيعارض، ومن الحكمة التريّث حتى نتصل بتعزّ.. وبعد خروجي من لدن النائب عَرَّجتُ عليه في غرفته وعرفت منه أنه قد بعث للإمام الجديد تهنئة ومبايعة، وحثّني على إرسال برقية تهنئة وعرفت أنه قد قال ما قاله للسياغي ليستريب الإمام الجديد به فيأمره بأن يحل محله، وقد استهجنت ذلك ونصحت السياغي بإرسال برقية مماثلة.

وبرغم أن السياغي ظل هو المسئول الرسمي الأول، إلا أنه بعد أن بلغه تحرّك ولي العهد أصبح سلبياً وغير راغب في العمل، سيما وأنه كان يتعرض للتهديد من الشيخ علي عنان والشيخ علي بن محسن باشا، وقد رجاني أن أرسله في مهمة بعيداً عن إب، وشعرت أنه يريد الفرار، فماطلته حتى وافق الإمام على إرساله إلى صنعاء، فأرسل إلى يريم ثم تركها والتحق بالإمام أحمد.

بعد سفر السياغي تولى شؤون اللواء يحيى عبد القادر بينما فضلت العمل من الخلف لا خوفاً من فشل الثورة التي كانت طلائعها قد بدأت، ولكن مثالية ونكراناً للذات. على أن أنصار الإمام أحمد وعكفته الذين جاءوا من تعز كانوا يعرفون من الذي يحرّك الأمور بولاء صادق للثورة، ولذلك فقد نجا السيد يحيى عبد القادر وتحول من مسئول للإمام الوزير إلى مسئول للإمام أحمد، بينما قبض الجنود عليّ أنا والأخ المعلمي، وكانت ظهورنا هدفاً لطبانات بنادقهم، ولم ننج من القتل إلا بمعجزة وبفضل تدخل السيد محمد بن محمد المنصور والسيد علي بن عبدالله بن قاسم حميد الدين رحمهما الله. وكان رصاص العكفة قد اخترق نوافذ الغرفة التي لجأنا إليها، وكان العبد والشاوش يقسمان الأيمان المغلظة ليأكلان من أكبادنا، ولكن

السيدين المذكورين قالا لهم إن القتل بغير أمر الإمام لا يمكن، وستعاقبون عليه فدعوهما في الحبس حتى يأمر الإمام بما يراه.

كان الأستاذ أحمد محمد نعمان قد جاء من عدن إلى تعز، وفي ١٨ ربيع الثاني وصل إلى إب في طريقه إلى صنعاء مع عدد من الأحرار الذين سمّاهم الفدائيين، وكانت المعلومات لدي أن طريق يريم صنعاء غير آمنة فنصحته بالعودة إلى تعز والسفر منها إلى صنعاء جواً، ولكنه أصرّ على السفر حتى لا تسبّب العودة إضعاف المعنويات فاقترحت عليه السفر إلى يريم والبقاء هنالك حتى يتم استطلاع أحوال الطريق وأبرقت له إلى يريم أرجوه أن لا يتجاوز أبواب المدينة، ولكنه أصرّ على مواصلة السفر معتداً بمن معه من الفدائيين. وقد تمّ القبض عليهم من قبل الشيخ زيد عمران وقبائله على بعد أميال من يريم وسيقوا إلى ذمار كما هو معروف.

وإزاء هذه الأحداث اقترحت تجنيد بضعة آلاف من أبناء اللواء بقيادة وزيرَيْ الدولة الشيخ علي بن محسن باشا والشيخ أحمد بن حسن باشا والنقيب الشهيد عبد اللطيف بن قائد بن راجح، وسافرت إلى تعز مع السيد محمد المنصور لإيصال السلاح اللازم وعدنا بشيء منه. وتوجه الجيش إلى المخادر في طريقه إلى ذمار، وقبل أن يتحرّكوا منها جاءت ليلة ٣ جمادى الأولى ١٣٦٧ الموافق فبراير (شباط) ١٩٤٨، وفيها سقطت صنعاء وثورتها وإمامها الدستوري وحكومتها الدستورية. وقد استمعت إلى هذه الأخبار المشئومة مع الأخ أحمد المعلمي من إذاعة صنعاء بالراديو الوحيد الذي كان موجوداً حينها في إب من مخلّفات الأمير الحسن، وسقط في أيدينا، وقد فكرنا في الفرار، ولكنا فضلنا مواجهة الواقع على التشرّد والضياع والوقوع في أيدي الحاقدين الهمج، بالإضافة إلى بقية أمل في أن سقوط صنعاء لن يحول دون مقاومة الثورة في كل من إب وتعز ولو إلى حين، على أنا لو أردنا الفرار لما نجحنا لأنها لم تمض دقائق حتى كانت أصوات البنادق تصمّ الآذان وقد كانت توجّه إلى الحكومة وإلى الغرفة التي كنا فيها، مما اضطرّنا إلى مغادرتها والبقاء في الحجرة لتوقي الرصاص وجاء من يريد قتلنا والأكل من أكبادنا كما أسلفنا.

وكان مدير البرق في إب قد نقل أخبار صنعاء إلى يحيى بن عبد القادر، وقد أخبرنا المدير بأنه بعث برسائل لولي العهد في اليوم الذي بعث فيه برقية مبايعته للإمام الوزير وقد قام الموجودون من العكفة والجيش الموجود في إب بالقبض على الأحرار بأمره.

أما بالنسبة لي وللأخ المعلمي فلم يحتج الجنود إلى أوامر بالقبض علينا، إذ اندفعوا من تلقاء أنفسهم يقسمون ليشربوا من دمائنا ويأكلوا أكبادنا. ولكنه بعد تدّخل السيدين المشكورين وأخذهما التعهد من الجنود بعدم اتخاذ أي إجراء في حقنا بدون أوامر ساقونا إلى السجن ووضعوا على قدميْ كلّ واحدٍ منا قيدْين كبيرين، ورمونا في مكان يضعون فيه الرماد وبقايا التنباك. ومن الغرائب أنا نمنا نوماً عميقاً حتى الصباح وفيه جاءوا بالكثير من الأحرار الذين تمّ القبض عليهم وفيهم الأخ القاضي محمد بن علي الأكوع الذي حاول الفرار فوقع من السطح وانكسرت رجله، ومع ذلك لم يُعْفِهُ الجند من القيْد وكان الحرّاس علينا من العكفة الذين أرسلهم عامل تعز السيد محمد أحمد باشا، وكان هو المسئول في تعز وهم زهاء مئة وخمسين جندياً، وكانوا في طريقهم إلى صنعاء، ولكنه طلب إبقاءهم في إب خشية أن ينالوا الأستاذ أحمد نعمان ومن معه المقبوض عليهم في ذمار بأذى، وكان قد أرسل الأستاذ إبراهيم الحضراني والأستاذ محمد الربيع في محاولة لبذل المساعي لإنقاذ الأستاذ نعمان ومن معه فقبض عليهما في عراس وأدخلا إلى يريم ونالا نصيبهما من «الدرداح» وهدم بيت الربيع، وقد سيقا مع الأستاذ نعمان ومن معه وفيهم الشيخ أمين نعمان والشيخ جازم الحروي الذي يقول فيه الشهيد الزبيري:

ألا فليعش في مهجة الشعب جازم	فَدَتْهُ بحبّات القلوب العوالم
فتى راعني بالجود حتى حسبته	ملاكاً كريماً أنجبته الغمائم

وكان يساعد الأحرار في عدن بكرم منقطع النظير.

وقد وجدنا في السجن من أخبرنا عن عدد آخر في سجن الجلالية من تجّار إب وأغنيائها لا ناقة لهم في الثورة ولا جمل سوى رغبة الجنود في نهبهم وابتزازهم.

وفشل الثورة على هذا النحو السريع والمريع لا بد وأن يطرح سؤالاً في حاجة إلى جواب حول الأسباب التي أدت إلى فشلها وعلى هذا النحو السريع. والأسباب كثيرة، ولا مجال هنا لاستقصائها، وقد كان بعضها يعود إلى التخطيط وبعضها يرجع إلى أسلوب التنفيذ الذي لم يقدر له التكامل كما سنشرحه في محله.

معاناة الاعتقال بعد فشل الثورة

بعد أن تمكن الإمام أحمد من القبض على من في صنعاء وذمار وإرسالهم إلى معتقل حجة، غادر حجة إلى تعز وتجاوزها إلى القاعدة، ومن هناك أمر بوصولنا وجاءنا قائد الحرس ـ العكفة ـ محمد الكول لإبلاغنا الأمر وأن علينا أن نسير على أقدامنا بما عليها من القيود إلى القاعدة فقلت له إن هذا متعذر، ولا يمكن أن نصل إلا بعد أيام، وبعد أخذ وردّ وافق الجنود (الفطنون في الأذى) على استبدال القيود بالأغلال على الأعناق بحيث يكون كل خمسة أو ستة في غل واحد، ولم يعفوا أحداً من ذلك إلا القاضي محمد الأكوع، فقد أركبوه حماراً بسبب كسر رجله مما جعله يقول لنا وهو يرانا في الأغلال يجر بعضنا بعضاً «رب ضارّة نافعة».

كنا ثلاثة وثلاثين شخصاً عندما غادرنا إب، إذ ترك بقية المعتقلين الذين لا دخل لهم بالثورة في إب، وكان الناس على جانبي الطريق يدعون لنا بحسن المخرج، بينما كانت النساء تنوح وتبكي، بينما الخارجون من صنعاء وعلى رأسهم الإمام الوزير والكثير من العلماء ورجالات اليمن قد خرجوا بين لعنات الناس مشفوعة بقذفهم بالتراب والقاذورات، وبهذا يمكنك أن تقارن بين المشاعر هنا وهناك وتستنبطها مؤشراً على الروح الحضارية والحسّ الإنساني، وتفاوت درجات الوعي. ولا شك أن للالتزامات العقائدية والتضليل والدجل في هذا التباين في النظرة إلى رجال الإصلاح أثرها.

وصلنا السياني بعد الغروب بساعات وساقونا إلى الجامع لعدم وجود منزل ننزل فيه، لأن المحل كان مليئاً بالجنود الواصلين من حجور من الجيش الذي أرسله الإمام أحمد لتصفية العدين واعتقال الشيخ علي بن محسن باشا والشيخ أحمد بن حسن ومن معهما، وقد ارتمينا على حصير الجامع وكأننا على فراش وثير.

وفي الصباح جاء الناس للصلاة ولمسنا منهم التأثُّر لحالنا والتعاطف معنا حتى أن أحدهم ويدعى الحاج عبده قد انفجر باكياً. وكانت مشكلتنا تكمن في أن من أراد قضاء الحاجة أو الوضوء لا بد أن يجرّ معه زملاءه في الغل، وكان ذلك صعباً وغير مألوف. وجاء أهل حجور وهم من المضلَّلين المتعصبين، ولما رأوا علينا الأغلال عرفوا أنّا من «الدستوريين» فحاولوا الاعتداء علينا فمنعهم الجنود المكلفون بحراستنا، فأوسعونا سباً وشتماً، لأنا على حد تعبيرهم وزعمهم قتلنا «أمّام» فقلت لهم نحن في إب على مسيرة ستة أيام فكيف قتلنا «أمّام» فقالوا أنتم السحرة الذين سحروا الوزير فقتل «أمّام» فقلنا لهم لسنا سحرة، ألا ترون أنّا قمنا إلى الصلاة قبلكم ونحن في هذه الحالة؟ فقالوا أنتم يهود و«دستوريين» فقلت لهم أما دستوريون فنعم وأما يهود فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فسأل شيخهم من هذا الذي يتكلم؟ فقال له الكول: هذا القاضي عبد الرحمن الإرياني وأبوه كان رئيس الاستئناف فقال: لا إله إلا الله «يخرج من العود عودين فعود كرسي لختمة وعود مندف يهودي».

وبعد أن أخذ الجنود قسطهم من الراحة والطعام ولم يقدموا لنا الإفطار ولا العشاء في البارحة واصلوا سوقنا مشياً على الأقدام إلى القاعدة حيث كان الإمام أحمد، وفي مشارفها التقانا الآلاف من الناس وفيهم عدد كبير من العكفة الذين أخذوا يطلقون الرصاص ويردّدون الأهازيج التي تسبّ الوزير وأعوانه والدستور وقومه.

كان الإمام أحمد ينزل في دائرة البرق «إدارة التلغراف» وقد صفُّونا بأغلالنا أمام تلك الدار وأطل علينا الإمام من النافذة منتشياً، وتركنا على وضعنا ذاك زهاء

ساعتين قاسينا فيها الكثير من حرارة الشمس ومن العطش وطلبنا الماء فمنع عنا، وجاءنا أحد أطفال إب الذين رافقوا الركب بإناء فيه ماء وفي غفلة من الحرس مدّ به إليّ وما شرعت أشرب حتى هبّ أحد الجنود ليجذبه مني ويمنعني من الشرب فرميت به إلى الأرض، وكان الإمام ينظر من النافذة، فأمر بأن نعطى شيئاً من الماء وأن ننقل لتونا إلى شاحنة كانت معدّة إلى سجون تعزّ.

صعدنا إلى الشاحنة ولم أستطع الصعود، فحملني الجنود، وقذفوا بي إلى الشاحنة. وصلنا تعز ولم نر من المواطنين هناك إلا الانكسار والإشفاق حتى وصلنا قريباً من مقام العرضي، فاستقبلنا هناك بعض العاملين فيه من موظفين وجنود بالسباب والبصق، وأذكر أن الأستاذ الشاعر عقيل عثمان رحمه الله كان لشدة عطشه ويفتح فاه ليبصق فيه الباصقون ليبل لسانه، ولما وصلنا باب دار الضيافة أطل علينا عدد من الإخوان المسلمين المصريين، وكان على وجوههم الإنكسار وعيونهم تملؤهم الدموع تعاطفاً معنا، وقد أشرت إلى ذلك بقولي في القصيدة التي شرحت فيها بعض ما عانيناه في السجن والتي نشرها الأخ المعلمي وأسماها (ملحمة من سجون حجة):

ولست أنسى وقد أطلت	من طاق دار الضيافةِ
عيون قوم وقد أهلت	دموع عطف ورحمةِ
رأت وجوهاً لنا اضمحلت	ما بين عسف وقسوةِ
والإخوة المسلمون حلت	فيهم خلال الأخوةِ
من مصر جاءوا وكم تجلت	بالخير أرض الكنانةِ

تسلّمنا في تعز قائد الحرس النقيب علي بن علي الجائفي الذي أمر بوضع القيود في أرجلنا وبقاء الأغلال في أعناقنا، ولما راجعناه بأنه لا يمكن الجمع بين القيود والأغلال أجاب بأنه لا بد من استئذان الإمام في فك الأغلال وقد كان.

جاءتنا الأخبار بإعدام الإمام الوزير والسيد زيد الموشكي وبعض آل الوزير، فانزعجنا لذلك وقلنا إن من يقتل هؤلاء لن يتورع عن قتلنا، ولم يطل بنا الانتظار، فما أن جاءت ليلة الجمعة حتى أيقظني الحرس أنا والأخ المعلمي وأمرونا بأن نكتب مالنا من وصية، فقد أمر الإمام بإعدامنا بعد صلاة الجمعة، فبادرنا إلى كتابتها مستسلمين راضين بقدرنا، وعدنا إلى نومنا بينما رفاقنا لم يذوقوا طعم النوم ليلتها فزعاً من الأمر. وقبل صلاة الجمعة أشعرنا الحرس بأن بإمكاننا الاغتسال «تأهباً للإعدام» فاغتسلنا وصلينا وانتظرنا النداء بأسمائنا كما هي العادة، ولكنه مضى الوقت المحدد دون أن ينادوا علينا ثم أبلغنا الحرس أن الإمام أمر بتأجيل الإعدام إلى الجمعة التالية وفيها كرروا معنا نفس الإرهاب. وقد أشرت إلى ذلك في القصيدة بقولي:

وليلة الجمعة الشقية	أيقظني حارس الطغام
وقال قم فاكتب الوصية	أنت وهذا الأخ الهمام
فقد دنت منكم المنية	فاستقبلوا في الغد الحمام
واقتسما كأسه سوية	فهكذا قرر الإمام
أن تقتل الأنفس الزكية	بدون حكم ولا احتكام

وجاء أخي عبدالله رحمه الله ومعه محمد بن يحيى بن علي لمراجعة الإمام وسمح لهم بزيارتنا، وأخرجنا الجائفي إلى مكان منعزل وظل رقيباً على ما يدور من كلام، وقد أخبرانا بما كان من النهب في إريان وخراب بعض البيوت، وأخبرانا أيضاً عمن أعدموا في حجة، وقد أذهلتنا كثرة الذين أعدموا وفيهم المطاع والكبسي ومحي الدين العنسي والحورش والبراق وغيرهم. وقد أشرت إلى كل ذلك في القصيدة الملحمة وجاء بعدها أخي محمد بن يحيى حفظه الله وراجع الإمام بقصيدة استعطاف عصماء، وكان تأثيرها عليه أن أمر بفكّ القيود عني وعن الأخ المعلمي وتفاءل الآخرون وقالوا إذا كان من هُدّدوا بالإعدام قد فَكُّوا عنهم القيود فإن حظنا سيكون الإطلاق. ولكن هذه القيود بعد فترة من الزمن

قد أمر الإمام بإعادتها إلى أقدامنا، وعلى أثر مجيء شاعر شعبي من الحيمة يقال له شردة وإلقائه قصيدة تحريضية على قتله الإمام فأمر بسوقنا إلى سجن نافع بحجة فوضعوا الأغلال على أعناقنا ضمناً إلى القيود، وسلّمونا إلى عامل حجور حمود الخاشب وجنوده من حجور. وقد وصلوا بنا إلى جانب سجن الشبكة وضمّوا إلينا بعض من فيها من المساجين، وفيهم حمود الجائفي وأحمد المروني ومحمد حسن غالب ومرشد المرولة ولطف السعيدي والثلاثة الأخيرون من العكفة الذين نشطوا في الثورة. وكنت أنا في غلّ مع الأخ المعلمي وأحمد الجلال وياسين محمد عبد الإله ابن أخي القاضي عبدالله عبد الإله. وكان في الغلّ الآخر الأخوان محمد بن علي الأكوع وأخوه إسماعيل والمشايخ علي بن محسن وعبد الواحد بن حميد وعبد الحميد بن مقبل.

كان في ضمّ من ضُمّ إلينا من سجن الشبكة زيادة في الزحام، فظللنا واقفين طيلة الرحلة وكان الجنود يهزجون أهازيجهم ويقولون: «قبح الله وجهك يا وزير كبك الله بنيران الجحيم» ولم يكن على من جاءوا من الشبكة أغلال لعدم توفّرها هناك، وقد ضاعفوا لهم بدلاً من الغلّ القيود كنوع من التسوية في الظلم والمثل الشعبي يقول: «من ظلمك وحدك ما يربح». وبحكم توالي نبأ الإعدامات فقد كان الجميع في حالة نفسية سيئة، مما دفع أحد الأخوان إلى التفكير بالانتحار، وكان قد حصل على موس من أحد معارفه من الجنود في الحديدة، وقد بلغني ممن سمعه يؤكد عزمه على الانتحار، فقمت إليه مع رفاق الغلّ الواحد ولمته على انتوائه الانتحار، فقال ما دمنا نسير إلى الموت فلنتخلص إذن من هذا الإذلال والمهانة والعذاب التي نقاسيها من الجنود ومن السفر، فقلت له إن الانتحار يعبر عن أقصى درجات الجبن، فلماذا تنتحر فتخسر الدنيا والآخرة؟ دعهم يقتلونا فنكون شهداء يمنحنا الله أجر الشهيد بدلاً من أن ننتحر فننال عقوبة المنتحر وما زلت به حتى أقنعته بصرف النظر عن الانتحار.

واصلنا السفر إلى حجة على جهد كبير كنت أتمنى معه أن تهوي بنا الشاحنة من تلك الجبال الشاهقة لنستريح مما نحن فيه، وفي حجة استقبلنا أهلها بالسباب والشتائم، وكان سجن نافع الرهيب أرحم بنا من معاناة السفر بالأغلال والقيود والتعرض لسخرية الجنود وسبابهم.. استقبلنا الحاشدي مدير السجن مع أحد الحراس «ناصر علي جرامة» وهو مشهور بالغلظة والقسوة والغباء، وفكوا عنّا الأغلال وأضافوا إلى قيودنا العادية «السك» وما أدراك ما «السك» فهو قطعة من الحديد الممتدّ بين القدمين مربوط بحلقتين بينما القيد بين الحلقتين سلسلة من الحلقات لا يتعذر معهما التحرك والتقاء الساقين. وليس كذلك السك، ولذلك فقد حملونا إلى زنازننا على «الأخدام» المعتقلين كان نصيبي مع الأخ المعلمي زنزانة مظلمة بجوار المرحاض المكشوف تفوح منها الروائح القبيحة. وقد تأثر الأخ الشاعر إبراهيم الحضراني حينما رأى ناصر علي يدق «السك» على قدمي وكانوا قبل وصولنا قد أخذوا يتفاءلون بقرب الخلاص فجاء وصولنا ليدل على أن الشوط بطيء، فقال الأستاذ إبراهيم من قصيدة طويلة:

الآن آن لمقلتي أن تدمعا ولقلبي المحزون أن يتصدعا

ويشير إلى السجان وهو يجرّ قدمي لوضعهما في القيد بقوله:

ويجر رجلاً لو يقاس نعالها بجبين سيده لكانت أرفعا

وفي الزنزانة استقبلنا وزير مالية الثورة الشهيد الخادم غالب رحمه الله، وهو من كبار التجار الذين أسهموا بأموالهم في مساعدة الأحرار في عدن، وكان على صلة بالشهيد المطاع. وقد كان لاستقباله الحسن أثر طيّب في نفوسنا خفّف الكثير من متاعبنا ووزّع علينا بعض ما كان لديه من الفراش. وكنا ننام على التراب وأطعمنا وسقانا وأمدّنا بدفعة مما يتمتع به من صبر وجلد، ولم نتمتع كثيراً بصحبته إذ جاء الأمر بنقله إلى القاهرة وهي سجن أفضل كثيراً من سجن نافع، فاستبشرنا بذلك إذ اعتبرناه رفقاً به وتخفيفاً عنه ولكن لم يمض يومان حتى صُعقنا بخبر إعدامه مع الأمير علي بن عبدالله الوزير رحمهما الله.

وقد قام بإعدامهما «علي عياش» أحد المجرمين المحكوم عليهم بالمؤبد، وقد أعطوه عشرة ريالات عن كل واحد، ولما لمناه وقلنا له كيف أعدمتهما وهما من الذين قاموا بما قاموا به من أجلك ومن أجل أمثالك من اليائسين، فقال سامحوني يا أسيادي، فقد أعطوني عشرين ريالاً، وأنا محتاج كما تعلمون وأنا مستعد لإعدام من يطلبون مني إعدامه إذا كان ذلك بمقابل.

واستمرت بنا الأيام في نافع بما فيه من مقاساة ومعاناة، وكنا في المرحلة الأولى ننتظر موعد الذكرى الأولى لفشل الثورة وانتصار الإمام أحمد أملاً في أن تكون مناسبة للتخفيف عن المعتقلين وتحسين أحوالهم، ولكنا فوجئنا بهم يجعلونها مناسبة للعودة إلى الإعدامات أو جلد بعض الأحرار المعتقلين.

الوشاية علينا في سجن القاهرة

وفي رمضان ١٣٦٨، وبعد مرور سنة كاملة وأيام من انتقالنا إلى نافع، مرضت مرضاً شديداً أشرف بي على الموت، مما دفع بمدير السجن والزملاء المعتقلين إلى عرض حالتي على الإمام الذي أمر بنقلي إلى سجن القاهرة مع آخرين، منهم الأخ المعلمي والأخ الأكوع والقاضي عبدالله عبد الإله والأستاذ علي العنسي. وهو كما تقدم أفضل كثيراً من سجن نافع الرهيب، وقد تداول حملي إليه جنديان من الحرس لعدم قدرتي على المشي. وقد منحناهما مكافأة. ومرت بنا الأيام بل الأعوام في سجن حجة تقلّبنا فيها بين الانفراجات والأزمات، وجاء الانفراج الثاني عندما شكوت إلى الإمام مع بعض الإخوان معاناتنا من الروماتيزم نتيجة لطول المكث وعدم الحركة، فأمر بالسماح لنا بالقيام بجولة يومية «دورة» مع الحرس على أن نعود إلى محبسنا قبل الظهر... إلا أن هذا الانفراج لم يطل إذ فوجئنا ذات صباح بالحرس يمنعوننا من الخروج بناءً على أمر إمامي وصل إلى نائبه في حجة يقول فيه جميع المعتقلين في القاهرة والمنصورة الذين أذنا لهم بالدورة يكون منع الجميع فالأيام أيام برد اعرفوا هذا (٢٩/ ٥/ ١٣٧١) هذا التشديد تمّ بعد مضي أربعة أعوام وأيام على اعتقالنا. حرنا في سبب هذا المنع المفاجئ والذي لا بد له من سبب قوي، ورجعنا

أن يكون بوشاية أحد المنافقين في حجة كان يُنسب إليه أنه يرفع للإمام ما كبر وصغر من أحداث حجة. وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما عرفنا أن الوشاية من أحد المعتقلين أو على الأصح من رفيقين اثنين أرسل أحدهما وشاية منظومة والأخرى وشاية منثورة، وفيها تحريض للإمام علينا واتهام بأنّا ندعو إلى التفرقة ونكفر بالإمامة ونريدها جمهورية إلى غير ذلك... ونظراً لخطورة التهمة فقد كتبت رسالة للإمام أكذب فيها الافتراء وأشرح خطورة فتح المجال للصراع العنصري الذي نرفضه فيفرض علينا وينسب إلينا كذباً وزوراً. أرسلت الرسالة بواسطة السيد أحمد زبارة رئيس الهيئة العلمية وكان من المعروف عنه البعد عن العصبية العنصرية.

ومع أن الإمام كان لا يردّ على رسائلنا مع كثرتها على مدى الأعوام السبعة إلا أنه جاء ردّه برقياً بما نصه «وصلت رسالتكم المطولة ولا نعلم شيئاً مما أفدتم ولا ندري من شوّش عليكم ونحن لا نرضى بشيء مما ذكرتم» أبلغنا ذلك ومكّننا من الدفاع عن أنفسنا الشاب النبيل أحمد بن النائب رحمه الله بواسطة الأخ الأستاذ نعمان.

والذي أفزعنا من هذه الوشاية هو أن الإمام أحمد كان قد خطب بمناسبة عيد النصر وقال في خطبته «إن هناك من ينتظرون حمار عزير وهيهات وما نرى إلا أن رؤوساً قد أينعت وحان قطافها» وأنشد:

ماذا يريدونها لا درّ درّهمُ   إن الخلافة لا يُطوى لها علم

وفي البداية احترنا فيمن يعني، فلما جاء نافياً الوشاية عرفنا أنه يعنينا، وكنّا في دفاعنا ننفي ما رفعه الواشيان، ونؤكد في الرسالة نفسها خطورة فتح هذا الباب إلى العنصرية المقيتة الذي لن يكون فتحه في صالح أحد، ولذا جاء الجواب من الإمام ينفي ذلك لاستشعاره خطورة إثارة مثل هذا الموضوع.

نشاطنا الوطني والأدبي في السجن

برغم القيود المفروضة علينا في السجن، فإن ذلك لم يمنع اتصالنا بروافد الحركة الوطنية بعدن، وقد كانت تمرّ بفترة ركود بعد نكسة ٤٨، وكان اتصالنا

بصورة أساسية ـ عن طريق الأستاذ أحمد نعمان ـ بالمرحوم الشيخ عبدالله بن علي الحكيمي صاحب جريدة «السلام» التي خلفت «صوت اليمن» في التعبير عن الحركة الوطنية. ثم كان لنا اتصال بالمرحوم عبدالله عبد الوهاب رحمه الله صاحب صحيفة «الفضول» وكنا نهرِّب إلى عدن بعض ما نكتبه. وعلى سبيل المثال فقد هرّبنا كتيباً حول القضاء في اليمن أصدره فيما بعد الأخ الأستاذ أحمد المعلمي بعد فراره إلى عدن عام ١٩٥٥م. بعنوان «الشريعة المتوكّلية في اليمن».

كان مناخ السجن بما فيه من انصراف إجباري عن هموم الحياة وشجونها فرصة طيبة لنموّ حركة الثقافة بالاطلاع المستمر على كل جديد وبالأعمال الثقافية التي لم ير بعضها النور حتى اليوم.

وفي السجن فكرت والأخ القاضي عبدالله عبد الإله رحمه الله في إخراج ديوان الآنسي، وقد لفت نظرنا إلى هذا الديوان أنه يمثل النموذج الجيد في الشعر «الحميني» إلى ما فيه من مقاطع تجيد تصوير حالة السجناء التي منها القصيدة التي تقول:

يا حيّ يا قيوم يا عالم بما تخفي الصدور ... يا موجد المعدوم يا ذا الانتقام ممن يجور

وقد غيّرنا ترتيب الديوان لنجعل هذه القصيدة في مطلعه.

العودة للتفكير بالثورة

بعد مرور ثلاثة أعوام على فشل الثورة، أدركنا أن الإمام قد ثبت وضعه واستقرّ حكمه فقرّرنا أن العمل يجب أن يسير على خطّين متوازيين: أولهما التوعية والتثقيف للشعب ولأكبر عدد ممكن من مشايخ القبائل الذين كان لهم حينها ثقل حاسم في سير الأمور عند الأزمات. وقد نفذ هذا الخط في محيطنا الضيق وذلك بتثقيف «الرهائن» وبعض الجنود الذين كانوا موجودين في السجن، وقد كان من بينهم الشهيد حميد بن حسين الأحمر والشيخ أحمد حسين جعمان ابن أخي الشيخ راجي أحد رؤساء الرسم. أما الخط الثاني فهو محاولة شقّ العصا بين أمراء البيت

المالك ليأكل بعضهم بعضاً وذلك عن طريق إثارة وتحريك طموحاتهم إلى ولاية العهد بدفع الأمير البدر بالسعي إلى ولاية العهد التي سيعارضه فيها الأمراء وعلى رأسهم السيف الحسن، وقد عهد إلى السيد أحمد الشامي والأستاذ إبراهيم الحضراني بالقيام بذلك لما لهما من صلة سابقة بالأمير البدر، وقد قاما بالمهمة خير قيام، وضمنا له بيعة من في السجن إذا عمل على تخليصهم مما هم فيه وتعهّد لهم بالإصلاح والخروج باليمن من عزلتها.

أتت الخطة بثمارها واستدعي الشامي والحضراني إلى البدر فعملا جهدهما في تعميق طموحه إلى ولاية العهد ودفعاه إلى بذل جهده من أجل التخفيف على السجناء.

الافراج عني وتكليفي لوضع صيغة ولاية العهد ومبايعة الأمير البدر

وبفضل هذه الجهود اقتنع الإمام بشيء من التردّد بالعمل على مبايعة البدر بولاية العهد، وكان الباعث الأساسي لتردّده كون المذهب الزيدي لا يُقرّ ولاية العهد. اختاروني لوضع صيغة ولاية العهد وتمّ إطلاقي بعد مرحلة انتقالية قضيتها في مستشفى «حجة» وقد أمر الإمام نائبه بإرسالي إلى الأمير البدر إلى الحديدة.

وسافرنا إلى الحديدة، وفي منطقة الضحى، استقبلني الأستاذ إبراهيم الحضراني بسيارة، وبينما كنا نائمين على «قعايد الحبال» (الأسرّة) في أحد المقاهي أيقظني وقال استيقظ فلن تنام إلا في دار الضيافة، فقمت. وفي الطريق طرح عليّ خبر أن النية تتجه إلى تكليفي بوضع صيغة البيعة، وقلت له ولكني خارج لتوّي من السجن ولم أر أولادي وقريتي، وقد يكون هذا العمل ما يعيدني إليه، ولا أدري ما هو رأي الإمام وهل سيمنع عنا أذى إخوته وعلى رأسهم الحسن، فذكرني الأستاذ إبراهيم بما سبق الاتفاق عليه قائلاً: ولا أريد أن أقول لك ما قاله ابن أبي ربيعة: «لا تلمني وأنت زيّنتها لي»... الخ. فقلت له لن أكون ذلك الذي ترمز إليه، ولكن الواجب أن لا نرتجل حتى نرى مواقع أقدامنا. فقال: الرجل مستعجل، وسيضمن لنا موافقة أبيه.

وفي اليوم التالي جاءني السيد أحمد الشامي ودار بيننا حديث مماثل لما تحدثت به مع الأستاذ إبراهيم، وجاء دور البدر والتقينا به ثلاثتنا، وأكد لنا موافقة الإمام وأنه لا يمكن أن يقوم هو بمثل هذا العمل بدون موافقته ولكنه يتظاهر بالحياد حتى لا تؤخذ عليه مخالفته للمذهب الزيدي، وتعهد لنا أن يكون إلى جانبنا يحول بيننا وبين أذى عمّه الحسن ومن معه من الأمراء. وأقسم لنا على ذلك. وأسررتُ إلى السيد أحمد الشامي قائلاً هذا لنا فما للشعب فدفع البدر إلي أن يبادرني وقبل أن أطلب منه بالعهد على المصحف بأن يكون مع دعاة الإصلاح بكل ما يريدونه بإصلاح البلاد وتطويرها، وأن يتجاوز في موافقته ما وافق عليه إمام الدستور الإمام عبدالله الوزير، وأن يستعين بحكومة عبد الناصر وخبراتها ويخرج باليمن من عزلتها وبعد هذه التعهدات عدت إلى دار الضيافة ووضعت صيغة العهد.

عُدت للبدر بصيغة البيعة فكلفت بأخذها من علماء زبيد وتعز وإب، ولم أجد صعوبة في أخذها من علماء زبيد، ولكنهم في تعز تردّدوا لعدم معرفتهم برأي الإمام، وذهبت إلى العلامة الوشلي، وكان أبرزهم بحكم منصبه كنائب للإمام ورئيس للديوان الملكي، وقلت له هل تعتقد أني وأنا الخارج من السجن لتوّي يمكن أن أقوم بعمل كهذا دون موافقة الإمام؟ فقال: صحيح. وأخذ البيعة ووقّع عليها ـ وكان بلا شك قد اتصل بالإمام وأعطاه الضوء الأخضر وتسابق الآخرون بعد الوشلي إلى التوقيع.

وقبل سفري إلى إب لأخذ موافقة علمائها، جاءت رسالة من الحسن إلى الإمام يقول فيها «إن الذين قتلوا الإمام الشهيد، الإمام يحيى وتآمروا عليه قد أطلقتموهم ليعملوا على تمزيق الأسرة وإثارة الفتنة، نطالبكم نحن وجميع أفراد الأسرة من رجال ونساء بإيقافهم عند حدّهم وإعادة الإرياني والشامي إلى السجن» وكنتيجة لهذه الرسالة تلقيت من الإمام ليلة سفري أمراً يقول: أوقفوا كل عمل في موضوع ولاية العهد والزموا الولد أحمد الشامي بذلك، فالأمر خطير وأرسلوا إلينا الصيغة التي تمّ التوقيع عليها.

وبهذا الأمر طويت صفحة ولاية العهد، وإن كانت قد أعطت ثمارها بأكثر مما تصوّرنا، وذلك في حركة ١٩٥٥. وعند مروري من إب التقيت بنائب الإمام فيها القاضي أحمد السياغي فقال لي: «كنت أتمنّى ألاّ تدخل في هذه المشكلة لا سيما وأنت في طريقك من السجن إلى حياة الحرية» ولما أكدت له أني مكلف قال ولكن الإمام يقول لإخوته إن الإرياني والشامي هما اللذان قاما بالأمر واقترحاه وزيّناه للولد البار.

حركة عام ١٩٥٥

وجاءت ثورة أو حركة انقلاب ١٩٥٥. وقبل أن أشرح بإيجاز أحداثها أودّ أن أؤكد أن الشهيد الثلايا رحمه الله اتصل بي مُبدياً التبرّم والاستياء العامّ الذي يسود الجيش من جراء تردّي الأوضاع وعدم قيام الإمام بتنفيذ وعوده المتكررة بالإصلاح، مصرحاً بأن الصبر قد نفد وأن السكوت غير جائز. وطرح علي موضوع الاستعانة بسيف الإسلام عبدالله الذي استدعاه أخوه لتولي وزارة الخارجية فقلت له إن عملاً كهذا سيصدق عليه المثل الشعبي «اقلع بصلي واغرس ثومي» وستخرج بالشعب بعملية كهذه العملية «من حوجمة إلى كلبلابة» كما يقول المثل الشعبي أيضاً. فأكد لي مقسماً بأنه لا يمكن أبداً الاقتناع أو الإقناع بالسيف عبدالله كإمام جديد، وإنما المراد العمل المرحلي بالاستعانة به للخلاص من الإمام أحمد، الشخصية الرهيبة، ثم من السهل الخلاص منه. فقلت له إن عبدالله لا يقلّ مكراً واستبداداً عن أخيه، إضافة إلى ما له من ارتباطات خارجية، وأن نواياه ليست إلا أحد إفرازات ولاية العهد، وليست وليدة غيرة حقيقية وإخلاص للوطن.

ولحظت على الشهيد الثلايا الاستياء إذ قال: إذن فمع من نتعاون إذا كنتم أنتم تضعون أمامنا المخاوف مع أن الحالة قد أصبحت لا تطاق وأصبحت جديرة بالتضحية؟ فقلت أعطني مهلة أفكر فيها.

وبعدها زارني مجموعة ممن شاركوا في الحركة وأصبحوا في أعداد الشهداء، من بينهم الشهيد علي المطري الذي كان على علاقة حسنة مع السيف عبدالله، وعبد

الرحمن باكر، ومحسن الصعر، وقد فهمت أنهم مرسلون من السيف عبدالله الإقناعي، ولعلّهم طلبوا إليه أن يدعوني إليه لمحاولة إقناعي، وقد دعاني ولكنه لازم جانب الحذر، واكتفى بالشكوى من تردّي الأوضاع وضرورة الخروج باليمن من عزلتها وإيجاد حكومة عصرية حديثة، وأن هذا منوط بالتعاون. وقد قابلت حذره بمثله مكتفياً باقتراح توجيه النصح للإمام بإنابته للقيام بالأعمال، فأشار إلى عناد الإمام وعدم إصغائه للناصحين، وافترقنا على غير اتفاق أو مصارحة، وكان عبدالله قد استمال إليه الأمراء العباس وإسماعيل والحسن بن علي والحسن بن الحسن.

كان الشهيد الثلايا يتردّد على صنعاء بين الحين والحين للاتصال بالضباط هناك، وكان يتصل بي لاطلاعي على ما جدّ من الأمر، وكنت أبدي له مخاوفي إذ كنت أرى أن الأمر يحتاج لاحتياطات كثيرة، وأكدت له أن الحركة إن فشلت فسنكون عشاء أحمد، وإن نجحت فستكون أوليات أعمال عبدالله هي التخلص منا. ولا بد قبل التنفيذ من اتخاذ الإجراءات التي تجعل نسبة النجاح سبعين في المائة على الأقل. وقد علّق على كلامي بقوله: أما إذا نجحت الحركة فإننا «سنتغدى بعبد الله قبل أن يتعشى بنا» وهذا يؤكد ما كان يقوله من أنه ينوي الاستعانة بالله مرحلياً، أسجله للتاريخ وأداءً لأمانته.

وجاءت حادثة «الحوبان» لتضع الجميع أمام الأمر الواقع، وأجبر تمرّد الجنود الشهيد الثلايا ورفاقه على تنفيذ خطتهم مستفيدين من تمرّد الجنود ونقمتهم على الإمام. وفي صباح اليوم التالي جاء إلى منزلي بصالة أحد الجنود ليشرح لي أن الجيش قد ضرب حصاراً على القصر في العرضي، واحتل المراكز الحكومية ومخازن الذخيرة والسلاح واللاسلكي والمطار، وأن الثلايا بعث أمراً إلى قائد مرتب صالة «الرائد أحمد معصار» ليقول له: «إلى إخواننا مفرزة صالة حرسهم الله. لقد كان من إخوانكم الجيش ضرب الحصار على القصر الملكي في العرضي واحتلال المباني الحكومية والمراكز المهمة حتى يكون تنفيذ مطالب الجيش فنأمركم باسم الجيش

بالاحتفاظ بها لديكم والانتباه على مراكزكم والمحافظة على القصر ومنع الدخول والخروج أو إخراج أي شي منه ٨ شعبان ١٣٧٤هـ». وقال الجندي إن قائد المفرزة أرسله ليعرض عليّ الأمر ويأخذ رأيي فيما يصنع فقلت له أنتم أعرف بالقوانين العسكرية وعليكم تنفيذ أمر قائدكم وهو المسئول.

وبعد ساعة جاءت سيارة عسكرية عليها جنود تستدعيني إلى العرضي، فوصلته وإذا قد سبقني إليه نائب الإمام الوشلي وجميع موظفي الديوان الملكي والهيئة الشرعية والضباط وبعض الأمراء، وانضم إليهم السيف عبدالله فيما بعد. وقد شرح القائد الثلايا للحاضرين أنه قد فوجئ بوصول الجيش إليه يطلبون منه قيادتهم في حركة ترغم الإمام أحمد على التنازل لأخيه عبدالله، لأنه ـ أي الإمام ـ قد عجز عن القيام بأمانة المسئولية التي في عنقه وقال: «أنه لو لم يستجب لكان أول قتلاهم وأنهم سيقتلون كل من خالف أو قاوم». وقد رؤي أن يُرسل وفدٌ من المجتمعين إلى الإمام يطلب منه التنازل لأخيه، وذهب العلاّمة الذاري ومحمد الحمدي واللواء محمد الحوثي وأحمد زبارة والحسن بن علي وقد طلب منه هؤلاء أن يتنازل لأخيه لإخماد الفتنة وحقن الدماء، فأخذ ورقة وكتب عليها: «حيث طلب الجيش بتعز بتأثير العوامل الأجنبية والأصابع الاستعمارية أن نتنازل للأخ سيف الإسلام عبدالله عن الأعمال، فقد تنازلنا له عنها، وشرطنا عليه العمل بشريعة الله والعرض علينا فيما دقّ وجلّ» ولما سمع من كان موجوداً من الجيش لَفْظَ التنازل أطلقوا الرصاص ابتهاجاً، وتلا ذلك أن مدَّ السيف عبدالله يده للبيعة فبايعه الحاضرون ولم يجدوا مخلصاً لهم مما هم فيه إلا بذلك، وكان الضباط قد لاحظوا تردّد البعض فقال الحاج مرشد، وكان أكثرهم صرامة وعنفاً «عبدالله إمام وإلا قحطنا رؤوسكم والله ما يخرج منكم واحد» وبعدها بعث البعوث إلى الحديدة وصنعاء وسائر الألوية لأخذ البيعة، وكان نصيب الأستاذ أحمد محمد نعمان ومعه آخرون الذهاب إلى الحديدة لأخذ البيعة من البدر، فكان ما هو معروف من ذهابه إلى البدر إلى حجة.

وفي اليوم تسلم عبدالله برقية مستعجلة من البدر يقول فيها: «من محمد ابن أمير المؤمنين إلى سيف الإسلام عبدالله. لقد ساءنا وعموم الناس ما بلغ من البغي على أمير المؤمنين والعدوان الذي أسفرت عنه المؤامرة التي دبرتموها ضد صاحب الجلالة أمير المؤمنين، فنحذركم العدوان على جلالته وننذركم بسوء عاقبة هذا البغي الصارخ، وليعلم البغاة والمتآمرون أنه سيلقون جزاءهم في القريب العاجل ١١ شعبان ١٣٧٤».

وبينما واجه المقدم الثلايا البرقية بعدم اكتراث، كان عبدالله في غاية الانزعاج، ولما قلت له إن هذا هو المنتظر قال: بل نحن أسأنا بإرسال الأستاذ نعمان، فقلت له سواء أرسلتم الأستاذ أم غيره، فإنه لن يغير من مجرى الأمور شيئاً. وزاد في اضطراب الإمام الجديد وصول جواب الملك سعود على برقيته التي أعلمه فيها بتوليه العرش بناءً على تنازل الإمام استجابة لطلب الجيش، فجاء جواب الملك سعود يقول: «إنه قد تلقى الحقائق من البدر ويحذّره من أن يمس الإمام أحمد بأذى» ويقول له أيضاً: «أنت تعلم ما بيننا وبين الأخ الإمام أحمد من عهود، ولا يمكن أن نتخلى عما قطعناه، لأن الشهامة العربية والأوامر الدينية تأبى ذلك».

وفي ثالث أيام الانقلاب حاولت التأخر في منزلي في صالة، فجاءت لي سيارة عليها جنديان بأمر من الشهيد الثلايا هذا نصه: «القاضي المحترم عبد الرحمن الإرياني حفظه الله، صدرت السيارة، عجّلوا الوصول، فلا ينبغي تأخركم ومفارقة العرضي فمولانا ـ يقصد عبدالله ـ يشكو تأخركم وانقباضكم وغيركم عن الأعمال وليس في ذلك إلا الخطر على الجميع وهذا إشعار والسلام ٢٠/ مارس (آذار) «١٣٧١» ـ التاريخ الذي كان معتمداً في الدوائر الحكومية التركية».

وفي هذا اليوم حاول اثنان من أنصار الإمام هما الغماري وابن أخيه، قتل المقدم الثلايا فاغتيلا وقتلا، وكانا قد قتلا جنديين من الجيش الموالي للقائد. وأوعز الإمام الجديد إلى الثلايا بتوقيف الشيخ حميد الأحمر الذي كان يتوجس منه خيفة،

لأنه يميل إلى البدر، وقد عملت على تسوية الموقف وأشعرت عبدالله بخطورة وقوع صدام بين الجيش النظامي والبراني.

زاد الموقف تدهوراً حينما بدأ البدر وأنصاره باحتجاز الوفود الذين بعثهم عبدالله لأخذ البيعة ووقوع بعض التمردات، كتمرد عامل صبر ومن لديه من الجنود، كما وصلت برقية أخرى من الملك سعود فيها تهديد ووعيد. وبدأ «صوت العرب» يهاجم الحركة وقد دفع الشهيد الزبيري رحمه الله إلى ذلك بحجة أن الحركة وراءها أمريكا التي كان لعبدالله صلة بها. وقد بلغني أن السيف عبدالله قد أعدّ قائمة لمن ينوي اعتقالهم وأن اسمي جاء فيها بحجة ما سبق من العمل لولاية العهد. وقد انزعجت لذلك، وطرحت الأمر على الشهيد الثلايا فقال إن الفكرة قد عرضت فعلاً، ولكنه أقنع الإمام الجديد بالعدول عنها، وأنه لن يسمح باتخاذ أي إجراء ضدّي. وبرغم وعود المقدم إلا أني خشيت أن يُغلب على أمره، وبدأت أفكر في الفرار الذي كان قد سبقني إليه الأخ الأستاذ المعلمي. واتفقت مع السائق حميشان على أن يفرّ بي على سيارته، ولكنه كلّف بالسفر إلى صنعاء، وكانت الأحداث تتوالى، وكان عامل تعز السيد يحيى بن محمد باشا قد أوقف في العرضي بحجة أن والده نائب الإمام في الحديدة سافر مع البدر إلى حجة، ففكرت بأن استغلّ إمكانياته ولكن كيف بنا وهو في السجن؟ فدخلت إلى الإمام عبدالله وقلت له إنه طلب إليّ أن استأذن له منكم ليزور عائلته ويطمئنهم على أنه لا خطر عليه، فقال ولكن... وقبل أن يكمل كلامه قلت أن التزم لكم بإعادته إلى العرضي، فأذن بشرط ذهابي معه وعودتي به، وذهبنا إلى منزل العامل، وفي جلسة قصيرة شرحت له ضرورة فرارنا للنجاة بأنفسنا، وأن في الإمكان أن نذهب إلى إحدى القرى في التعزية التي لهم فيها أملاك وأجراء ونختفي هنالك، فوافق على ذلك، وطلب أن أنتظر له حتى يرى أهله ويطمئنهم. وقبل أن يعود إليّ كان خمسة من الجنود على سيارة عسكرية قد جاءوا لإعادتنا إلى العرضي. ولعل السيف عبدالله قد ندم على السماح لنا بالذهاب فأسرع في تدارك الأمر.

بدأ تدهور الموقف، وشعر الإمام الجديد أن التنازل الذي حرّره أحمد إنما ينص على التنازل عن الأعمال لا عن الإمامة، ومع اشتراط العرض عليه فيما دقّ وجل. وكانت الأخبار قد جاءت تقول إن البدر قد بدأ يتحرك ويرسل الجنود من القبائل ومن حجة لفكّ الحصار عن الإمام، فطلب إلينا أن ندخل معه إلى الإمام لنطلب إليه التنازل الصريح، وأن يأمر ابنه البدر بالتوقّف عن الحركة. فذهبنا معه إلى الإمام فوجدناه قاعداً وحوله غابة من الأسلحة. وطرح عليه الموضوع وطلب تحرير رسالة إلى البدر تمنعه من التحرك، وإلى الجيش بتأكيد التنازل وإلزامهم بالطاعة. وبعد أخذ وردّ طال، وبعد أن أقسم الإمام الجديد أنه لا غرض له غير إطفاء الفتنة وحقن الدماء، فإذا لم يتم ذلك فإني سوف أنسحب وأترك الجيش يصنع ما بدا له، فقال الإمام الأحمد: لقد فعلت كل ما يمكن فعله وليس بعده الآن إلا الموت الأحمر. ثم التفت إليّ يقول: هل على ذهنكم صدر بيت المتنبي القائل: «أنا الغريق فما خوفي من البلل» فقلت نعم إنه يقول: «الموت أهون لي مما أكابده» فقال الإمام الجديد: ليس الآن وقت الأدب والشعر. وعقب الذاري رحمه الله: نعم لقد حال الجريض دون القريض.

وبعد أن أقسم الإمام الجديد على أن لا طمع له في العرش وإنما يريد الحفاظ على حياة الإمام وحقن الدماء وإطفاء الفتنة أخذ الإمام القلم وحرّر إلى الجيش ما يلي:

«إلى المحبين الكرام سلّمهم الله، لقد كان ما سبق في علم الله سبحانه، والآن لعل الله قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح، فإنا حملنا الأخ سيف الإسلام عبدالله الحجّة، وكان التنازل على أن يقوم بالأمور ويجريها على شريعة الله سبحانه ولم يبق ما يوجب الأخذ والرد. وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء فليقم كل واحد محلّه والأخ سيف الإسلام يخرج إلى محله للقيام بأعمال الناس وعليكم جميعاً اعتماداً أوامره ومن خالف هذا، فعليه حجة الله والله المعين والسلام عليكم ٩ شعبان ١٣٧٤». وكتب إلى ابنه البدر ما يلي:

«الولد البدر حرسه الله وأعانه والسلام عليكم، ما بلغ عزمك عمران إلا من أخبار الناس، فالتلغراف مقطوع والشفرة وصلت وفيها اغلاط خطية، فلم أتمكن من حلّها. وقد حصل الظن أنها التي لم نكن نعمل بها، أو هي القديمة ولا والله أعلم أين هي الآن؟ والمراد أن هذا بواسطة الأخ سيد الإسلام الفخري حرسه الله، فقد كان التنازل لقيامه بالأعمال على كتاب الله والشريعة المطهرة، فعند وصول هذا أنا أحجرك بحجر الله سبحانه وألزمك بالتوقّف الآن بعمران أو حيث يصلك هذا وسلّم للمشايخ والعقال مصروفاً كل واحد بقدره، وألزمهم بالعودة إلى محلاتهم وفي عزمي الوصول إلى عمران، فالزم بافتقاد المطار والأخ الفخري حرسه الله قد ألزمته بإرسال نظام إلى صنعاء وجمع المواتر الموجودة ليكونوا عليها إلى صنعاء. فالخشية هناك كم ضعفاء ومساكين ونساء وأطفال فلا تترك مجهوداً في التوقّف وصدرت كتب للمصلي وغيره عجلها إليهم الله والانتظار للإفادة والله المعين، اجتهد في تسكين الناس ومنع الفتنة ولو تضحي بنفسك فابذل الجهد في هذا، فإني والله أحب أن ألقاك عند الله وأنت شهيد ولا وأنت قائد فتنة وأنت بمحلّ من الكمال، واللّه المعين. ٩ شعبان ١٣٧٤».

وبعد انصياع الإمام لمطالب أخيه بعد أن أقسم أنه لا يطلب غير المحافظة على حياة الإمام وأنه سيرفض تنازل الإمام بعد انطفاء الفتنة، عاد فقال إنه لا يمكن أن يتنازل الآن حتى يستتبّ الأمن، وعلى شرط أن يبقى هذا الاتفاق مكتوماً. وقد رمقه الإمام بنظرة معبرة ولم يعقّب ولا تراجع عما حرّره، وعاد عبدالله وعدنا معه إلى العرضي وقد أمر بتصوير محرّري أخيه وتوزيعها وإرسالها إلى سائر الألوية، مع الأمر إلى كل المسئولين فيها لأخذ البيعة له، وأعلن نفسه إماماً وتلقّب بالمتوكل على الله وقد حدث خلاف بين الجيش البرّاني وعلى رأسه الشهيد حميد بن حسين الأحمر والنظامي بقيادة الشهيد الثلايا بعد مقتل الغماري وابن أخيه، وقد تمكنت من تسوية الخلاف مستعيناً بثقة الطرفين.

وفي يوم الاثنين ١١ شعبان كان أول ما فعله الإمام أحمد هو نقل من لديه في العرضي من نساء وأطفال إلى «صالة»، فقد استمال الضابط محمد إسماعيل الأكوع الذي عهد إليه الجيش بمحاصرة الإمام فخانه وتحوّل مع الإمام وسهّل خروج العائلة من الحصار، ونقلهم إلى «صالة» وكان معه عبدالله العبد وكامل إسماعيل. وقد ترقّب الجيش عودتهم من صالة وقبضوا على ثلاثتهم وأعدموهم. وأعلن الإمام الانقلاب على الانقلاب وكتب إلى أخيه:

أرى خلل الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون له ضرام

فيلزمكم بما قد كان منكم ... تدارك ما هنالك والسلام

وإلاّ فاعلموا علماً يقيناً ... بأن جزاءكم موت زؤام

والبيت الأول لنصر بن سيار والي آخر ملوك بني أمية ينذر به الخليفة الأموي ببدء تحرك بني العباس. وقد بدأ تبادل إطلاق النار وأمر القائد الثلايا الشيخ يحيى المحجاني ومن معه من الجنود البرانيين والنظام في القاهرة بإطلاق المدافع على القصر وتدميره على رؤوس من فيه. وقد قصفت المدفعية القاهرية ولكن على مقر القيادة العسكرية ومقر الإمام الجديد في العرضي، وضُرب الحصار عليه وعلى من لديه من العلماء وفيهم نائبه الوشلي وعقبات والكبسي وغيرهم. وكنت أنا في منزلي في صالة وقد حاولت الفرار، ولكني وجدت أن الجنود في صالة قد تحوّلوا، ورأيت جماعة منهم حول البيت. ولما اشتد القصف بدأ الجنود يفرّون، وقد أخبرني بعد ذلك الإخوان الذين كانوا محتجزين في العرضي أن القائد الثلايا دخل عليهم وقال لهم إن ما وقفنا فيه من فشل هو بسببكم أنتم، فقد عارضتم قتل الإمام أو قصف القصر. وخرج متوعداً ومال الوشلي إلى الكبسي مشيراً إلى عنقه وقال إنها قصة أبي لبابة مع بني قريضة، وقال هؤلاء الإخوة إنه حينما اشتدّ القصف على مقر عبدالله طرح عليهم فكرة التعاون مع بريطانيا بطلب طائرات لقصف القصر والقاهرة وضرب القبائل المتجمعة في عمران. ولما قيل له إن الشعب لن يقبل الاستعانة

بالأجنبي قال إنه يمكن الإعلان بأنه كان استئجار هذه الطائرات، فرفض الاقتراح لأنه ليس هناك من يصدق أن ثمة طائرات حربية للإيجار.

أردت بسرد هذه الواقعة التي سمعتها من الإخوان الذين كانوا مع السيف عبدالله محاصرين في العرضي أن أُدلِّل على صحة رأي الحكومة المصرية التي اتهمت الحركة التي على رأسها السيف عبدالله بالارتباط بأمريكا وبريطانيا وإقناعهم الشهيد الزبيري رحمه الله بمهاجمة الحركة من «صوت العرب» وأن يتهم عبدالله بالتهمة نفسها. وكان كثيرون ينكرون عليه ذلك ناظرين إلى أن الحركة هي حركة الجيش وقائده الثلايا، وإنما وضعوا عبدالله على رأسها لاعتبارات مؤقتة. وقد جاءت محاولة عبدالله الاستعانة ببريطانيا لتؤكد صحة التهمة وتعذر الشهيد الزبيري، وصحيح أن الجيش والثلايا كانوا ينظرون إلى عبدالله كضرورة مؤقتة وهذا ما تأكدت منه بالنسبة إلى الشهيد الثلايا رحمه الله ومع ذلك فقد كان عبدالله ينظر إلى الجيش النظرة نفسها.

فشل الحركة وإعدام قادتها وما آل إليه حالنا

فشل الانقلاب تماماً، وفرّ الشهيد الثلايا والحاج مرشد، ونجح الحاج مرشد في فراره إلى عدن وقبض على الشهيد في محل «اللوزم» بصبر، واعتقل الإمام كل من كان في العرضي بما فيهم أخوه عبدالله في وزارة الخارجية، وحينما جاء إليهم قبل إرسال أخيه إلى حجة وجّه إليه الخطاب قائلاً «ابصر يا كبش جهران كيف يفعل الرجال».

هذا ما كان من أمر الأخوان. أما أنا فقد أرسل ثلة من الجيش لاعتقالي وعلى رأسهم الحسن بن الحسن الذي كان قبل دقائق في صف عمه عبدالله. وقد وُضعت في أحد أماكن الدار الشرقي في صالة مقيداً، وذلك في منتصف ليلة الأربعاء ١٤ شعبان. وقد انضم إليّ بعد قليل عبد الملك الطيب وعلي الضبة ومحمد شعلان، وكان قد قبض عليهم في الراهدة، وقد جاءوا من عدن موفدين ممن فيها ليدفعوا

قيادة الثورة إلى التخلّص من أحمد. وقد جاء بعدهم الأستاذ نعمان محمد نعمان رحمه الله، وفي صبيحة الأربعاء فوجئنا بوصول الشهيد الثلايا. وقد صُدمت أنا صدمة عنيفة إذ رأيتهم وقد قيّدوا الثلايا بقيدين، وجاء الأمير الحسن بن الحسن يسأل عن عمه عبدالله فقال له: وأنت لماذا لم تنزل أمس، فقال لقد منعني الرصاص، فقال كان يجب أن تأتي لتتذوق الرصاص بدلاً من أن «توقزوا» من داخلكم وتضحوا بالآخرين. وقد انسحب الأمير دون ردّ. وبعد أن انضم إلينا الشهيد يحيى السياغي رحمه الله جاء المقدم أحمد الآنسي ومعه ثلة من الجنود يستدعون المقدم الثلايا وقدرنا أنه سيساق إلى الإعدام. وبعد دقائق جاء جنود آخرون وأخذوني مع الأخوين السياغي ونعمان والقادمين من عدن إلى الميدان.

وكنت بعد أن فشلت في محاولات الفرار الثلاث قد يئست من النجاة، وكمحاولة أخيرة للنجاة التقيت بالنقيب علي مانع، أحد قادة العكفة ـ الحرس الملكي ـ وطلبت إليه أن يبلغ أحمد أني وأكثر من عمل مع أخيه عبدالله قد عملنا مجبرين، وأني قد حاولت الفرار مرات فلم أنجح.

وصلنا الميدان وقد تأكدنا أن الإعدام سيكون من نصيبنا، وقد أوقفونا في الميدان صفاً وأشعرونا أن دورنا في الإعدام يأتي بعد إعدام القائد الثلايا. وكان الإمام أحمد يتجوّل بين صفوف الجنود ويعلن عفوه عنهم لأنه غرّر بهم القائد، ويسرد نعمه على الثلايا من بناء البيت إلى إعطاء الرتبة إلى توفير المرتب وأخيراً قال فهل ترونه يستحق الإعدام؟ فارتفعت الأصوات تقول نعم[1]، وكان الإمام في تجواله يقترب منا فخرجت من الصف وقلت له: تثبّتوا، فقد أبلغتكم بواسطة النقيب علي مانع بأن معظم العاملين مجبرون وأنا أحدهم، وجدّكم الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يرق دماً حراماً» فقال والله يا أخي ما أبلغني مانع شيئاً.

---

(١) في هذا ما يعطي من ليس له معرفة مقدار ما كان يتمتع به الشعب من الوعي.

وبينما كنا في الصف ننتظر الإعدام إذ سمعنا ضجة المرافع ـ الطبول ـ وإذا بالجيش الذي أرسله البدر وفي المقدمة القاضي محمد الأكوع والشيخ علي بن محسن والسيد عبد الواحد والشيخ عبد الحميد باشا يطلعون علينا. وكان الأستاذ نعمان بوصوله مع البدر إلى حجة قد دفعه إلى إطلاق من بقي في السجن وأرسل هؤلاء لفك الحصار عن الإمام. ولما رأيتهم التفتّ إلى الشيخ نعمان محمد نعمان رحمه الله وقلت «مصائب قوم عند قوم فوائد» مشيرا إلينا وإليهم. وقد أسرع الإمام بعد هذا بالإشارة للوشاح ففصل رأس المقدم رحمه الله عن جسده ونحن نرى وننتظر نفس المصير. ولكن الإمام غادر المكان بصورة سريعة، ربّما تحسباً لأنه قد يكون في الجنود من يكنّ وفاءً للقائد أو في الواصلين من حجة من يضحي بنفسه بالقيام بعملية ضده. وقد أعدنا إلى «صالة» وبعث الشهيد يحيى السياغي ليجيئوا له «بالمداعة» و«الدجلة»[1] فقلت له مازحاً خلوها للأولاد، فقال لماذا تقول هذا وقد أعادونا من الميدان ولو كان يريد إعدامنا لأعدمنا كما أعدم الثلايا، فقلت له لنا معه تجربة فقد وزع الإعدامات في حجة سنين ليستمرّ الإرهاب، وفي اليوم التالي جاءوا بالشهيد يحيى السياغي وأعدموه، وكانت «المداعة» من نصيب العسكر، وكانت «الدجلة» من نصيب الوشاح الذي تولى إعدامه.

وقد كان لهذه «الدجلة» قصة أرويها للعبرة: فقد أخذها الوشاح ولم تمض أشهر حتى قتل أحد الجنود وحكم عليه بالقصاص وأعدم وأخذ الدجلة العبد محمد سالم الذي تولى إعدامه. وجاءت الثورة السبتمبرية فأعدم العبد وعليه الدجلة، فأخذها الهدام الذي تولّى إعدامه، وما هي إلا أشهر حتى قتل الهدام وأخذت الدجلة وانقطع خبرها.

وقد أعدم مع الشهيد السياغي الشهيدان محسن الصعر ومحمد ناصر الجدري. وفي يوم الجمعة ١٤ شعبان أعدم الضابط علي حمود السمة وفي ١٧ شعبان

---

(١) هذا الاسم هندي الأصل ويسميها البعض «سترة» أو «البالطو».

أعدم الشيخ علي المطري والشيخ عبد الرحمن الغولي، وقبلهما أعدم عبد الرحمن باكر، وفي الأحد ١٨ شعبان أعدم السيد محمد حسين عبد القادر والضابط حسين الجناتي، وفي ١٩ منه أعدم الشهيدان حمود السياغي والضابط أحمد الدفعي، مع العلم أن السياغي كان في إب ولم يشترك في شيء مما حدث لا بقول ولا بفعل.

وفي يوم الأربعاء ٢١ شعبان أعدم السيفان عبدالله والعباس في حجّة. وفي صنعاء أُعدم القاضي عبدالله الشامي، وفي ٢٦ شعبان أعدم الضابط قايد معصار، وكان السادس عشر في عدد الذين أعدموا بدون تحقيق معه أو محاكمته. وبإعدامه انتهت الإعدامات.

وجاء وفد مصري برئاسة حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية في مصر وأحد ضباط الثورة، ووفد سعودي برئاسة الأمير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف لتهنئة الإمام بالنصر. وقد استاء اليمنيون على اختلاف آرائهم بحركة الثلايا لمجيء وفد مصري رفيع المستوى ليهنئ الإمام بإعدام ستة عشر يمنياً تورّعوا عن قتله ولو فعلوا لتغيّر مجرى الأحداث. وقد رأوا في ذلك خروجاً على مبادئ ثورة ٢٣ يوليو التي تلتزم الوقوف بجانب الحركات التحررية. وقد أبلغنا الوزير الشافعي خبر هذا الاستياء واستنكار الكثيرين لهذه الزيارة، فاعتذر بأن لديهم معلومات مؤكدة بأن عبدالله كان مرتبطاً بأمريكا وبريطانيا، وأنها وراء حركته، ومصر كما قال هي ضد الاستعمار وحرب عليه، ومن أجل ذلك كان موقفنا مشايعاً للإمام أحمد لما قيل له إن الجيش لم يتخذ عبدالله إلا وسيلة للتخلص به من أخيه الرهيب، وكان عازماً على التخلص منه في مرحلة آتية قريباً، فقال كان عليهم أن يتّصلوا بنا ويطلعونا على مخطّطهم وكنّا سنساعدهم.

لم يطل المكث بي هذه المرة في السجن أكثر من ثلاثة عشر يوماً. وقد كان للعلامة الذاري رحمه الله وللأستاذ صالح محسن دور كبير في صرف نظر الإمام عن الإعدام. وكان لمجيء البدر والأستاذ نعمان والسيد أحمد الشامي دورهم في الإقناع

بالإطلاق، وكان السيد يحيى الباشا قد شرح لهم محاولتنا معاً الفرار، مما أكّد للإمام أن العمل كان مفروضاً.

نتائج الحركة

هذه هي حركة خمس وخمسين شرحتُ الهامّ فيها بغاية الإيجاز. وقد كانت أبرز نتائجها على الصعيد الرسمي حسم مسألة ولاية العهد بإعلان الإمام أحمد ولاية العهد لابنه البدر وإعدام الأميرين عبدالله والعباس ونفي الحسن إلى أمريكا وسجن مجموعة من الأمراء الصغار.

كما أنه ـ أي الإمام ـ قد أفسح المجال أمام البدر للتحرّك الخارجي. ونظراً لما كان معروفاً من ارتباطات الحسن وكتلته بأمريكا، فقد توجّه البدر نحو الاتصال بالدول الاشتراكية بما فيها الاتحاد السوفياتي والصين. ومن هذه الاتصالات نتجت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي وإنشاء ميناء الحديدة، وشق طريق صنعاء ـ الحديدة من قبل الصين. وهذه الإنجازات الثلاثة هي التي أسهمت ـ فيما بعد ـ بصورة أساسية في إنجاح ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ والدعم المصري لها وهو ما كان له أهمية بالغة في إنجاحها.

البدر ولياً للعهد

وقد كانت أول زيارة للبدر إلى الخارج بعد إعلان ولاية العهد إلى السعودية ومصر يشكرهما على موقفهما بجانب أبيه ضد حركة عمه عبدالله. وقد ذهب معه الأخ الأستاذ نعمان، وقد صرح البدر في القاهرة بأن الإمام عازم على العمل لتطوير اليمن وتقدّمها والخروج بها من العزلة. ولما سمع الإمام هذه التصريحات جُنّ جنونه، وصادف أني كنت بعدها في مجلس الإمام فإذا به يوجّه إليّ الحديث بصوت مرتفع ويقول: «ألا ترى إلى صاحبك ـ يعني نعمان ـ (متهماً له بأنه الذي صاغ تصريحات البدر) هذا الذي تجاوز حدوده ويزعم أن اليمن منعزلة وغير متطوّرة.. لقد أخطأنا في الركون إليه في مرافقة الولد البدر، ولكننا سنحاسبه حساباً عسيراً».

وحاولت التخفيف من غضبه بدون جدوى، مما جعلني أخاف على الأستاذ نعمان، وتمنّيت أن أجد طريقاً لإبلاغه ولكن عودته كانت أسرع من ذلك، وقد عاتبه الإمام فأحسن التخلّص وأيّده البدر، ولكنه ظل قلقاً، وانتهز أول فرصة يخرج بها من اليمن ليطير إلى القاهرة. وهناك التقى بزميله الشهيد الزبيري. وأرادت القاهرة أن تكفّر عن موقفها المؤيد للإمام، فأفسحت لهما المجال لمعاودة نشاطهما ضد الوضع الإمامي، فأصدرا أعداداً من صحيفة «صوت اليمن» كما ألقى الزبيري عدة أحاديث من «صوت العرب» أقضّت مضجع الإمام، فأرسل إلى عبد الناصر يهدّده بأنه إذا لم يوقف نشاطهما فإنه سوف ينضم إلى «حلف بغداد»، مما جعل عبد الناصر يؤثر مهادنة الإمام ويأمر بإيقاف نشاطهما، وقد كان ذلك مأخذاً آخر لأحرار اليمن على ثورة عبد الناصر التي كانوا يعلقون عليها كبير الآمال. وقد حققت ذلك بعد قصيدة الإمام ضد الاشتراكية وحل عبد الناصر للاتحاد، ومجيء ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢.

اليمن بين حلف بغداد وعبد الناصر

ملنا بعد أحداث ١٩٥٥ إلى السكينة فترة من الزمن، وما أن ابتعد عنّا شبح المشانق حتى عاودنا التفكير فيما يجب أن نفعله لإنقاذ اليمن مما تعانيه. واجتمعت مع مجموعة من الإخوان منهم الشيخ أمين عبد الواسع نعمان والشيخ الشهيد حميد الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم، وتدارسنا الوضع الذي يزداد تدهوراً. وكان الإمام قد ربط كل شيء بشخصه واحتجب بفعل الإدمان على المورفين، وقد توصلنا إلى وضع برنامج عمل وطني تم إرساله إلى الإخوان في صنعاء وإب والحديدة والقاهرة[1].

---

(١) لا يزال نص هذا البرنامج موجوداً، وهو يقع في عدة صفحات شرحنا فيه أمراض الوضع وما يجب عمله للتخلص منها. وفي البند السابع النص على وجوب التخلص من النظام الملكي وإعلان الجمهورية.

كان السباق على أشدّه بين عبد الناصر وأركان حلف بغداد على كسب اليمن والسعودية. وقد حاول الرئيس عبد الناصر إقناع الإمام أحمد والملك سعود بأن يعقدا معه حلفاً عسكرياً دفاعياً، وقد اقتنع سعود بذلك ـ على الأرجح ـ بسبب العداء التقليدي بين الأسرتين الهاشمية التي كانت تحكم العراق والأسرة السعودية، بينما استجاب الإمام أحمد لذلك مدفوعاً بالحرص على مهادنة عبد الناصر، سداً لسبل العمل في وجه الزبيري ونعمان ومن معهما ضده. وفي ٨/ ٩/ ١٣٧٥ الموافق ١/ ٤/ ١٩٥٦م سافر الإمام إلى جده للالتقاء بالملك والرئيس عبد الناصر، وأخذت عضواً في الوفد. ولا داعي لسرد سير المحادثات وما تم من الاتفاق. ولكني أذكر أن الوفد اليمني اقترح تبادل رسائل بين الإمام والرئيس والملك سعود، وتنص على الوعد من الرئيس عبد الناصر والملك سعود بأن تقف حكومتاهما بجانب اليمن لاسترداد الشطر الجنوبي من يد الاستعمار البريطاني، فوافق الملك سعود على ذلك. ولكن الرئيس عبد الناصر أبدى تحفّظاً خلاصته أن الحلف حلف دفاع، وأنه بهذا سيصبح هجومياً، لأن لفظ «الاسترداد» يعطي هذا المعنى. ووافق الإمام على تعديل الرسائل بحيث تتضمن تأييد مصر والسعودية لليمن إذا حصل عدوان من بريطانيا على اليمن المستقل.

وبرغم أن ملاحظات الرئيس عبد الناصر «قانونية» إلا أنا وجدنا في أنفسنا. وقد قلت للقاضي محمد العمري رحمه الله: أرأيت؟ إن هذا الموقف لا يتلاءم مع ما يدعيه عبد الناصر من محاربة الاستعمار، بينما كان سعود ذو الارتباطات الخارجية أكثر استجابة للمقترح اليمني. فهل فعل ذلك غافلاً عن ملاحظة الرئيس، أم أن كرم الضيافة دفعه إلى ذلك؟ فقال العمري: قد يكون هذا مما لا يفوت على سعود ملاحظته، وإنما أوكل إلى الرئيس المصري إبداءها مجاملة منه للضيف كما أشرتم.

هدية الملك سعود (امرأة ١)

وعند عودتنا أهدى الملك سعود للإمام أحمد إحدى محظياته، وهي سيدة عربية مسلمة سورية تعرفنا على أسرتها في منطقة صلنفد في عام ١٩٧٥، وقد أثار هذا التصرف

استغرابنا جميعاً، إذ كيف يهدي الملك للإمام امرأة حرّة؟ وعندما بلغ الإمام استنكارنا للهدية «البشرية» عمد إلى الاتصال بأسرتها وعقد عليها كزوجة شرعية «رابعة».

موقف الإمام من العدوان الثلاثي

وجاءت أحداث ١٩٥٦ بالعدوان الثلاثي على مصر، وقد استقبله الشعب اليمني بالألم والفزع على مصر عبد الناصر التي كانت كل الشعوب العربية تتجه إليها. ولكن الإمام الذي كان يمتدح عبد الناصر ويبالغ في الثناء عليه حسب أنها قد جاءت في نهايته على يد إسرائيل ودولتين كبيرتين هما فرنسا وبريطانيا، فصمت صمت القبور إزاء الحدث، إذ لم يصدر بياناً يستنكر فيه العدوان باسم اليمن. ونصحناه بأن من الواجب أن تقول اليمن كلمتها في شجب العدوان على قطر عربي مسلم، فلم يرد، وفعل ما فعلناه الأستاذ محمد عبده نعمان، وكان من العاملين ضد الاستعمار البريطاني، نعم لم يكتف بذلك بل ردّه على محمد عبده نعمان رداً أفرغ فيه كل ما في صدره من حقد على عبد الناصر، هذا العسكري الجاهل المغرور ـ على حد تعبيره ـ الذي أوقع مصر في المحنة وأعادها إلى عهد الاحتلال والاستعمار. وكان كلامه يعطي معنى الكلمة الشعبية «يستاهل». وقد عرض علينا الأستاذ محمد عبده الجواب بخط الإمام ولم يستحسنه السيد أحمد زبارة فنبه الإمام إلى ذلك، وفي اليوم التالي أردت أن آخذ له صورة ولكن الإمام كان قد استعاده منه.

مشروع أيزنهاور

وفي شوال عام ١٣٧٦ مايو (أيار) ١٩٥٧م وصل إلى اليمن سفير أمريكا في جدة يحمل إلى الإمام مشروع «أيزنهاور» المشهور، ويعرض في نظير الموافقة عليه مساعدات أمريكية كبيرة. وخشينا أن يقبل الإمام الدخول في هذا الحلف ويتلقّى مساعدات كبيرة تمدّ في عمر وضعه المتردي. هذا من جهة ومن جهة أخرى أن ترتبط اليمن بأحلاف عسكرية استعمارية، وكان لا بد أن نفعل شيئاً في سبيل إفشال مهمة السفير، فرفعت للإمام نصيحة أشدت فيها بمواقفه في محاربة الاستعمار في

جنوب البلاد، ولكن الدخول في هذا الحلف سيقضي على السمعة الطيبة في هذه المواقف المناهضة للاستعمار. ثم شرحت وقلت: إن الكسب المادي المنتظر من المساعدات الموعود بها ـ إذا جاءت ـ لا تساوي الخسائر المتمثّلة بـ «**أولاً**» خسارة صداقة روسيا والدول الاشتراكية التي وقف رئيسها يعلن أنها ستقف إلى جانب اليمن إذا اعتدت عليها بريطانيا. «**ثانياً**» سيكون للقبول ردّ فعل سيء لدى الدولتين الشقيقتين مصر وسوريا، بعد أن أذاعوا نبأ رفضكم له وأشادوا بموقفكم وباهوا به غيركم من الملوك والزعماء. «**ثالثاً**» إن المشروع قد وسم أنه مشروع استعماري، وجميع الشعوب العربية ترفضه، وقد جرّ في لبنان والأردن إلى سفك الدماء. والمعروف عنكم مناهضة الاستعمار بكل أشكاله، وفي قبول المشروع ما يؤثر على هذه السمعة الطيبة، رفعت هذه النصيحة في ٢٩ شوال ١٣٧٦هـ مايو (أيار) ١٩٥٧م، وقد رفض الإمام أخيراً الدخول في الحلف.

الاتحاد بين مصر واليمن

وجاءت فكرة الاتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة. وفي رجب ١٣٧٧هـ الموافق فبراير (شباط) ١٩٥٨م أبرق الإمام للرئيس عبد الناصر بطلب أن لا ينفضّ الجميع حتى يضمّوا اليمن إلى دولة الوحدة في اتحاد فيدرالي، فاستجاب عبد الناصر لذلك، وطلب إرسال وفد للاتفاق على بنود الاتفاقية. وقد جمع الإمام جميع من في مقامه من العلماء وذوي الرأي من رجال دولته، وكنت أنا بينهم، وقد كان المجتمعون أن يجمعوا على أن في ذلك خطراً على العرش وعلى اليمن، وكان أشدهم معارضة المرحوم السيد محمد عبد الرحمن الشامي رحمه الله. ومع علمي بأن الإمام يهدف بهذا الاتحاد إلى سدّ الأبواب والنوافذ أمام حركة الأحرار الموجودة في القاهرة بزعامة الزبيري ونعمان، فقد كنت أرى أن في الاتحاد خروجاً باليمن من عزلتها وتحقيقاً لبعض ما يطلبه الأحرار. وكنت أضع في اعتباري أن الرغبة قد لا تكون صادقة وأن لا ينفذ من بنود الاتفاق شيئاً ولكني قدرت أن تنفيذ

بعضها فيه مصلحة أقلُّها الخروج من العزلة والاحتكاك بالخارج والتفاعل مع ما فيه من حركة وتطور. ولكني لزمت الصمت لأن بعض الإخوان سامحهم الله يسبغون عليّ صفة الناصرية على سبيل المزاح. ولكن الإمام وجّه الخطاب إلي قائلاً: وأنت ما رأيك؟ فقلت رأيي أنكم ما دمتم في حرب غير معلنة مع بريطانيا، فإن في الاتحاد قوة واستجابة لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ...﴾ وهو إذا لم ينفع لم يضرّ. ولما كانت الرغبة متوفرة لدى الإمام للدوافع التي أشرنا إليها، فقد طرح آراء المخوفين جانباً ورجح الانضمام، وسافر الوفد برئاسة وليّ العهد البدر في ١٥ رجب ١٣٧٧هـ الموافق ٤ فبراير (شباط) ١٩٥٨م، وقد كنت من ضمن الوفد، ولا داعي فيما أرى إلى شرح المحادثات ونص ما تم عليه الاتفاق وإنما شرحت ما شرحته استجابة للسؤال عن النشاط الشخصي مع ما أعتقده من أن السلبية في تنفيذ هذا الاتحاد وما أعقبه من مواقف دفعت عبد الناصر إلى إعلان حله، كل ذلك كان له أثر في مساعدة مصر لثورة سبتمبر (أيلول) ونجاحها.

ولا بد أن أشير أيضاً إلى أنه في يوم الأربعاء ١٦ شوال اتصل بي الأخوان نعمان والزبيري عن طريق أحد أولادنا الدارسين في القاهرة يطلبان اللقاء، ولكن كيف لي بذلك ونحن لا نتحرك إلا مجتمعين مع رفيقيْ السيارة الخاصة بنا، وهما السيد محمد أحمد الشامي وأمير الجيش الدفاعي الضميم.

ولكني لم أعدم الحيلة، فقد طرحت عليهما أني أريد القيام بزيارة أولادنا الطلاب في سكنهم، وعرضت عليهما إذا كانا أو أحدهما يرغبان في المجيء فرغبا عنه.

كنا قد اتفقنا على اللقاء في المقطم، وذهبت إلى هنالك حيث وجدت الأخوين في انتظاري، وبعد السلام والسؤال عن الحال، قالا لا نريد أن نؤخرك كثيراً تجنّباً للاشتباه. ولكن كيف غاب عنكم ما في هذا الاتحاد من الخطر على الحركة الوطنية؟ إن الإمام أحمد لا يريد اتحاداً، وإنما يريد أن يضع الحواجز أمام العاملين في الحقل الوطني. فقلت لهما أنا أعرف دوافع الإمام إلى هذا الاتحاد الذي سيولد ميتاً، ولكني

أؤكد أن انعقاده أكثر جدوى على الحركة، لأنه إذا نُفِّذ فسيفيدها في رفع الحواجز وتدمير الأسوار التي تحيط بالشعب اليمني، فيتحقق الاحتكاك والتفاعل. وهو مع ذلك لن يضع أمام العمل الوطني من العقبات أكثر مما هو قائم الآن، وإن كانت الأخرى وحمّد الإمام الاتحاد، كما هو متوقّع، فلن تمضي أشهر حتى ينكشف القناع وتعرف القاهرة أنه إنما يستغفلهم ويسخر منهم. ثم افترضوا أن ما قلته مجرّد تفاؤل فما الذي ترونه في يدي أستطيع أن أغيّر به مجرى الأحداث؟ استمع الأخوان إلى كلامي وقالا: صحيح أن الاتحاد لن يضع أمامنا من العقبات أكثر مما وضعه تهديد الإمام بالانضمام إلى حلف بغداد، وقد قمنا من جهتنا برفع رسالة لعبد الناصر أكدنا له فيها أن الإمام لا يؤمن بالوحدة، وإنما فعل ما فعله خداعاً وشراءً للسكوت عنه.

مع الإمام في روما

وجاءت رحلة الإمام إلى إيطاليا للاستشفاء في ٨ شوال ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٥٩م كان الإمام قد اطمأن تماماً بعد الاتحاد بينه وبين عبد الناصر، وبعد الاتفاق مع بريطانيا على المهادنة ـ فاتنا أن نشير إلى هذا الاتفاق ـ فاعتقد أنه قد سدَّ جميع منافذ النور فعاد إلى الركون إلى الراحة والإسراف في استعمال المخدرات، وعلى رأسها المورفين الذي كان يلجأ إليه كلما استفاق ضميره لينبهه إلى ما قام به من إسراف في سفك دماء المواطنين اليمنيين، وفيهم ثلاثة من إخوانه أبناء أبيه. وقد كان يفزع إلى المورفين لينسيه جرائمه، ونصحه الأطبّاء بالانتقال إلى مصحة في أوربا، وأنه إذا لم يتقبل قرارهم فإن سينتهي في خلال أشهر. ووافق بعد لأي واختار إيطاليا وسافر ومعه ما يزيد على (٦٤) معظمهم من السيدات وقد كنت مع هذا الوفد. وقد بقي الإمام في روما قرابة أربعة أشهر وأشير باختصار إلى الأحداث التي وقعت في اليمن آنذاك، وما قام به الجيش في تعز من تحرك وقتل أحمد وعلي ابني محسن الجبري، وما قاموا به في صنعاء من مهاجمة بيت أحمد العمري وإحراق مكتبته، مما اضطر البدر إلى أن يستدعي القبائل الذين دخلوا

بالآلاف فزادوا الطين على الوضع بلّة، ثم استدعاؤه لضباط مصريين للتدريب، وكل ذلك مما لا يرضاه الإمام.

العودة من إيطاليا

وقد غضب الإمام وقرّر التحرك، وتم ذلك في محرم ١٣٧٩هـ/ يوليو (تموز) ١٩٥٩م وهو يكاد يتمزق غضباً. وكان يتوعّد في من توعد ابنه البدر، وقد قمنا بطائرة، وقام هو مع كثير من العائلة بأخرى، وقد واصلنا السفر إلى القاهرة وانتظرنا وصول طائرة الإمام، فلم تصل، وتبيّن أنه قد فرض على الطيار الإيطالي العودة به إلى روما، بعد أن تجاوز أجواء أثينا. وقد أبدى الطيار ممانعة وزعم أن وقود الطائرة لا يكفي للعودة، ولكّنه هدّده ببندقيته الجرمل التي لا تفارقه في سفر ولا حضر، فاضطر الطيّار للعودة، وسجل الإمام لنفسه الأولية في خطف الطائرات. وقد اختلفت التفسيرات للبواعث لهذا الإجراء الذي يدل على أنه لا يمتلك كل قواه العقلية، فقيل إن السبب هو أن أخاه سيف الإسلام الحسن كان معه في الطائرة وهو لا يريد أن يعود به إلى اليمن، وقيل بل إن رسائل جاءته من اليمن تقول أن ولي عهده قد اتفق مع الرئيس عبد الناصر على أن يحتجزه في القاهرة. وقد بقي في روما ثمانية عشر يوماً ونحن ننتظره في القاهرة، وقد تخلّص من أخيه الحسن فأرسله إلى أمريكا محل عمله، ولم يعد على طائرة كان لا بد لها من أن تهبط في مطار القاهرة، بل جاء على باخرة رست في ميناء بور سعيد، بحيث انضم إليه كل من كان ينتظره من الوفد فيها. وجاء عبد الناصر رحمه الله لتحيته ولم يقم لمصافحته وقدّر عبد الناصر أن المرض هو الذي أقعده عن القيام، ولكنه حينما جاء أمين الحسيني ثم شيخ الأزهر قام لهما، وقبل ذلك كان أصر على ألاّ يقابل عبد الناصر إلا وبندقيته الجرمل في يده. وعجز ممثّله في الاتحاد السيد حسن بن إبراهيم أن يقنعه بالتخلّي عنها حتى انبرى الطفل المدلل «محمد محمود» فقال أنا سأحملها وأقف بجانبكم لتكون في متناول يدكم، فوافق وقد اجتمع بعبد الناصر في إحدى الغرف زهاء ساعة ولم يعرف ما دار بينهما.

مملكة العجائب!

وقصة أخرى تصوّر كيف كانت الأوضاع في عهد الإمام الذي يعيش في أواسط القرن العشرين. ولقد وصلنا إلى مقربة من ميناء الحديدة التي يبنيها الاتحاد السوفيتي في الحديدة، ولم تكن آنذاك مهيأة لاستقبال الباخرة التي عليها الإمام، ولا يوجد في البلد زوارق يمكن أن توصل الإمام ومن معه إلى الميناء. وانتظرنا كثيراً، مما دفع بقائد الباخرة إلى التهديد بأن يواصل السفر إلى عدن وينزل من عليها في ميناء عدن، ولكن المترجم الأستاذ علي حمّد تدخّل فطلب إلى القبطان إنزال قاربين أو ثلاثة من قوارب النجاة الموجودة على ظهر الباخرة لنقل الإمام والعائلة إلى الميناء وتعود ويواصل السفر بمن بقي إلى عدن. وقد تمّ ذلك ونزل الإمام ومعه بعض العائلة على قارب وأنزل قارب آخر كنا عليه مع بعض العائلة، وكم كان خجلنا كبيراً أمام الركاب الأجانب وأمام القبطان والبحارة حينما يعرفون أن ملك البلاد لا يجد في مملكته زورقاً يحمله إلى الميناء. وقد لاحظنا عليهم الاستغراب والتعجب من مملكة العجائب، وكانوا يتكلمون ويضحكون. وقد سألنا الأستاذ علي حمّد رحمه الله عما يقولون فقال إنهم يقولون «هل هؤلاء من بني الإنسان؟» وقد وصلنا إلى الميناء ولجأنا مع العائلة إلى «عريش» نصبه العمال للوقاية من حرّ شمس تهامة، ولم نجد في الميناء سيارة واحدة لتحملنا وتحمل عائلة الإمام إلى «دار البوني». وبعد نصف ساعة جاءت سيارة جيب آثرنا بها العائلة. وبعد ساعة جاءت أخرى حشرنا فيها حشراً، وكان الفرق الشاسع بين روما والقاهرة وبين الحديدة مما جعل خاصة الخاصة يلعن الوضع ومن على رأسه ومن صبر عليه وقد قلنا آمين.

خطبة الإمام في الحديدة

وفي اليوم التالي حشر أهل الحديدة ومن فيها ليستمعوا إلى خطبة الإمام التي ألقاها فيهم وقال فيها «هذا الفرس وهذا الميدان» وهدّد القبائل الذين دخلوا صنعاء من حاشد وبكيل، واستدعى القاضي أحمد السياغي ليذهب إلى الصنعاء ليأتي

بشرف المروني الضابط رحمه الله وقد واجه السياغي بقوله: أين كنت يا «قحطاني» غائباً عن هذا المهرجان العظيم؟ لقد كان من المفيد لك أن تسمع الخطبة. ورأيت وجه السياغي وقد امتقع ولم تبق به قطرة دم وأردف قائلاً: اذهب إلى المطار حيث تنتظرك طائرة تقلّك إلى صنعاء لتأتيني بشرف المروني والضباط المتمرّدين في غيابي. وانفرجت أسرة السياغي لأنه قد وجد الفرصة للخلاص وذهب إلى صنعاء وبعث بالمطلوبين وفرّ إلى بيحان إلى أميرها الهبيلي المشمول بالحماية البريطانية.

وكان في إمكان السياغي أن يتجاوز تلك الكلمة التي أرعبته، ولا سيما بعد أن كلّفه بعمل يقوم به للمبارزة، ولكنه سمع في المساء من الإذاعة تلك الخطبة النارية التي ألقاها الإمام في المهرجان وقال فيها إنه سيشدخ بسيفه رؤوساً هدّامة ويجدع أنوفاً متغطرسة، وعرّض بمن يطمحون إلى السلطة عن طريق إثارة الاضطرابات والتظاهر بالإصلاح والوطنية. وقد سلّ سيفه أمام الجماهير مؤكداً أن سيفه سيجد مرتعاً خصباً في رقاب هؤلاء الذين توسوس لهم نفوسهم ويطمحون إلى انتزاع الأمر من أهله، وأن من كان يطمح إلى ذلك، فما عليه إلا أن يأتي «وهذا الفرس وهذا الميدان ومن كذّب جرّب».

الترتيب لإنقلاب آخر

وقد كان لهذه الخطبة أثرها في النفوس، فغادرت القوات الشعبية ومشايخها صنعاء في ليلة واحدة، ولم يخرج بعضهم من أبواب صنعاء بل تسلّقوا أسوارها هاربين، ولكنهم بعد ذلك شعروا بالهوان لفرارهم من صنعاء لمجرد سماع صوت «أحمد يا جناة» فعاد بعض المشايخ إلى صنعاء وعقدوا اجتماعاً سرياً حضره القاضي عبد السلام صبرة والقاضي الشهيد عبدالله بن محمد الإرياني والشيخ حميد الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم والنقيب عبد اللطيف ابن قائد والضابطان عبدالله السلال وعبدالله الضبي والضابط حمود الجائفي، ووضعوا خطتين أحداهما ترمي إلى اغتيال الإمام أحمد في «السخنة» وانتدبوا لذلك الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر والنقيب

علي أبو لحوم وأخاه محمداً والنقيب عبد الولي القيري والشيخ علي ناصر طريق والشيخ جار الله بن علي ناصر القردعي وانضم إليهم الأستاذ سعيد فارع. والخطة الثانية أن يعملوا على إيجاد تفاهم بين رجالات حاشد وبكيل لجمع كلمتهم وإقامة عهود ومواثيق بينهم ودمج من يعتمد عليه من العلماء والمثقفين فيهم. وبعد انتظام العقد تقوم حاشد وبكيل بطرد موظفي الحكومة، وقد كلّف الشيخ سنان والزايدي بالعمل في خولان والنقباء حمود محمد أبو راس وعبدالله دارس وزيد مهفل ببرط وعلي بن ناجي الشايف في الجوف والشيخ حسين الأحمر وابنه حميد في حاشد. وقد عرف الإمام هذه التحركات فوأدها في مهدها وأخرج الجيوش إلى حاشد وخولان والجوف وبرط وبالحيلة استطاع القبض على الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد والنقيب عبد اللطيف بن قائد وبعثهم إلى سجن حجة. وهناك أعدموا، وتمكن الشيخ سنان وغيره من الفرار. أما أولئك الذين وكل إليهم اغتيال الإمام فقد فرّ منهم من فرّ واعتقل عبدالله بن حسين في سجن الشرف حتى أطلقته الثورة واعتقل سعيد فارع في حجة ولا ندري كيف تمكن من الفرار، فتبعه حراس السجن فدافع عن نفسه وسقط شهيداً.

توليتي لإمارة الحاج اليمني ولقاء مع الأمير فيصل

وفي ذي الحجة ١٣٥٩ أمرت من الإمام بإمارة الحاج اليمني، وكان الأخ القاضي محمد العمري رحمه الله بما لديه من خبرة بدخائل العلاقات بين اليمن والسعودية بحكم توليه وزارة الخارجية مدة طويلة قد قال لي: إذا عنّ لكم الحديث مع أحد مع المسئولين في المملكة عن شئون اليمن وأوضاعها الداخلية، فلا تتكلموا مع غير الأمير فيصل، فإنه رصين، وإذا لم يوافقكم على رأيكم فلن يبلغ عنكم كما يفعل سعود الذي سبق له أن أبلغ الإمام عن الأستاذ نعمان والسيد أحمد زبارة. وقد تذكرت كلام العمري وأنا مع الأمير فيصل منفردين، فطرقت الموضوع مبتدئاً بما يجري في الجنوب من إقامة دولة تجمع الإمارات والمشيخات. وانتقلت إلى شرح سؤال الأوضاع

في اليمن وما ينتظر لهذا البلد من تغييرات وما ينتظر من المملكة من الوقوف الموقف الذي يوجه الدين والجوار، ففهم مرادي. وقال المملكة مع اليمن يهمها أمرها، ونحن ننصح أن يعمل المخلصون لسيف الإسلام الحسن. أما البدر فهو مصري شيوعي ونحن نخاف على اليمن من اشتراكية مصر التي لا تختلف عن الشيوعية فكلها حرب على الدين ونخشى من الاتحاد المعقود مع مصر، فقلت له وما يخيفكم منه وقد خلق ميتاً ولا يزال حبراً على ورق؟ فقال ولكن لا تَنْس أن في إمكان البدر، هذا الأمير الأحمر، أن يستند إليه ويطلب المساندة من مصر فيجرّ عليكم الوبال. وغنمت فرصة ما أبداه من تخوّف من مصر وقلت له إذن عليكم أن تؤيدوا دعاة الإصلاح لتفادوا اندفاعهم أيضاً إلى مصر. وأما ما أشرتم إليه سموكم من التعاون مع الأمير الحسن فأصدقكم الحقيقة، وهي أن حكومتكم ستغلط غلطة كبيرة إذا حاولت الوقوف بجانب أي من أفراد الأسرة الحميدية، لأنها قد أصبحت مرفوضة شعبياً. فقال إذن اختاروا من ترونه من غيرهم ولكم علينا المساندة، ولنا عليكم شرط واحد: وهو أن لا يتغير النظام إلى جمهورية، فإذا أعلنتموها فإني أقول لكم من الآن بأنا لن نقف مكتوفي الأيدي، وسوف نحارب حتى النهاية. فتداركت الأمر وقلت له الحقيقة أن الرأي لم يستقر حتى الآن على شيء محدد، ولكن ما الذي يهمكم من التسمية ما دام النظام الذي سيقوم يخطب ودّكم ويحرص على التعاون معكم أكثر من تعاون الإمام أحمد، فأجاب بل يهمني جداً كما يهمني أن يكون الأمر واضحاً لديكم من الآن.

وقد لمست من كلامه أنه يعني ما يقول، ومع هذا فقد كان في تقديري أنه لولا ما كان من الاستفزازات التي تعمّدها البيضاني وتهديده بضرب الرياض وجدّه بالقنابل وطرده المفوض السعودي لكان في الإمكان أن تسلّم السعودية بالأمر الواقع لو تم إرسال وفد لتطمينهم بأن ثورة اليمن لن تتجاوز حدودها.

وقد حاولنا ذلك بعد الثورة بشهر واحد، أنا والأستاذ الزبيري ونعمان، ووافق عليه الرئيس السلال، وعرضناه على عبد الناصر فلم يرقه، لأنه كان يريدها

ضربة للسعودية ردّاً على انفصال سوريا وما جرى في مؤتمر شتورة، ولكنه تذكّر ذلك بعد سنوات في أعقاب ذهاب من ذهب إلى الطائف وعقد اتفاقية الطائف وقال قبل سفره إلى جدة وبمحضر من الرئيس السلال والفريق العمري وأنا والأستاذ نعمان: لو سمعنا النصيحة المبكرة لكنا وفرنا على أنفسنا ولما ذهب المشايخ ليزايدوا عليّ عند فيصل.

محاولة اغتيال الإمام أحمد

وجاءت حادثة محاولة العلفي واللقيه والهندوانة لاغتيال الإمام أحمد في ١١ شوال ١٣٨٠/ فبراير (شباط) ١٩٦١م. ونحن في تعز فوجئت بمجيء نائب الإمام الوشلي إلى منزلي في الصباح الباكر ولم يكن لي عهد بمجيئه في مثل تلك الساعة، وكان الانكسار بادياً على وجهه والدمع يكاد يطفر من عينيه، فقلت ما الخبر؟ فقال لقد حاولت مجموعة من الضباط البارحة قتل الإمام عند زيارته للمستشفى، وقد أطلقوا عليه الرصاص فعلاً وأصابوه بخمس رصاصات وحالته خطيرة جداً، ونريد التشاور في الذي يجب أن نفعله هنا إذا مات الإمام وولي العهد غائب. ولم أشأ أن أبدي رأياً يحسب علي فقلت له علينا أن لا نتعجّل الأمور وأن نتوجّه إلى الحديدة لزيارة الإمام والإطلاع على الأمور من قرب. ويكفي الآن أن تستدعي اللواء الحوثي والعقيد الآنسي وقائد «العكفة» وتسرّ إليهم بما حدث وتوصيهم باليقظة والاستعداد للطوارئ. واتجهنا إلى الحديدة وانضم إلينا العلامة محمد الذاري وزيد عقبات وغيرهما من رجال الدولة في تعز. وفور وصولنا دخلنا على الإمام وكان مفرج الشاذروان الكبير قد تحول إلى مستشفى وفي وسطه سرير مرتفع وإحدى قدميْ الإمام مربوطة إلى أحد أعمدته والضمادات تغطي معظم جسده. وتقدمنا إليه منكسرين، ولم يصافحه أحد بل اكتفينا بالدعاء وتلاوة الفاتحة ولما رآني تحرّك وقال: أرأيت أعداء الله كيف لم يحكموا التسديد، ولو أحسنوه لكانوا قد أراحوني وأراحوكم. فقلت له: معاذ الله بل تبقون بيننا يحفظ الله بكم أمن البلاد. لم

ألق أنا كبير بال لما قاله الإمام، ولكن الإخوة استهولوا أن يقول الإمام: «وأراحوكم» ولو أني انسقت وراء تشاؤمهم لغادرت الحديدة إلى الخارج كما فعل السياغي. ولا أنكر أني قد شعرت بالخوف ولا سيما بعد أن سمعت صديقي مدير الإذاعة الموكلية محمد بن أحمد الشامي يعمد إلى إثارة حنق الإمام على المطالبين بالإصلاح وسجناء حجة ودعوته إلى تصفيتهم، ولكن الإمام أحمد لم يستجب لذلك، وأمر بتشكيل محكمة من العلماء والضباط فيهم السيد أحمد زبارة والسيد يحيى الكبسي والعقيد السلال والعميد غالب السرى وبعض الضباط الذين لم يشتركوا في ثورة ١٩٤٨ لمحاكمة اللقية والهندوانة. أما العلفي يرحمه الله فقد دافع عن نفسه حينما أرادوا القبض عليه وقتل بعد ذلك. وقد علمنا أن اللقية والهندوانة يُعذَّبان ليدليا بارتباطاتهما وأسماء المخطّطين للمؤامرة، وقد اعتقل في الحادث السيد حسين المقدمي والدكتور فضل الله الزاقوت السوري الذي كان يعمل بالمستشفى بتهمة اتصالهما بالعلفي وزملائه.

لم يكن لي أيّ علاقة مباشرة بأيّ من الشهداء الثلاثة، ولكن التركيز من الإذاعة على سجناء حجة واقتراح السيد يحيى الكبسي رحمه الله أحد أعضاء المحكمة بإعادة سجناء حجة إلى السجن، ثم ما سمعناه عن تعذيب الشهيدين ليدليا بأسماء المخطّطين وتلك الكلمة التي خصّني بها الإمام أحمد - كل هذه مجتمعة جعلتني أتوجس خيفة من أن يدفع التعذيب بالمعذبين إلى أن يدليا بأسماء ليتخلصا من العذاب. وكنت متأكداً أن بعد المرء عن المحاولة والقائمين بها لا تعطي البريء حصانة عن الوقوع في شباك التهمة. وكنت حائراً بين النزوع إلى الفرار أو الاستسلام للأقدار. وقد زادت مخاوفي حينما استدعيت إلى السخنة حيث يقيم الإمام ولكنه انفرج التوجس حينما قيل لي إني قد عُيّنت أميراً للحجّ في ذلك الموسم، وسافرت إلى مكة وأنا أعتزم أن أعمل على خلق مبرّر لتأخري حتى تتم المحاكمة ونتأكد من أن الشهيدين لم يُدليا بأسماء. وقد تم لي ذلك، فبعد أداء مناسك الحجّ رفعت برقية للإمام أشكو فيها عروض أمر اضطرني للسفر إلى لبنان للمعالجة.

وساعدني الوزير المفوض القاضي حسين مرفق مشكوراً بتأكيد صحة العذر وضرورة الإسعاف للمعالجة فجاء السماح بذلك. وبقيت في لبنان حوالي شهرين حتى جاءتني رسالة من القاضي علي بن يحيى الإرياني يخبرني بأن الشهيدين اللقية والهندوانة لم يدليا باسم أحد برغم ما تعرضّا له من التعذيب بل صمدا صمود الأبطال، وقد عدت بعد ذلك إلى الوطن.

لقاء مع الملك سعود

وقد يكون مما يمتّ إلى موضوعنا بصلة أن أقول: إني عرفت في حج هذا العام أن الخلاف بين الأمير فيصل وأخيه الملك سعود قد احتدم. وقد أبعد الأمير عن رئاسة الوزراء ولم يعد يحضر الاحتفالات والمواسم الرسمية، وبلغ به القرف إلى أن يقتلع لوحة سيارته الملكية ليبدلها بلوحة عادية كأحد المواطنين. ولكني لاحظت حينما التقيت به في مسجد الطائف أن مجموعة من الأمراء يلتفّون حوله. ولما كان قد حدث خلاف بين الإمام أحمد وبين الملك سعود على وضع شركة أرامكو التي تبحث عن البترول - أعلاماً في الربع الخالي العائد إلى اليمن، فقد أطمعني ذلك بإمكان جسّ نبض الملك سعود. وتناسيت تحذير القاضي محمد العمري رحمه الله وطلبت مقابلة خاصة وبدأت أكلم الملك عن تردّي الأوضاع في اليمن وأن أحداثاً قد تحدث لا سيما وبريطانيا في الجنوب تساند حكومة الاتحاد التي تعمل على جرّ بعض المناطق الجنوبية إليها تحت شعار طائفي. وقد فهم الملك ما أريد أن أقوله فقال: أنا كملك مسلم بيني وبين الإمام أحمد عهود لا يمكن نكثها. وأخذ يؤكد وفاءه، وتذكرت نصيحة المرحوم العمري وحمدت الله لأني لم أتورط إلى النهاية. وتداركت ذلك بقولي: «هذا معروف عندنا ولذلك لجأنا إليكم لتعملوا على النصح والوساطة بين أمراء البيت المالك حتى لا يجر خلافهم إلى كارثة للبلاد وتسير بها إلى هاوية الاستعمار» فعقّب جلالته بقوله: «أنا أعرف أنكم تخشون أن يميل إخوتنا الشوافع إلى الدولة الجديدة بحكم أنها دولة شافعية وأنا أطمئنك بأن إخواننا

الشوافع في اليمن أصدقاء لنا ولا يمكن أن يقدموا على شيء مثل هذا إلا بعد استشارتنا، ولن نسمح لهم بذلك». ووجدت المخلص فقلت: «الحمدلله، ما دام الأمر كما قلتم فنحن مطمئنون» وقلت في نفسي «بلها تدلني على سرها» وقد عرفت أن قلب الرجل على طرف لسانه، ومن باب الاحتياط فقد شرحت للإمام لقائي بالملك عن طلبه وأنه جرى حديث حول ما يبيته الإنجليز بإقامة دولة الاتحاد، وقلت إني لمست أن الملك مرتاح لقيام هذه الدولة وإليكم تفسير هذا الارتياح.

الدعوة إلى تكفير عبد الناصر

في ٩ ربيع الأول ١٣٨١ الموافق ٢٠/٨/ ١٩٦١م ونحن في الهيئة الشرعية جاء من يدعوني أنا والسيد أحمد زبارة رئيس الهيئة إلى الإمام، وذهبنا فوجدنا أحد الصحيين يجهد في حقن الإمام بعضده بحقنة المورفين المعتادة. وبعد أن ابتهج توجّه إلينا يقول: «ما رأيكم بعبد الناصر؟» فلزمت الصمت. وقال رئيس الهيئة: «من أي ناحية؟» فقال: «هل هو كافر لأنه يصادر أملاك الناس ويخالف الشريعة؟» فقال السيد أحمد «يا مولانا، إن التكفير خطير، ولا سيما لرئيس دولة مسلمة». فقال: «ولكنه يخالف القطعي والمتواتر كحديث إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت؟» ثم وجّه الخطاب إلي قائلاً: «وأنت ما رأيك يا إرياني؟» وكنت قد اطلعت على مقال للعالم العراقي الصواف نشرته صحيفة «البلاد» السعودية يكفّر فيها عبد الناصر، وكان مستشار الملك سعود الحسيني قد جاء واستقبله الإمام، ولم يذع شيء عن مهمته، ولكنا وقفنا على تفسير لهذه الزيارة من بعض الخاصة أن الملك سعود طلب إلى الإمام استصدار فتوى من علماء اليمن بتكفير عبد الناصر. ولذلك فقد كنت أكثر حذراً فقلت: «أنا أتفق مع السيد أحمد وكون الحديث الذي أشرتم إليه في «الصحاح» لا يخرجه ذلك عن كونه خبراً آحدياً، ولا تكفير ولا تفسيق إلا بدليل قاطع». وتكلم السيد أحمد مؤيداً الرأي. وقد صرفنا الإمام ومعالم الخيبة بادية على وجهه.

وفي اليوم التالي جاء أحد العبيد يستدعيني بمفردي، وتوجّس الإخوان خيفة ولا سيما الأخ عبدالله بن محمد الإرياني رحمه الله وكنا قد شرحنا لهم موقف الأمس، ورافقني العبد إلى باب الغرفة فدخلت على الإمام بدون استئذان فوجدت الدكتور الأمريكي الذي وصل خصيصاً لمعالجته ومعه الأستاذ أحمد مفرح يترجم وقد واجهني الإمام بقوله: «قد أنت شيوعي مه» فقلت أعوذ بالله فقال: «لماذا أعوذ بالله؟ أو لست تدافع عن الشيوعي عبد الناصر؟» فقلت لم أقصد الدفاع وإنما سألتم فأجبنا وحسبناها مذاكرة علمية وقد عودتمونا فيها أن تتقبلوا الرأي المخالف لرأيكم إذا كان معه الدليل، وإذا كان لديكم حجة فمنكم نستفيد» فقال: «ألم يعلن الاشتراكية العلمية ومعناها الشيوعية؟» فقلت: إن عبد الناصر يقول إن ما فعله إنما هو تطبيق للعدالة الاجتماعية التي قالها كثير من المجتهدين، وأول من دعا إليها الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، ونحن لو فرضنا أن عبد الناصر خالف قطعياً ما جاء في القرآن، فإنه لا يجوز تكفيره ما لم ينكر ذلك القطعي، وإنما يعتبر مرتكب كبيرة وإلا لزم تكفير الزاني والسارق والقاتل عمداً وعدواناً، ولا يقول ذلك غير الخوارج ولسنا منهم، وقد فسر العلماء قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.. أن المعنى وهو مؤمن بتحريم الزنا، فقال فما يسمى إذا قلت مخطئ لأنه لو سئل هل ما أقررته مخالف للدين لقال لا بل هو العدالة الاجتماعية.

كان الحديث يجري بيننا والأستاذ مفرح يترجمه للدكتور الأمريكي، وكان آخر ما قاله الإمام: «الظاهر أن الحق معكم». واستأذنت وخرجت فوجدت على الباب الدكتور والمترجم وقال لي أحمد مفرح أن الدكتور يقول إنكم رجل عنيد، وأنه يخاف عليكم غضب الإمام ولكنه أعجب أخيراً بديمقراطيته فقلت له: لا عناد ولا ديمقراطية، وإنما هي مذاكرة علمية نعتادها مع جلالته.

مؤتمر جده

وجاء موسم الحج وتعيّن القاضي محمد عاموه أميراً للحج اليمني، وحسبت أني قد خلصت من الإحراجات، ولكن الإمام استدعاني يوم ٧ ذي الحجة، وهناك وجدت وزير الخارجية حسن إبراهيم قال لي: لقد كتبك الله في الواقفين، فقلت ما الخبر؟ فقال ستعرفه من الإمام. ودخلت على الإمام فقال يكون سفرك غداً إلى جدة لحضور مؤتمر الرابطة الإسلامية، قلت له: لقد عرفت مما اطلعت عليه من الصحف السعودية أنهم يهيئون لاستصدار بيان يكّفرون به عبد الناصر وأنتم تعرفون رأيي في الموضوع، ولا أريد أن يقول السعوديون مندوبكم خالف اقتراحاتهم، فلو تفضلتم بتكليف أمير الحج بحضور المؤتمر، فقال: قد حاولنا فقالوا إنك عضو مؤسس ويلزم حضورك، ولا مانع أن تقول رأيك.

وذهبنا وأدّينا مناسك الحج، وجاء موعد اجتماع المؤتمر، وكنت قد عرفت أنهم قد أعدّوا العدّة لاستصدار القرار، ولم أشأ أن أتصدّر للمعارضة لوحدي، فالتقيت بالدكتور سعيد رمضان أحد زعماء الإخوان المسلمين الذين شرّدهم عبد الناصر رحمه الله وطرحت عليه الموضوع وقلت له إنهم يريدون استغلال الدين ورجال الدين لأهدافهم السياسية فقال: «أنا لا أتردد في تكفير من قتل محمد فرغلي وعبد القادر عودة... ولكن هؤلاء الملوك... يريدون استغلال الدين ويسخروننا لمقاصدهم السياسية. أنا معك في معارضة الفكرة».

المودودي يحرج السعوديين

وجاءت أول جلسة فقدّم العلامة الباكستاني أبو الأعلى المودودي رحمه الله بحثاً حول الاشتراكية وقرّر أنها العدالة الاجتماعية التي هي من مبادئ الإسلام. وقامت قيامة علماء المملكة، ولما كانوا يجلّون المودودي فقد حاروا في أمره ورجوه بأن يحذف بعض الفقرات حتى يتسنّى أن يطبع البحث ضمن وثائق الرابطة، فقال لهم: «أنا كتبت

ما أعتقد وأنتم أحرار في أن تثبتوه وأن تحذفوا ما رأيتم من الفقرات مع التنبيه على ذلك». والتفت إلى الدكتور رمضان وقلت له: لقد كفانا الله شر الجدال!

زيارة دمشق

كان الملك سعود يعمل بشتى الوسائل ليجرّ الإمام إلى صفّه في عدائه لعبد الناصر، وكان من نتائج ذلك أن أمرنا الإمام ونحن في طريقنا إلى الأردن لحضور المؤتمر الإسلامي بأن نقوم بزيارة دمشق لتقديم التهنئة لحكومة الانفصال الذي تم بمساع سعودية، فقمت من بيروت ومعي الأخ القاضي عبدالله الشماحي والسيد عبدالله باعلوي والدكتور عدنان ترسيسي الوزير المفوض في لبنان. وقد احتفل بنا رئيس الجمهورية ناظم القدسي في حفلة حضرها مأمون الكزبري المسئول العسكري ومعروف الدواليبي رئيس الوزراء.

عبد الناصر يهاجم الإمام والموقف من البيضاني

ثم جاءت المنظومة التي أنشأها الإمام ضد الاشتراكية، وكان الردّ من الرئيس عبد الناصر خطاب ألقاه يهاجم به الإمام أحمد ويعلن حلّ الاتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة. وفتح هذا الموقف أبواب الأمل في نفوسنا على مصاريعها، وكان المنتظر أن يتوسع المجال أمام الأستاذ نعمان والشهيد الزبيري زعيمي حركة المعارضة الموجودين في القاهرة ليعملا بمعرفة ودون تجاوز للمصلحة اليمنية. ولكن الأمل لم يتحقّق، فقد ظلاّ صامتين، بينما فتح المجال للدكتور البيضاني الذي كان يعمل للإمام ومعه ضد الأحرار ويتجسّس له عليهم. وبدأ هذا يكتب في «روز اليوسف» سلسلة من المقالات تذاع من «صوت العرب» ولو أن البيضاني قد نهج نهجاً صحيحاً لباركنا عمله وقلنا ما يقول المثل الشعبي: «حي الله الجمالة من أينما جاءت» ولكنه جاء ليفرق بين أبناء الشعب فيهاجم الهاشميين تارة ويهيج الشافعية ويتباكى عليهم أخرى. وبعثت رسالة للأخوين

الزبيري ونعمان أعتب عليهما ترك المجال لمن جاء ليفرق الصفّ الوطني عنصرياً وطائفياً، وعتبنا عليه بواسطة أحد الأخوان المتّصلين به وقلنا له إن أسلوبه المفرِّق نحن نرفضه، ولا يمكن أن يتقبله الشعب، ولا يمكن أن ننسى أن من الهاشميين من يعاني مثل ما يعانيه الشعب من فقر وجهل ومرض وتخلف، وأن منهم من سقط شهيداً في ١٩٤٨ و١٩٥٥. وقد اعتذر بأن الهاشميين هم واجهة الحكم وهم الحكام، فقلنا له لو أنك هاجمت الحكام منهم لكان لك حجتك ولكنك تهاجمهم على أساس عنصري، وذلك هو المرفوض، لأنه ليس في مصلحة اليمن. وقد أصم أذنيه عن نصحنا واستمر في نهجه المفرق حتى جمع ذلك في كتيب وأصدره بعد الثورة، ثم أصبح أخيراً يتنصَّل ويتهِّم غيره.

التحضير والاستعداد للثورة اليمنية

كنا نعمل مع بعض الإخوة في تعز للتحضير للثورة، وفيهم عبد الغني مطهر وعلي محمد سعيد وعلي حمود الحرازي وعبد القادر الخطري والضابط محمد مفرح. وكان الأستاذ أحمد القعطري هو حامل الرسائل والمعلومات إلى صنعاء ومنها، وكان لنا صلة بالسفير المصري الأستاذ علي الدسوقي، وكان للأخ عبد الغني مطهر صلة بالبيضاني ومن ورائه أنور السادات. وقد استدعي من القاهرة وكان الاقتراح بأن يلتقي بالبيضاني في ألمانيا الغربية التي كان للبيضاني صلة بمخابراتها. وقد جاء عبد الغني يستشيرني، وقد فهمت من هذه الدعوة أن القاهرة تتجاهل وجود الزبيري ونعمان فيها وتريد التعاون مع البيضاني الذي لا رصيد له، ولكنني قلت للسيد عبد الغني فلتذهب لتعرف ما يريدون. وسافر إلى ألمانيا ومنها بصورة سرية إلى القاهرة، وعاد يحمل تشكيل حكومة ما بعد الثورة، وقد جعلوني فيها رئيساً للجمهورية والدكتور البيضاني نائباً ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية والاقتصاد، ولم يدرج فيها اسما الزبيري ونعمان في أيّ وزارة. ولما ناقشت عبد الغني في ذلك قال إن السيد أنور السادات قال: إن الأخوين قد ركنا على العيش في القاهرة، وأن النية

تتجه إلى إعادة الاتحاد بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، وَسَيُعَيّن أحدهما نائباً والآخر وزيراً في الاتحاد، وفي هذا تحقيق لرغبتهما. فقلت له: أنه ليس من المعقول أن يخلو التشكيل من اسميهما، ثم إني لا أوافق على أن أكون رئيساً للجمهورية ولا بد أن يحتل هذا المنصب من يراه العسكريون الذين سيقومون بالثورة، ويجب أن نكون واقعيين إن أردنا للثورة النجاح، ويجب أن يكون معلوماً أني أيضاً لا أوافق على أن يتولى البيضاني كل هذه المناصب وعمره في العمل قصير وهو غير معروف، ويمكن أن يعيّن وزير اقتصاد بحكم اختصاصه، على أن يعين أحد الأخوين رئيساً للوزراء والآخر وزيراً للخارجية، فقال الأخ عبد الغني: ولكن هذا هو رأي القاهرة، قلت وهذا هو رأيي ولك أن تبلغهم، ثم إنه إذا لم يشترك الزبيري ونعمان فأنا الآخر لن أشترك. وذهب عبد الغني إلى صنعاء ووافق الأخوان على رأيي. وفي التشكيل الذي أعلن مع إعلان الثورة تعيين العميد عبدالله السلال زعيماً وقائداً للثورة وتعيّنت وزيراً للعدل وتعين البيضاني وزيراً للاقتصاد والأستاذ الزبيري وزيراً للمعارف، وخلا التشكيل من اسم الأستاذ نعمان، لأن البيضاني الذي كان له أثرٌ في تسيير الأمور مع القاهرة كان يشعر أنه سينافسه في زعامة الشافعية التي كان يحلم بها ويريدها على أساسٍ طائفيّ يتنافى مع مصلحة اليمن. ولما عتبنا على الإخوان قالوا: إن الضباط قالوا إنهم أخذوا بالرأي المصري.

ومما ينبغي أن أشير إليه أن البيضاني، بعد دخول القوات المصرية لمساندة الثورة، قد قدم له كل ما أراده من نائب لرئيس الجمهورية إلى رئيس وزراء ووزير خارجية واقتصاد وعضو في مجلس قيادة الثورة ونائب للقائد الأعلى. وبعد أشهر أُخرج من اليمن وجُرِّد من كل هذه المناصب حينما تجاوزت طموحاته الحدود، وأساء إلى الثورة بسوء تصرفه. فحملت الرئيس السلال على إبعاده، وحينما جاء إلى عدن ليتعاون مع الإنجليز لإلحاق بعض الألوية بدولة الاتحاد سحبت جنسيته اليمنية وسجنه عبد الناصر لذلك ولأسباب أخرى عرفها عنه. والبيضاني طاقة من

النشاط والحركة ولكن تلوّنه وتهوّره وعدم ثباته على خطّ واحد جعلته يخفق في آماله، فهو كما قال الشاعر العربي في أمثاله:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيت معدّياً فعدناني

فإذا رأيته اليوم في أقصى اليسار، إذا بك تراه غداً في أقصى اليمين. إن به مَرْصداً يرصد به رياح الكسب والغنيمة والشهرة، فيسبقها إلى الجهة التي تتجه إليها، ولا يبالي أنه يناقض نفسه بنفسه. فقد كان من غلاة الاشتراكيين حينما جاء إلى اليمن في عهد عبد الناصر، فأعلن الاشتراكية في البلد الفقير المتخلف فسبّب ذلك هروب رأس المال الوطني على قلته، وهاجم المملكة السعودية وهدّد بضرب مدنها بالقنابل، مما دفع مسئولاً سعودياً كبيراً إلى أن يقسم ليبيعنّ العقال ليحارب بثمنه الثورة اليمنية. ولما مات عبد الناصر أصبح عدواً له، إرضاءً للسعودية لأنه مما تجري به رياح الغنيمة والشهرة، فحج إلى بيت الله وأصدر كتاباً يهاجم به الاشتراكية التي سماها الماركسية والتي أعلنها في اليمن. وقد قال عنه الأستاذ أمين حامد هويدي فيما نشرته صحيفة «الشعب» المصرية الصادرة في ٢٤/ ٥/ ١٩٨٣ ما يلي: «ليس للبيضاني جذور في اليمن. إنه عاطفي في قراراته السياسية. إنه لا يلتزم الدقة في معلوماته ويلوّثها بالصورة التي تدفعها إليه عواطفه أو مصالحه. إن علاقته باليمنيين في المنفى وفي الداخل يسودها عدم الثقة للفارق الكبير في طريقة التفكير وفي السلوك». إلى أن يقول: «والذي يعرف حقيقة الأوضاع في اليمن ذلك الوقت كان يلمس عدم شعبية البيضاني ونفور الأطراف منه، علاوة على أنه أخذ يدلي بتصريحات عنيفة ضد السعودية مهدّداً النظام السعودي بالويل والثبور، علاوة على تصريحاته عن تطبيق الاشتراكية في اليمن، وهي أمور كانت بعيدة كل البعد عن الحكمة، تثير السعودية من جانب وتثير القبائل من جانب آخر. وأظن أن هذه التعقيدات كانت السبب الرئيسي لإبعاده عن السلطة، وقال إن أنور السادات لم يقتنع بما لفت نظره إليه عن البيضاني، ولكنه بعد أن ذهب إلى عدن وهاجم عبد الناصر ورجال الثورة اليمنية اجتمع به حينما رافقا الرئيس عبد الناصر في القطار الذي سار بهم من القاهرة إلى الإسكندرية، وقد فوجئ بالسادات يأتي ليقعد بجانبه ويقول له يا أمين

أنت كان رأيك سلبياً في البيضاني، وأخذ سيادته يعدّد لي أخطاءه الكثيرة وكيف أن هذه الأخطاء أوقعت الثورة في مشاكل عديدة، وأن من المصلحة أن لا يبقى عبد الرحمن في عدن». ثم يقول الأمين: «إنني لست طرفاً بقدر ما أنا شاهد لم يقل كل شيء لأسباب يعرفها، فليس من عادتي الهدم والعدوان، وقد أخبرني أحد الذين لهم صلة بأمين الهويدي أن الشيء الذي لم يقله هو ارتباط البيضاني بالمخابرات الألمانية الغربية. وقد أيد ذلك ما جاء في رسالته إلى ولي العهد البدر والمحررة بخطه وفيها يتجسس على ألأمير يحيى بن الحسين حميد الدين ابن عم البدر. وقد جاء فيها يقول: إنه سيستعين لمتابعة تحركات الأمير يحيى بالمخابرات الألمانية، لأن له فيها صداقات. ومعلوم أنه ليس في دستور المخابرات صداقات، وإنما فيه زمالات، والأستاذ الأمين هويدي كما هو معروف كان مشرفاً على المخابرات المصرية، فهو قد قال ما قاله عن علم «وما ينبئك مثل خبير» وفي كلام السادات ما يدل على أنه كان متورطاً مع البيضاني وخاف أن ينفضح أمره أمام عبد الناصر.

في أواخر ١٣٨١ استطاع مَنْ حول الإمام إقناعه بتشكيل وزارة يرأسها ابنه ولي العهد. وقد اقترح بعضهم تعييني وزيراً للدولة بلا وزارة، وعارض آخرون، وكانت حجة المقترحين أن في ذلك ما ينفي تهمة الأثرة من ناحية، وتطمين الذين قدرت لهم النجاة من مجازر ١٩٤٨ و١٩٥٥ بأنهم قد أصبحوا محلاً للثقة من ناحية أخرى. أما حجة المعارضين فقد كانت ترتكز على سوء الظن ووجوب الحزم في التعامل معهم لأنهم لا يرضيهم الحصول على وزارة شكلية وأن كل همهم هو تغيير النظام وقد تغلب جانب المؤيدين لأن فيهم ولي العهد.

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

تجاوز الله عنه

* * *

(٢)

إجازة القاضي الإرياني للشيخ محمد سعيد الطريحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين ..

وبعد .. فقد طلب مني الأخ العالم الباحث الأستاذ محمد سعيد الطريحي العراقي الشيعي ، تولى الله مكافأته وتوفيقه أن أجيزه في رواية ما تجوز لي روايته فقلت له : إني لم أرو أو أقرأ شيئاً من كتب إخواننا الشيعة سوى مجموع الفقه الكبير للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام برواية أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي القرشي الهاشمي بالولاء ، وليس من مرويات علماء الشيعة الإمامية . ولكنه أكد وبالحاح طلب الإجازة في ما أرويه ، وقد لمست من المذاكرة معه أنه من اخواننا الشيعة المنفتحين على سائر المذاهب وممن يرون وجوب التقريب بينها مادام أن « وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم» كما كان العلامة عبدالرحمن الخير رحمه الله .

وقد استجبت لحسن ظنه وإن كان يصدق علي قول القائل :

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن
أجيز ؟ ولكن الحقائق قد تخفى

وأتذكر أن والدي رحمه الله قد استشهد بهذا البيت في ثنايا إجازته لي وهو الحافظ المجتهد . فكيف بي وأنا ذو تحصيل نزر وبضاعة مزجاة .

وقبل وبعد فإنه مما لا يخفى أن الإجازة من أقسام الأخذ والتحمل قال العلامة القاضي أبو الوليد الباجي رحمه الله : « لا خلاف في جواز الرواية بالإجازة بين سلف هذه الأمة وخلفها » ، ومن هنا كان المعتبر عند أهل الحديث أن اتصال السند مع عدم سقوط - أي انقطاع - فيه يحصل ولو بالإجازة فينال بذلك المستجيز جواز الرواية ومزية الانتظام في سلك السلسلة وفضيلة الامتثال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بإسناده » أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن علي عليه السلام ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير الذي قال في خطبته نزهته عن وضاع وكذاب . وقد نص الأئمة على أن من خصائص هذه الأمة المحمدية المشهود لها بالخيرية على الأمم بقاء سلسلة الإسناد المتصل بالإجازة ، فشأن الإسناد خطير وقدره عظيم ، قال سفيان الثوري رحمه الله : الإسناد قربة من الله تعالى . وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله : الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء .

وكلام العلماء في ذلك كثير ، ولذلك أقول :

أجزتُ الأخ الأستاذ محمد سعيد الطريحي جميع ما تجوز لي روايته من العلوم من التفسير والحديث والأصول والفروع وعلوم العربية والآثار والأذكار كما أجازني والدي العلامة الحافظ المجتهد القاضي يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني رحمه الله وهو يروي قراءة وإجازة عن والده العلامة محمد بن عبدالله وعمّيه العلامتين حسين بن عبدالله وعلي بن عبدالله كما أجازهم مشايخهم ، وقد انفرد الأول بالرواية عن العلامة أحمد بن علي الطشي رحمه الله ، وثلاثتهم عن والدهم القاضي العلامة عبدالله بن علي الإرياني وكلاهما عن خاتمة المحققين في اليمن الحافظ المجتهد شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله. فيما حواه مجموع أسانيده « إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر » وبالإحالة على هذا الكتاب الجامع لكل ما أخذه ورواه العلامة الشوكاني رحمه الله نستغني عن ذكر سلاسل الرواة والمشايخ الآخرين . وأذكر طريقة أخرى في الرواية عن والدي رحمه الله عن شيخه العلامة يحيى بن محسن العنسي الذماري رحمه الله ، وهو يروي عن العلامة عبدالله بن عبدالله بن سعيد عن والده عبدالله ابن سعيد عن العلامة حسين بن عبدالله الأكوع عن شيخه سعيد بن حسن عن السيد العلامة المجتهد الحافظ محمد بن اسماعيل الأمير مؤلف « سبل السلام » و « منحة الغفار » وغيرهما من المؤلفات القيّمة وعن شيوخ المذهب الزيدي الثلاثة الحسن بن أحمد الشبيبي وعبدالله بن حسين دلامة وعلي بن أحمد الشجني رحمهم الله جميعاً . وقد رويت قراءة عن السيد العلامة عبدالخالق بن حسين الأمير والسيد العلامة الزاهد أحمد الكبسي والعلامة القاضي أحمد بن حسين العمري والعلامة حسين الواسعي والعلامة علي بن محمد فضه والعلامة القاضي عبدالله السرحي والعلامة لطف الفسيل والعلامة المعمّر اسماعيل الريمي رحمهم الله وأكرم نزلهم وغيرهم ممن يكثر تعدادهم وبرفع سند الرواية إلى كتاب « إتحاف الأكابر » للعلامة الشوكاني رحمه الله تعالى نستغني عن ذكر حديث واحد مسلسل السند . وأختم هذه الإجازة بذكر أبيات للوالد رحمه الله ، ذيّل بها إجازته لي وكرد على قصيدتي المرفوعة إليه رحمه الله في طلب الإجازة قال :

طلبتَ - فدتكَ النفسُ - مني إجازةً
وما نَهَلُه لي في العلوم ولا عَلُّ
ومَعْ حُسْنِ ظَنّي منكَ أسعفتُ قائلاً
وإن كنتُ مشغولاً وقد عاقني الشغلُ

أجزتُكَ يا نجلي إجازة والدٍ
ويا حبذا أن يقفوَ الوالدَ النجلُ

وأوصي بتقوى الله سراً وجهرةً
وتركٍ لتقليد الرجال وإن جلّوا

وما صحّ عن خير البرية فاتبع
فتاركُ تقليدٍ يكون لمن ضلّوا

فخف واتَّبع وابحث ودع كلَّ بدعةٍ
فكل كثيرٍ من سوى سُنَّةٍ قِلُّ

وإني أرى التقليد أعظم بدعةٍ
«فما اختاره مضى به وله عقل»

نصحتك علماً بالهوى ثمَّ لا أرى
مخالفتي، فاختر لنفسك ما يحلو

وأرجو دعاءً في حياتي وبعدها
فذنبي عظيم لا يطاق له حملُ

وأنه يحسن المولى الختام فإنه
لأكرمُ مسؤولٍ به يُرتجى السُّؤلُ

وصلِّ على خير الأنام مسلماً
مع الآل والأصحاب ما همل الوبلُ

وهذه هي نصيحتي ووصيتي للأخ الأستاذ محمد الطريجي أسعده الله تعالى ووفقه إلى ما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وآله الطاهرين وصحابته الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسبحان الله بحمده سبحان الله العظيم وحرر بدمشق في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ هجرية الموافق ٦/١٢/١٩٨٧م. عبد الرحمن بن يحيى الإرياني تجاوز الله عنه

(٣)

تقييم القاضي الإرياني لمجلة «الموسم»

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أتيحت لي الفرصة لأن أطلع على أعداد من مجلة (الموسم) التي أصدرها الي مشكوراً الجهانة رئيس تحريرها الأستاذ (محمد سعيد الطريحي)
والحق أنني وجدت هذه المجلة الفصلية التي تُعنى بالتراث والآثار أكبر وأغنى بكثير مما تدل عليه المجلة فهي موسوعة علمية حافلة بالدراسات العلمية والأبحاث المستفيضة في فنون مختلفة من التراث الإسلامي الفقهي والفلسفي والتاريخي والأدبي.
وإنه ليسرني أن أنوه بجهود رئيس تحريرها والقائمين عليها والمحررين لبحوثها ومقالاتها فهم قد بلغوا بها الشأو الرفيع في مجالها وأعطوا رسالتها التي تخصصت لأدائها حقها من البحث والتحري والاستقصاء كل ذلك بروح علمية ونيات خالصة لوجه الله، وبأساليب ومناهج موضوعية ودقيقة فجزاهم الله عن العلم والدين والأمة خيرا

وإننا لنرجو لهذه المأثرة العلمية الزاخرة الاستمرار ومواصلة المسيرة في خدمة التراث الإسلامي الضخم وآثاره الخالدة داعين لرئيس تحريرها، والقائمين عليها وكل من يساهم فيها بجهده، بدوام التوفيق والسداد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته الراشدين وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وكتبه عبد الرحمن بن يحيى الإرياني سامحه الله تعالى
في ٨ ربيع الآخر سنة ١٤١١هـ ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٩٠م

(٤)

تقريض القاضي الإرياني وتقديمه لكتاب (غرر الحكم) للآمدي، بتحقيق الشيخ محمد سعيد الطريحي

بسم الله الرحمن الرحيم

عرض عليّ الأستاذ الفاضل الباحث محمد سعيد الطريحي العراقي حفظه الله وأعانه كتاب «غرر الحكم ودرر الكلم» لجامعه العلامة القاضي ناصح الدين عبد الواحد التميمي الآمدي رحمه الله الكتاب الذي يحتوي على ما ينوف على أحد عشر ألفاً من حِكَم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسلامه عليه وكلها حِكَمٌ حكيمة وقيم أخلاقية قوية تُزيِّن من يتصف بها فيتخلق بما ترغب فيه وتدعو إليه ويبتعد عما تنهى عنه وتحذر منه وقد التمس مني الأستاذ الباحث - مدفوعاً بحسن الظن - أن أحرر كلمة تتصدر بها الكتاب الذي أعده للطباعة وقد طالعت ما حرره كتعريف بالكتاب وترجمة لمؤلفه فوجدته قد وفى الموضوعين حقهما ولم يدع مزيداً لمستزيد.

ولم يبق لي إلا أن أسجل الشكر الجزيل للأستاذ الباحث على اهتمامه بإخراج هذا الكتاب الجليل وأمثاله من كتب التراث الإسلامي فجزاه الله خير الجزاء وأجزل ثوابه.

أما صاحب الحكم الحكيمة سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام فأنا يمكنني أن أقول: إنه من حبه تقى وبغضه نفاق وفي مناقبه

يقول العلامة المجتهد السيد محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير الحسني اليمني رحمه الله في التحفة العلوية :

مَنْ سواه كان صنو المصطفى ؟ أو سواه بعده كان وَصِيّا

وأخي قال له خير الورى وهو هارونه ليس خفيّا

وكهارونٍ غدا في شأنه منه إلا أنه ليس نبيّا

والتحفة العلوية تزيد على سبعين بيتًا وما جاء فيها في وصف حِكَمِه عليه السلام قوله :

والبلاغات إليه تنتهي نهجُهُ فيها يُرى النهج السويّا

إن رقى المنبر يومًا خاطبًا عاد سحبان لديه باقليّا

حِكَمُ اليونان للفرس معًا ما تُدانِي منه لفظًا علويّا

لازم المحراب والحرب إلى أن أتى أشقى الورى الأمر الفريّا

وقد شرح ناظمها العلامة الأمير رحمه الله هذه التحفة العلوية بكتاب "الروضة الندية" وأورد في الشرح الأدلة على ما تضمنته التحفة من مناقبه عليه السلام ورحم الله الأمير وأكرم نزله وسبحان السعيد سبحان الله العظيم .

حرر في دمشق الفيحاء في ٢٧ جمادى الثانية ١٤٠٦هـ ٢٦ شباط ١٩٨٦م

وكتبه
عبد الرحمن بن يحيى الارياني تجاوز الله تعالى
عنه

(٥)

المراسلات بين القاضي الإرياني والشيخ عبد الرحمن الخيِّر

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ العلامة الشيخ عبد الرحمن الخير حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكونوا وكل من يلوذ بكم في خير وصحة وسعادة

بجانب هذا ترون فتوى أصدرها الشيخ عبد العزيز بن باز

رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وفيها الافتاء بعدم

صحة الصلاة مع الزيدي متهماً للزيدية بأنواع من الشرك كالسب

ومثلهم الإمامية. ولعلكم ستعجبون أنه لا يزال في علماء الإسلام

المنغلقين من يجرؤ على تكفير أمة كبيرة من المسلمين

وكنت سمعت منكم أنكم رديتم على أمثال هذا من العلماء الذين

التقيتم بهم في الظبي أو في الكويت فإن كان لديكم صورة

من ذلك تفضلتم به وإن تمكنتم من التعليق على الفتوى

الصادرة فلكم الأجر والشكر للقيام بواجب نعجز عن

القيام به ونرسل له الهداية لنا ولهذا الشيخ المتعصب

ولا مانع [illegible] بتصريح على الفتوى وأرجوكم [illegible]

على المنار وأسعد بدعائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٣٩٢

أخوكم عبد الرحمن الإرياني

رسالة القاضي الإرياني إلى الشيخ الخيِّر طالباً منه الرد على فتوى الشيخ ابن باز

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
مكتب الرئيس

الرقم: ٢١٤٢
التاريخ: ٢/٩/١٣٩٥هـ
التوابع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الإخوان الكرام أعضاء البعثة التعليمية السعودية في اليمن، منهم الشيخ عبد الله بن محمد الغرباني والشيخ سعيد بن حيدر القائد وفقهم الله لكل خير آمين / سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصل إلي كتابكم الكريم المؤرخ ١٣٩٥/١/٢٦ وصلكم الله برضاه، وما تضمنه من السؤال عن جواز الصلاة بنداء الزيدية المشتمل على - حي على خير العمل - وعن جواز الصلاة معهم كان معلوماً.

والجواب: لا أعلم ما يمنع الصلاة بالأذان المذكور، والزيادة التي فيه وهي قولهم - حي على خير العمل - بدعة لكنها لا تبطل الأذان، وإنما يجب على أهل السنة أن يؤذنوا في كل وقت بالأذان الشرعي إذا تمكنوا من ذلك من أجل إظهار السنة وإنكار البدعة. أما الصلاة خلف الزيدية فلا أرى صحتها خلفهم لأن الغالب عليهم الغلو في أهل البيت بأنواع من الشرك مع سبهم لبعض الصحابة وإظهارهم بعض البدع، وهكذا بقية أصناف الشيعة الموجودين اليوم كالإمامية وغيرهم. ونسأل الله أن يهدينا وإياكم وإياهم سواء السبيل وأن يكثر فيهم دعاة الهدى وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه والثبات عليه إنه خير مسؤول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فتوى ابن باز بتبديع القول بـ (حي على خير العمل) في الآذان
وعدم جواز الصلاة خلف الزيدية.

بسم الله تعالى وله الحمد وبه الاستعانة ومنه التوفيق للهدى . والصلاة والسلام على رسوله المصطفى وآله الأطهار ، وعلى أصحابه الأبرار ، وعلى تابعيهم من المؤمنين إلى يوم يبعثون .

وبعد : لقد وجه إليّ أحد الأعلام الفضلاء ، من قادة العرب المسلمين رسالة مؤرخة في ٨/١٠/١٩٧٦ يطلب إليّ فيها التعليق على فتوى وصلته حديثا كان أصدرها رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، على مشرفها وآله أفضل الصلاة والسلام . (يوجد ربطا صورة طبق الأصل من الفتوى) .

وتلبية لطلب العالم الفاضل استخرت الله تعالى ، مستلهما التوفيق إلى ما فيه رضاه من نصرة الإسلام والمسلمين ، باجتناب التفرقة الضارة ، والتأليف بين جماعات المؤمنين ، ومسترشدا بقوله تعالى ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) - النحل / ١٢٥ / وبالمأثور من قول الرسول الأمين (ص) : (بعثت مبشرا لا منفرا) .

التعليق على الفتوى :

أولا : أن كل بصير بالسنة والسيرة والتاريخ الإسلامي يعلم حق العلم أنه قد ورد فيها جميعا ، عند الفريقين : (السنة والشيعة) روايات تفيد ما يلي بيانه :

آ- أن القول : (حي على خير العمل) هو جزء من الأذان لكلّ من أوقات الصلاة منذ بدء مشروعية النداء للصلاة على عهد الرسول (ص) واستمر على عهد الخليفة الأول (رض) وردحا من عهد الخليفة الثاني (رض) حتى بدا له الرأي بمنعه ، كيلا يتقاعس المسلمون عن الجهاد ، احتجاجا بكون الصلاة خير العمل . وأورد بعض الأدلة على ذلك :

(قال في الشفاء : وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن نافع عن ابن عمر أنه كان يزيد في أذانه (حيّ على خير العمل) . وفيه عن علي بن الحسين زين العابدين أنه كان يؤذن فإذا بلغ حيّ على الفلاح قال : (حيّ على خير العمل) ويقول : هو الأذان الأول . وفيه أيضا : عن محمد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عليهم السلام أنه كان إذا قال : (حيّ على الفلاح) قال : (حيّ على خير العمل) قال - يعني محمد بن عليّ - وكانت هذه الكلمة في الأذان فأمر عمر بن الخطاب أن يكفوا عنها مخافة أن يثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا على الصلاة) اهـ .

(وحكى سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضد : عن عمر أنه كان يقول : ثلاث كنّ على عهد رسول الله (ص) أنا أحرمهن وأنهى عنهن : متعة الحج ، ومتعة النكاح وحيّ على خير العمل) اهـ .

(نقلا عن كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار للإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى والتعليقات عليه . جزء أول وجه / ١٩٢ / من الطبعة الأولى عام / ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م مطبعة السعادة بمصر - بإشراف لجنة من علماء الأزهر) .

.../..

الرد الذي كتبه الشيخ عبد الرحمن الخيّر على فتوى الشيخ ابن باز

(كتب الرد بطلب من القاضي الإرياني)

(ومن الامام علاء الدين مغلطاوي بن قليج الحنفي، امام الحنفية، في كتاب التلويح في شرح الجامع الصحيح بالفظه :
وأما حي على خير العمل فذكر ابن حزم أنه صح عن عبد الله بن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهما كانا يقولان في اذانهما : حي على خير العمل . قال مغلطاوي : وكان علي بن الحسين يفعله .) اهـ
(وذكر سعد الدين التفتازاني في حاشية شرح عضد الدين على المختصر في الاصول أن : (حي على خير العمل) كان ثابتا على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن عمر هو الذي أمر أن يكف الناس عن ذلك مخافة أن يثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا على الصلاة .)
(وفي كتاب السنام بالفظه : الصحيح أن الاذان شرع بحي على خير العمل)
(وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية : انه كان (حي على خير العمل) من الفاظ الاذان . قال الزركشي في البحر المحيط : ومنها الخلاف فيه موجود كوجوده في غيرها . وكان ابن عمر ـ وهو عميد أهل المدينة ـ يرى افراد الاذان والقول : (حي على خير العمل) .
(نقلا عن كتاب الروض النضير ـ للحسين بن أحمد السياغي ـ الجزء الاول ص / ٥٤٢ / الطبعة الثانية عام / ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م / مكتبة المؤيد ـ الطائف المملكة العربية السعودية .

ب ـ وأن التثويب في الأذان للصبح فقط ، بالقول : (الصلاة خير من النوم) لم يكن على عهد رسول الله (ص) ولا على عهد الخليفة الاول (رض) بل هو امر أحدثه الخليفة الثاني (رض) برأي استحسنه ، كما أحدث الجماعة في صلاة التراويح : (نافلة الليل في شهر رمضان) وقال عنها : نعمت البدعة هذه ، وكما أحدث غيرها من اولياته المشهورة والمعمول بها عند جمهور المسلمين حتى اليوم . وأورد هنا بعضاً من بعض من الاثباتات :
-(عن مالك بلغه أن المؤذن جاء عمر يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نائماً فقال : الصلاة خير من النوم . فأمر عمر أن يجعله في نداء الصبح . اخرجه الموطأ) .
وروى عن عمر بن حفص أن جده سعد القرظ أول من قال : الصلاة خير من النوم ، بخلافة عمر وتوفي أبي بكر . هكذا في اصول الاحكام ، ومثله في الشفاء) . اهـ (وسعد القرظ هذا مؤذن الخليفة الثاني) .
-(عن مجاهد قال : دخلت مع ابن عمر مسجداً وقد أُذِّنَ فيه ، ونحن نريد أن نُصلِّيَ فيه ، فثوّب المؤذن ، فخرج عبدالله بن عمر من المسجد وقال : اخرجْ بنا من عند هذا المبتدع ولم يصلِّ فيه . ثم أخرجه الترمذي .) اهـ .

.../...

(وفي الشفاء عن طاووس أنه قال له رجل : متى قيل : الصلاة خير من النوم فقال : اما انها لم تقل على عهد رسول الله (ص) اهـ (نقلاً عن كتاب البحر الزخار ذاته المذكور سابقاً : الجزء الاول وجه / ١٩٢ / - ١٩٣ / ٥) .

جـ - ومن هذا يتضح للعالم المنصف ، الغيور على الوحدة الاسلامية ، ان قول الشيعة : (الامامية والزيدية) في الأذان : (حي على خير العمل) ليس بدعة البتة ، ولكنه هو الأذان الشرعي .

د - ولأتباع المسلمين : (الشيعة والسنة) يلتزم كل منهما الأخذ بأحد القولين ويورد لاثباته أحاديث مسندة وموثوقة ، ولا مجال في هذه العجالة لمناقشتها ومصلحة المسلمين الجامعة تقتضي الآن على علمائهم بالتسامح في مثل هذه الخلافات الفرعية .

العجالة

- وتقرير المفتي نفسه ، حفظه الله ، أنه لا يعلم ما يمنع الصلاة بالأذان المشتمل على - حي على خير العمل - هو تقرير سديد ، وكان من الاصلح الاكتفاء به في الفتوى المشار اليها . وقوله فيها : (والواجب على اهل السنة أن يؤذنوا في كل وقت بالاذان الشرعي اذا تمكنوا من ذلك) يشعر بتجويزه الاكتفاء بالاذان الذي يزعم انه بدعة عند عدم التمكن من امتثال ما يدعوه الاذان الشرعي . وهذا الرأي منه هو عمل بالتقية التي يستنكرها متعصبو أهل السنة من اخوانهم المسلمين الشيعة .

ثانياً :

.. أما قوله : بأنه لا يرى صحة الصلاة خلف الزيدية والامامية

فرأيه هذا يتعارض مع طريقة أهل السنة انفسهم ويعملون به في جميع العصور والامصار من حديث : (صلوا وراء كل بر وفاجر) . وهو في رأيه هذا يخالف ما عليه اهل المذاهب الاربعة ، ويعمل بما عليه الشيعة : (الامامية والزيدية) من رؤيتهم عدم صحة الصلاة خلف من لا يوثق به ، فهم يشترطون العدالة في امام الجماعة .

ويتعارض رأيه هذا كذلك مع ما حصل في مؤتمر علماء المسلمين من جميع مذاهبهم وأمصارهم ، المنعقد قبل نصف قرن في القدس ، لمدارستهم مقاومة الصهيونية : (وعند بلفور) اذ صلوا يومئذ الجمعة في المسجد الاقصى المبارك مقتدين بالمجتهد الشيعي الامامي الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء . واضطرب لظاهرة الوفاق تلك بين الشيعة والسنة ساسة الانكليز ، المنتدبون على فلسطين والاردن والعراق حينئذ ، فدفعوا (اسعاف النشاشيبي) للتأليف ونشر كتابه الذي أسماه (الاسلام الصحيح) واحتكر فيه الاسلام له وحده ولمن هم

٥٠٠/٥٠٠

على رأيه طبعاً ، وأعلن فيه صيحته النكراء المفرقة ، مخاطباً
جميع فئات المسلمين الآخرين بقوله :
(كلكم لستم مسلمين . أنا وحدي مسلم بمنّ همّ لمنّ) .

وطبّل يومئذ لكتابه محبوا الفرقة من محتكرين ومتاجرين ومتزمتين ، وشغل
بالرد على صيحته المفرقة نفر من علماء الشيعة الغيورين على
الوحدة الإسلامية ، فلجميع أعداء العرب والمسلمين فيما خططوا
له من ابتعاث الخلاف وإحياء الفتنة النائمة .

ثالثاً: وأما اتهامه (الزيدية وبقية أصناف الشيعة الموجودين اليوم كالإمامية
بالغلو في أهل البيت بأنواع من الشرك) فإن هذا الاتهام بالشرك
يدحضه ما هو صريح في أمهات كتب الزيدية والإمامية ، القديم منها والحديث
من اقتصار اعتقادهم على أن الأئمة من أهل البيت (ع) ما هم إلا كما
قال تعالى : ((عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون .)) ـ الأنبياء / ٢٦ ـ ٢٨ / .
واتهامه إياهم بأنواع من الشرك يدحضه ما أجمع عليه المسلمون
في جميع عصورهم ، من اجتماع علمائهم وعامتهم في الحرمين
الشريفين كل عام منذ بدء الإسلام حتى اليوم ، لأداء
مناسك الحج والعمرة والزيارة ، لا فرق في ذلك بين سنيهم
وشيعيهم ، إلا إذا كان (رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة)
ـ ولا نخاله ـ يشذ من إجماع المسلمين عامة ، فلا يرى
الآن العمل بما ورد في سورة (براءة) من منع المشركين
دخول المسجد الحرام ، أو إذا كان يرى العودة إلى محاولة
منع المسلمين من أداء مناسك الحج والزيارة ـ المسلمين الذين
يتهمهم هو وأمثاله بالشرك لزيارتهم القبور ـ وإلا نربأ به وبحماة
الإسلام والحرمين الشريفين من علماء المسلمين ، ومن قادة العربية السعودية
أن يروا ذلك ، أو يتغاضوا عمن يراه من المتزمتين محتكري الدين . وخاصة بعد
أن تناسى المسلمون من مختلف المذاهب ما كانوا أجمعوا عليه سابقاً مما حصل بينهم
مجتمعين في جانب ، وبين الإخوان الوهابيين في جانب آخر ، إبان الأمس الأسود الداهر
إلى غير رجعة إن شاء الله تعالى ، من خلافات حادة وترمّت في
الاتهامات ، أدّى جميعه إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل وإلى تعذر
الحج والزيارة بسبب انعدام الأمن خلال تلك الفترة المؤسفة .
وهل يرمي (رئيس الجامعة الإسلامية) بهذه الاتهامات الظالمة إلى أن يستفز
بعض المتزمتين المتعصبين من الزيدية والإمامية فيقابل الاتهامات بأشد منها
أو بمثلها ؟ وبذلك يكون المفتي ـ أصلحه الله ـ قد أيقظ الفتنة وأضرم نارها من

.../...

جديد بين الاخوة المسلمين ليستغلها اعداء الاسلام والعرب ، من صهاينة ومستعمرين يتربصون شراً بالجميع دون استثناء .

الم يكن الاحرى به ان يغتنمها فرصة مؤاتية ليدعو الى جمع الكلمة وتوحيد الصف بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة ، كما يدعو اليه منذ نصف قرن في اوساط قطرنا العربي السوري ، وكما تدعو اليه (جماعة التقريب) في القاهرة منذ ربع قرن في جميع اوساط العالم الاسلامي ، فتحظى بهذا فضيلة التسابق الى فعل الخيرات ويقتدي كذلك بمليكيه العاهلين السعوديين (الراحل المغفور له فيصل والحالي المظفر خالد) اللذين كتبا صفحات مجيدة في تاريخ الدول الاسلامية المعاصرة ، بتعاونهما مع امثالهما من ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية في مؤتمرات القمة .

رابعاً :

واما انه لا يرى صحة الصلاة خلف الزيدية والامامية للزعم بانهم يسبون بعض الصحابة . فاننا نسأله : هل يرى كذلك عدم صحة الصلاة [illegible] من جماهير المسلمين ، في مختلف اقطارهم سابقاً ، خلف الولاة والامراء الذين كانوا يسبون امير المؤمنين علياً بن ابي طالب (ع) وولديه (ع) ريحانتي رسول الله (ص) وبعض الصحابة (رض) في خطبة الجمعة على المنابر ، طوال عشرات السنين من العصر الاموي وخلال سنين من حكم بعض الملوك العباسيين ؟ هذا مع العلم بانه كان [illegible] بين السابين والآمرين بالسب من يعدّ من الصحابة ومن الخلفاء .

وهل يسوغ له ان يستنكر من بعض الزيدية والامامية الآن ما لا يستنكره من بعض الصحابة ومن امراء وولاة المسلمين ومن عامة اتباعهم سابقاً ؟ هذا على افتراض صحة الاتهام بان بين الامامية والزيدية من يسب بعض الصحابة .

ونسأله كذلك هل يرى بأنّ سبّة بعض الصحابة - الذين كانوا هم انفسهم يسبون ويأمرون بالسب ويستجيبون [illegible] من لا يستجيب لهم بالسب - هل يرى الآن سبّة أولئك السابّين معصية اعظم مما فعله اولئك الصحابة انفسهم والتابعون لهم ومن بعدهم حتى اليوم ، في حروبهم الداخلية فيما بينهم من سفكهم دماء بعضهم بعضاً ؟!.

وهل يرى الآن السبة المزعومة معصية اعظم من قتل الولاة الامويين والعباسيين سابقاً العديد من التابعين والفقهاء صبراً واغتيالاً ؟!.

وهل يرى السبة المزعومة اعظم من استحلال أمراء وولاة الدول الاسلامية الذين تعاقبوا على تولي الحكم حتى اليوم ، دماء واموال مخالفيهم من المسلمين في الاجتهادات المذهبية ؟!

وهل يرى المسئة العزومية القطع من اتهامه في فتواه هذه ، هشرات الملايين من اخوانه المسلمين : (الزيدية والامامية) بالغلو في اهل البيت بانواع من الشرك والبدعة لاختلافهم معه في الرأي وهم برآء من هذه الاتهامات الظالمة ؛ ان تاريخ تلك الحكومات الاسلامية — البعيد منها والقريب — مليء بالمآسي التي سبب معظمها مثل هذه الفتوى . اعاذ الله المسلمين من تجديد تلك الفتن الداهية .

خامساً :

انـا نجزم بان مصلحة المسلمين ، جميع المسلمين دون استثناء تقتضي بان يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه من روايات واجتهادات ، وان يشد بعضنا ازر بعض فيما اجتمعنا عليه من كتاب ربنا وسنة نبينا وبهذا وحده نستطيع الوقوف صفا واحدا ((كأنه بنيان مرصوص)) في وجه الهجمات الالحادية الغازية لمجتمعاتنا ، وفي وجه الاثارات الطائفية المبعثرة لقوانا . وكلا النوعين من الهجمات يخطط له بخبث ودهاء لتمكين الهجمات الاستعمارية من السيطرة على بلادنا واستغلال اقتصادنا ، واضعاف دولنا عن النهوض ، والهائها عن كل اتحاد ووحدة صحيحين ، بالتطاحن الداخلي للمحافظة على المكاسب الآنية والمناصب الخادعة والحدود المصطنعة .

سادساً :

ما احوجنا نحن المسلمين جميعا — الى ان نتذكر ونتدبر قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .)) — آل عمران / ١٠٣ / .

وقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا — ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا .)) — النساء / ٩٤ / .

وقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .)) .

وما احوجنا الى ان نتذكر ونتدبر قول نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم : (إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .) . رواه البخاري .

—../...

وقولـــه : صلى الله عليه وآله وسلم : (يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تـذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه ولو في جوف بيته ٠) رواه الكليني في الكافي ، والترمذي وابو يعلى في مسنديهما بالمعنى مع بعض الاختلاف في اللفظ ٠

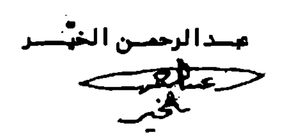
وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه ابو داوود :(قيل له : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : ذكرت اخاك بما يكره، قيل له : أرأيت ان كان في اخي ما أقول قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ٠) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ٠

وختامـا : اكرر مع الاخ المفتي ، الابتهال الى الله تعالى ان يهدينا واياه وجميع المسلمين سواء السبيل ، لنكون بحق :((خير امة اخرجت للناس)) وان يكثر بين علماء المسلمين، من دعاة التبصرة والهداية والتعاون لجمع كلمة المؤمنين وعزمهم ، بعد أن أذلهم التفرق والتزمت والتناحر ، وان يمنحنا جميعًا الفقه في دينه والثبات عليه اعتقاداً وقولاً وعملاً ٠ انه خير مسؤول وأكرم موجو وأقوى مستعان ٠

والسلام على من قدّم مصلحة أمته الجامعة ، وآثر عزتها في الآخرة والاولى ورحمة الله وبركاته ٠

دمشق في ٢٧ / شوال ١٣٩٦ هـ

عبد الرحمن الخيّر



بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ العلامة عبد الرحمن الخير حفظه الله

تحية طيبة مباركة وعيد سعيد وكل عام وأنتم بخير.

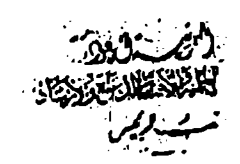
اليكم الرجوع من المفتي عبدالعزيز بن باز عن فتواه التي علقتم عليها واستجد ولا أنه رجوع متحفظ عن التكفير المطلق وحسبه أنه سجل على نفسه أنه بلغه فكفر ثم بلغه الآن فرجع رجوعاً متحفظاً وانه لم يصدر فتواه عن علم واطلاع على كتبهم وأقوال علمائهم وذلك نهاية الجرأة على الفتيا. مع هذا الكراس الذي يشتمل مقالات ابن تيمية الذي تفضلتم باعارته للاطلاع اذا امكن اعادته ويكفاكم المهمات شكر سعيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٠/٤/١٣٩٦هـ ١٩٧٦/٤/١٠

أخوكم
عبد الرحمن الإرياني

حفظكم الله
هذا مؤرخ في ١٢/١٠/١٦ ارسل الى بيتكم
وكنتم قد سافرتم والكراس قد سلم اليكم من ولده

رسالة القاضي الإرياني إلى الشيخ الخيِّر بتراجع الشيخ ابن باز عن فتواه.



بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم

التاريخ ٢٤/٩/١٣٩٦هـ

المرفقات ــــــــــ

الموضـــوع

-: حكم الصلاة خلف من عرف بالغلو في الأنبياء والصالحين :-

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رســول الله وآله وصحبه ، أما بعـــد :-

فقد سبق أن سألني أعضاء البعثة التعليمية السعودية في اليمن في عام ١٣٩٥هـ عن حكم الصلاة خلف الزيدية فأجبتهم بتاريخ ١٣٩٥/٩/٢هـ بأني لا أرى الصلاة خلفهم لأن الغالب عليهم الغلو في أهل البيت بالاستغاثة بهم ودعائهم والنذر لهم ونحو ذلك، هذا هو الذي صدر مني وقد كان بناء على ما بلغني من طرق كثيرة أن الزيدية يغلون في أهل البيت بأنواع من الشرك كدعائهم والاستغاثة بهم ونحو ذلك ثم بلغني في هذه الأيام أعني في شعبان من عام ١٣٩٦هـ استغراب كثير من أهل العلم في اليمن هذه الفتوى. واتصل بي جماعة منهم ومن خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة ممن أثق بعلمهم ودينهم مستغربين هذه الفتوى وقائلين ان الغالب على علماء الزيدية هو عدم الغلو في أهل البيت. هذا هو الذي نعلمه منهم وانما يقع هذا الغلو من بعض العامة ومن بعض الزيدية الذين ليس عندهم من العلم والبصيرة ما يعرفون به حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك ، وذكروا أنهم يعلمون من علماء الزيدية انكار الغلو في أهل البيت وانكار الشرك ولا يجوز أن يكون وقوع الشرك من بعضهم أو من بعض العامة مسوّغاً لنسبة الأغلبية منهم بذلك ، وبناء على هذا وجب علي أن أعيد النظر في هذه الفتوى لأن الواجب هو الأخذ بالحق لأن الحق هو ضالة المؤمن متى وجده أخذه ، فأقول : ان هذه الفتوى التي سبق ذكرها قد رجعت عنها بالنسبة الى ما فيها من التعميم والاطلاق لأن الهدف هو الأخذ بالحق والدعوة اليه. وأعوذ بالله من أن أكفر مسلما أو أمنع من الصلاة خلف مسلم بغير مسوّغ شرعي والواجب أن يؤخذ كل انسان بذنبه وأن يحكم عليه بما ظهر من أقواله وأعماله فكل امام علم منه ما يدل على أنه يغلو في أهل البيت أو في غيرهم سواء كان من الزيدية أو من غيرهم وسواء كان في اليمن أو غير اليمن فانه لا يُصلّى خلفه ومن لم يعرف بذلك من الزيدية أو غيرهم من المسلمين فانه يُصلّى خلفه والأصل سلامة المسلم مما يوجب منع الصلاة خلفه ، كما ان الأصل سلامة المسلم من الحكم عليه بالشرك حتى يوجد بأمر واضح وبينة عادلة ما يدل على أنه يفعل الشرك أو يعتقد جوازه ـــــــــــــــ . هذا هو الذي أعتقده وأعلنه الآن لاخواننا في اليمن وغيرها وقد تقدم أن الحق ضالة المؤمن متى وجده أخذه ومعلوم أن العصمة لله ولرسوله ، وكل مفتي وكل عالم وكل طالب علم قد يقع منه بعض الخطأ أو بعض الاجمال ثم بعد وضوح الحق وظهوره يرجع اليه ومن فعل ذلك فقد عرف وفقل وهذه طريقة أهل العلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وقد أثنى عليهم أهل العلم بذلك وشكروهم على هذه الطريقة الحميدة، وهذا هو الذي يجب علينا وعلى غيرنا الرجوع اليه والأخذ به في جميع الأحوال ، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما فيه رضاه وأن يمنحنا واخواننا جميعا في اليمن وغيره اصابة الحق في القول والعمل انه سبحانه وتعالى سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

تراجع الشيخ ابن باز عن الفتوى، مذيّـلة بتوقيعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ الفاضل الشيخ عبدالرحمن الخير حفظه الله ونفع بعلمه طلاب الحق ودعاة الوحدة والألفة والمودة بين المسلمين :

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستمتعت كثيراً بمطالعة ردودكم على أسئلة الدكتور شاكر مصطفى الباحث والمؤرخ والمحاضر في الجامعة وقد وجدتها مقنعة لكل طالب حق وباحث عن الحقيقة ، نظراً لما اشتمل عليه من منطق سليم وأدلة مقنعة وقد زادها ما أوردتموه من الأشباه والنظائر قوة إقناع ،

ولقد أثارت لي بعض الزوايا التي كان ظلام التعصب المذهبي قد عتم عليها ولا أتكتم أني كنت قبل لقائي بكم ولتعرفي عليكم قد سمعت عن الطائفة العلوية النصيرية من مخالفيهم في المذهب كثيراً من التشنيع ولكن بعد اجتماعي بكم عرفت من خلال المذاكرة – وإن لم أسأل – ومن مطالعة الكتب التي تفضلتم بإهدائها إلي سلامة عقيدة هذه الطائفة وأنها لا تختلف عن عقيدة الشيعة الإمامية الجعفرية وقلت لمن سألني عنكم من إخواني اليمنيين : لو كان علماء الإسلام كهذا الشيخ الخير لتفادينا خيراً فهو واسع المعرفة بالكتاب والسنة من مراجعها السنية والشيعية وهو مع ذلك واسع الصدر والفكر لتقبل آراء الآخرين من أبناء سائر المذاهب ويدعو إلى التقريب بين المذاهب والوحدة المسلمين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن لي من مذهبي الذي لا أقلد به غير الكتاب والسنة الصحيحة ما يحملني على حسن الظن بكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أولم يقل النبي الكريم

رسالة من القاضي الإرياني إلى الشيخ الخيِّر يضمنه تقييمه لردود الخيِّر على الدكتور شاكر مصطفى ويستدل بشواهد كثيرة تحث على ضرورة التسامح والتعارف بين المسلمين، ونبذ الفئة المتعصبة منهم.

صلى الله عليه وآله وسلم: من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله فقد حرُم دمه وماله وحسابه على الله عز وجل أخرجه مسلم وأحمد.
ولا شك أن علمكم بأن التعصب المذهبي هو من المحن التي ابتلي بها المسلمون في كل زمان ومكان وأن كتب التاريخ مليئة بما كان يجري في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية في عهد بني العباس وفي غيرها من الملاحم السنوية التي تسفك فيها الدماء بين أبناء المذاهب الأربعة المتسمة بالسنية وأن ذلك لم يكن مقصوراً على بلاد الشام أو الطائفتين السنة والشيعة
أقول: إن علمكم بكل هذا يحملكم على التأسي، وأن يدكم تأسياً.
بأن أشرح لكم أن اليمن أيضاً الذي يتألف أبناؤه من طائفتي الشافعية في الجنوب والزيدية في الشمال كان مبليًّا بهذا التعصب ولاسيما في العهد العثماني الذي استغل ولاته ذلك لصالح سياستهم. فكان الجنوب يدين لهم بالولاء بينما لم تهدأ ثورة الشماليين ضدهم على مدى نيف وسبعين سنة هي مدة احتلالهم الأخير لليمن وكانت العزلة المضروبة وعدم الاختلاط بين الفئتين تزيد طين التعصب بلة فأطلق الشماليون على الجنوبيين اسم المجبرة والمشبهة وسماهم الجنوبيون بالرافضية والمبتدعة. وبلغ التعصب الذي كان بعض علماء حضرموت شاكرهم الله يعملون على ترسيخه وإثارته في بعض المناطق كإب إلى استمرار الحرب مع جنود الإمام يحيى الذي عمل على الاستيلاء على الجنوب الذي كان تحت الحكم التركي حينما انسحب الأتراك من اليمن في أعقاب الحرب الكونية الأولى بلغ بهم التعصب الحد أن يقول شاعرهم الشعبي في نشيد حرب:
(إحنا شوافع والمذاهب أربعة والمذهب الخامس على دين المسيح)
ولكنه بعد استيلاء حكومة الإمام يحيى على ما استولت عليه من الجنوب ناحية منطقة هذا الشاعر اختلط المواطنون من الطائفتين وتعارفوا فتآلفوا وذهبت

جميع النعرات المذهبية المفرقة ثم جاءت الجمهورية فاشتركت الطائفتان بمساندتها و بالتالي بالمناصب والأعمال وخدمة الوطن وانتهى كل أثر لهذه العصبية المقيتة .

على أن هذه العصبية قد ظلت تنشر وبا رها بين اليمنيين والحجازيين وقد كان الحجاج الزيديون يلقون عنتاً واضطهاداً في عهد الاشراف الى حد اغراء الاطفال في مكة والمدينة ليصيحوا بهم : اليهودي ولا الزيدي ، وجاءت دولة الوهابيين فازداد التعصب في البداية حدة ، ومن ثمة جاءت معركة « تنومة » في ١٣٤٢هـ وفيها قتل الجنود الوهابيون الفين وستمائة حاج يمني وهم في طريقهم الى الحج يرتدون ثياب الاحرام ويجأرون بلبيك اللهم لبيك وكان الجنود يهتفون : (اجتلوا المشرج) أي اقتلوا المشرك ويضيفون قولهم (هبت هبوب الجنة واين انت يا باغيها » أي يا طالبها ، انهم يطلبون الجنة بقتلهم المسلمين المحرمين بالحج . ولم يفرقوا في هذه المجزرة بين زيدي وشافعي ، ولا شك ان هذا التعصب قد هدأت أواره بعدا لاختلاط والتعارف ، واليمنيون اليوم يعيشون في المملكة ناعمي البال موفوري الكرامة ولم يبق اثر للعصبية الا عند قلة قليلة من علماء الدين - مع الأسف الشديد - وهم الذين كان المفروض فيهم أن يعملوا على رسالة روح التآخي بين المسلمين ، وما فتوى الشيخ العلامة مفتي المملكة ، عافاه الله ، منا ببعيد .

والذي آسفني جداً هو الى المست من الرسالة التي جاءتكم من عالم ومؤرخ وباحث واسع المعرفة أن التعصب المذهبي لا يزال يحتفظ بحدته برغم ما بذله علماء التقريب بين المذاهب في سبيل نبذ العصبية المذهبية المقيتة على أساس :-

(وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر او رشفاً من الديم)

وقد نادا أسفي أني في سنة ١٩٧٧ مررت بطرطوس في طريقي إلى مصيف صلنفة. وقد ذهبت إلى أحد المساجد لأداء صلاة الظهر وكان هناك بجانب المسجد مدرسة لطلاب العلوم الدينية، وقد حلّق بي الطلاب بعد الصلاة ربما دعاهم إلى ذلك الزي اليمني الذي رأوه عليّ وقد سألوني من أين الشيخ؟ فقلت من اليمن فبادروني بقولهم عندكم «الزيدية» قلت نعم فسألوا من يتبعون من المذاهب الأربعة. فقلت لهم إنّ لهم مذهبهم الخاص الذي يأتمون فيه بالإمام زيد ابن علي عليه السلام، ولكنّ من أصول مذهبهم الفقهية: «إنّ كل مجتهد مصيب» ومن هنا كثر عدد المجتهدين منهم كالسيد الأمير والسيد الوزير وشيخ الإسلام الشوكاني والمقبلي وهؤلاء كلهم علماء مجتهدون إذا كنتم من طلاب العلم فإنكم لا تجهلونهم فكتبهم مطبوعة متداولة بمدارس طلاب العلم في جميع البلاد الإسلامية وللشوكاني أتباع في باكستان وللمقبلي أتباع في أفغانستان، والمذهب الزيدي في فروعه لا يخرج عن المذاهب الأربعة فقد يتفق مع الشافعي أو مع مالك أو أحمد بن حنبل وكثيرًا ما يتفق مع أبي حنيفة أو على الأصح يوافقهم أبو حنيفة الذي تتلمذ على الإمام زيد كما أكد ذلك المترجمون له. أما في الأصول فإنهم يتفقون مع المعتزلة في معظم ما ذهبوا إليه.

وبعد سماعهم لهذا التعريف خرجوا من الموضوع قائلين: أما عندنا في سوريا فيوجد العلويون والنصيرية. وقالوا عنهم كلامًا كثيرًا يدل على سوء الظن الذي جاء نتيجة للجهل أو سوء الفهم وللتلقي بمعلومات خاطئة من أساتذتهم فقلت لهم إنهم فيما نعرف من الشيعة الإمامية الجعفرية ومذهبهم من المذاهب الإسلامية التي يلتزم بها عشرات الملايين من المسلمين.

فقالوا ومن أين عرفت ذلك فقلت لهم من أحد علمائهم الذي تعرّفت عليه ومن الكتب التي أهداها إليّ فقالوا إنهم يقولون بالتقية وأجبت

إني لا أعلم عنهم ذلك ولنفرض جدلاً أنهم يقولون بما كان سائراً
فإن الإسلام يفرض علينا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وإثبات ذلك بعقب سند يدل لا داعي لتسجيله هنا
وكان حظ مشايخهم ومدرسيهم الذين يلقنونهم هذه الأفكار المغلوطة والخاطئة ويزرعون في قلوبهم الغضبة والكراهية العداء والبغضاء لإخوانهم في الدين والوطن من عتبي أعظم
وقلت لأحد المشايخ الذي كان يترسمنا من بعيد متتبعاً للحوار: إن العلويين يعيشون بين أظهركم فلماذا لا تأتونهم لتعرفوا ما عندهم وستذكرون أن ظنكم إثم، وخرجت من المسجد وأنا حزين لأن هذه العصبية التي لا تختلف عن عصبية الجاهلية وصبغتها بالصبغة الدينية تزيد في إثم حامليها لا تزال موجودة تلقن في المدارس ويعتنقها شباب مسلم المنتظر منه أن يكون منفتحاً على مذاهب جميع من يؤمنون بالله رباً وبمحمد نبياً لأن حصر شريعة الإسلام وعقائده بأقوال الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ابتداع لم يأت به كتاب ولا سنة. وقد تأكدت أن المسلمين لا يزالون في حاجة إلى علماء مجتهدين مجددين مصلحين يجمعون شملهم ويوحدون أو أصرهم تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله.
واستجابة لرغبتكم في أن أبدي ما لدي من رأي ولو كان سلبياً أقول: إني لاحظت من أسئلة الدكتور شاكر وهو مصطفى (ولي) والتي وإن كانت قد جاءت بأسلوب ودود إلا أنه تفوح من ثنايا سطورها رائحة الاتهام للطائفة ثم ما سمعته من الطلاب لاحظت أن الطائفة منطوية على نفسها تسبل على مذهبها وعقائدها ستاراً من الغموض فلا تفتح أبواب مدارسها لمن يريد التعرف عليها ولا تنشر عقائدها ولا تطبع وتوزع كتبها ولا تناقش وتجادل

٦

بالتي هي أحسن كما فعلتم انتم في ردكم على الاسئلة وفيها عدد تم في القسم الرابع من الرسائل والمقالات وقد تكونون اول من نزل الميدان والا لما جهل عالم وباحث مثل شاكر مصطفى ما سأل عنه.

ومن هنا نقول ان الطائفة او على الأقل علماءها ومثقفيها يتحملون جانبا من المسؤولية عن الاتهامات التي وجهها البعض اليها لان سببها الجهل ومن جهل شيئاً عابه.

وبعد فيا أيها الشيخ الجليل فانتم فيما اعتقد على علم بان هذه المحنة الفقهية الحديثة قد جاءت من جراء اغلاق باب الاجتهاد وتعطيل العقل والانصراف عن الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله الى التشريع عن أقوال أئمتهم الذين يجلّونهم ويقدرهم والدوران حول تأويلاتهم يفتون به ويدينون باجتهاداتهم وقد تناسى مغلقوا باب الاجتهاد قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: (ان من اجتهد فاخطأ فله أجر ومن اجتهد فأصاب فله أجران) وقول الرسول الكريم حينما بعث مُعاذ رضي الله عنه الى اليمن وقد سأله بم تحكم بينهم فقال بكتاب الله قال فان لم تجد فقال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال: أجتهد رأيي فقال عليه الصلاة والسلام (الحمد لله الذي وفق رسول رسوله) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ومع ذلك فلم يقتصروا على الغاء النظر في كتاب الله وسنة رسوله اكتفاءً بما قننه الأئمة الاربعة رحمهم الله بل شنعوا على من خرج عن أقوالهم مستعملاً عقله الذي هو حجة الله عليه في فهمه الكتاب والسنة والنهل من معينهما وجرّموه وربما تجارى بعضهم فشرع ان يجلد خمسين جلدة فقد حكى العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبلي اليماني في كتابه الابحاث المسددة ان بعض علماء مكة المكرمة افتى ان يجلد من يعمل في بعض المسائل بقول ابي حنيفة بينما هو يلتزم مذهب الشافعي خمسين جلدة وكان المقبلي [illegible] قد ترك صنعاء وجاور في مكة وقد لقي من علمائها ولا سيما العلامة البرزنجي الكثير من الكيد والضرر والأذى لا لشيء الا انه لا يلتزم بأحد المذاهب.

ومع انهم يروون قول الامام الشافعي رضي الله عنه اذا صح الحديث

وهو مذهبي الآن أنهم لا يعملون به بل يحترمون من خالفه عاملا بالحديث الصحيح .
هذا هو حال الكثرة الكاثرة من علماء المسلمين الآن رحمهم ربي ونحن لا نملك إلا أن ندعو الله العلي القدير بأن يلهم المسلمين رشدهم ويهديهم الصراط المستقيم ويوحد كلمتهم ويفتح أبصارهم وبصائرهم على أعدائهم حيث يكمن الخطر عليهم وعلى دينهم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وحرر في ٩/ شهر رجب ١٤٠٢ ٩/٥/١٩٨٢

أخوكم
عبد الرحمن بن علي الرباني الحاوري أسير عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ الكريم الشيخ العلامة عبد الرحمن الخير حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما حررته تعليقاً على ردودكم القيمة على أسئلة الدكتور شاكر مصطفى هو
ما اعتقده وأدين به وكنت وافقت على طبعه على أساس أنه بحث علمي
لا علاقة له بالسياسة أو بما يدور في البلد ولكني عرضته على بعض الإخوان
الذين أعرف سلفاً أنه يوافق على كل ما جاء فيه وقد قال أنه يوافق
على كل حرف فيه ولكنه لا ينصح بنشره في هذه الظروف كما لا ينصح بنشر
الأسئلة وأجوبتها وقال إن الموضوع حساس وزاده حساسية
دخول عنصر السياسة فيه وقد يؤدي إلى إثارة بعض الشباب
الطائش وأنتم ضيف البلد ولا أحب لكم أن تدخلوا في المعمعة
كما لا أحب لفضيلة الأستاذ الخير إثارة هذا الموضوع في مثل هذه
الظروف ولذلك أرجوكم الاحتفاظ به إلى وقت ترونه أكثر
مناسبة للنشر فلا أريد أن أكون موقظ فتنة نائمة كما لا أحب لكم
ذلك وفي مثل هذه الظروف التي ليس الجميع فيها في حاجة
إلى المزيد من المشاكل ومعذرة فلم أرجع عن الموافقة حيناً
ولكن رعاية للمصلحة التي وجب مراعاتها قدر مشترك
حفظكم الله وأعانكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رجب ١٤٠٢هـ
٢/٥/١٩٨٢م

أخوكم
عبد الرحمن الإرياني

القاضي الإرياني يطلب من الشيخ الخيِّر إرجاء طبع جوابه
وتقييمه لردود الشيخ الخيِّر على الدكتور شاكر مصطفى.

(٦)
ملحق الصور واللوحات





مع الملك الحسن الثاني (ملك المغرب) في مطار الرباط



مع الملك الحسين بن طلال



مع الرئيس أنور السادات



مع السادات





مع الزعيم جمال عبد الناصر



مع الزعيم جمال عبد الناصر



مع الزعيم عبد الكريم قاسم



مع الملك فيصل بن عبد العزيز



مع العقيد معمر القذافي



مع القذافي



عدن عام ١٩٣٩م: السيد علي بن أحمد بن المام ـ الشيخ عبده حمود الزنداني ـ
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الارياني ـ الحاج عبد الله عمر



عام ١٩٥٥: القاضي عبد الله الشماحي ـ السيد محمد أحمد الشامي
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الارياني ـ السيد حمود الوشلي



القاضي محمد بن علي الأكوع ـ القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي محمد بن يحيى الأرياني



عام ١٩٥٥م: القاضي عبد الله الشماحي ـ السيد محمد أحمد الشامي ـ القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني السيد حمود الوشلي ـ السيد زيد عقبات

القاهرة ١٩٥٨م: أعضاء الجانب اليمني في الاتحاد الفيدرالي ـ الشريف الضمين ـ السيد محمد الشامي ـ القاضي عبد الرحمن الأرياني ـ مرافق مصري ـ السيد محمد باشا ـ القاضي عبد الرحمن السياغي ـ السيد علي بن إبراهيم



طرابلس ١٩٧٣م: مع العقيد معمر القذافي. الشيخ سنان أبو لحوم
القاضي عبد السلام صبره. القاضي عبد الرحمن الأرياني.
الفريق حسن العمري. الفريق قاسم منصر



الصين ١٩٦٤: القاضي عبد الرحمن الأرياني.
العميد محمد الرعيني

القاضي عبد الرحمن الإرياني. الفريق حسن العمري

مع الرئيس السوري حافظ الأسد



مع أمير الكويت صباح السالم الصباح



العقيد محمد عبد الله الأرياني . الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر . القاضي عبد الله الحجري . القاضي عبد الرحمن يحيى الأرياني . العقيد إبراهيم محمد الحمدي . العقيد حسين المسوري



مؤتمر حرض ١٩٦٥م: القاضي عبد الرحمن الأرياني . رئيس الجانب الجمهوري مع أحمد محمد الشامي ومحمد عبد القدوس الوزير، وصلاح المصري من الجانب الملكي

بيروت ١٩٧١ صائب سلام رئيس وزراء لبنان . سليمان فرنجية . رئيس جمهورية لبنان . القاضي عبد الرحمن الأرياني . كامل الأسد . رئيس مجلس نواب لبنان



القاضي عبد السلام صبره
القاضي عبد الرحمن الأرياني



القدس ١٩٦٢م:
المؤتمر الإسلامي - جوار قبة مسجد الصخرة.
القاضي عبد الرحمن الأرياني



بغداد ١٩٦٢م:
القاضي عبد الرحمن الأرياني مع الشهيد - القاضي محمد محمود الزبيري - واللواء عبد الله جزيلان



بغداد ١٩٧١م:
القاضي عبد الرحمن الأرياني
مع الرئيس العراقي أحمد حسن البكر



الرئيس جمال عبد الناصر - المشير عبد الحكيم عامر - القاضي عبد الرحمن الأرياني - الرئيس أنور السادات



السعودية ١٩٧١م:
القاضي عبد الحمن الأرياني
مع الأمير فهد بن عبد العزيز

موكب تشييع القاضي الإرياني في اليمن




الصين ١٩٦٤م: مع الرئيس الصيني ماوتسي تونج والرئيس عبد الله السلال وأعضاء الوفد اليمني



تعز ١٩٧٣م:
القاضي عبد الرحمن الأرياني مع الرئيس سالم ربيع علي أثناء زيارته لتعز

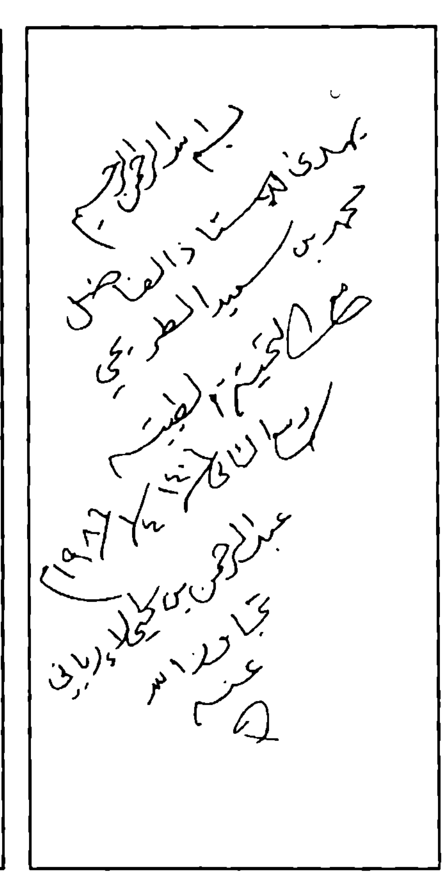
الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر. القاضي عبد الرحمن الأرياني.
الفريق حسن العمري. الشيخ محمد علي عثمان





موسكو ١٩٧١م:
القاضي عبد الرحمن الأرياني مع الرئيس بودغورني

الرئيس علي عبد الله صالح والقاضي عبد الرحمن الأرياني
أثناء الانتخابات النيابية



بسم الله الرحمن الرحيم

يهدى للأستاذ الفاضل

محمد بن سعيد الطريحي

مع التحية [illegible]

[illegible]

٢/٤/١٤٠٦ ... ١٩٨٦

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

تجاوز الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

يهدى للأخ الكريم

الأستاذ محمد سعيد

الطريحي مع التحية

والتقدير

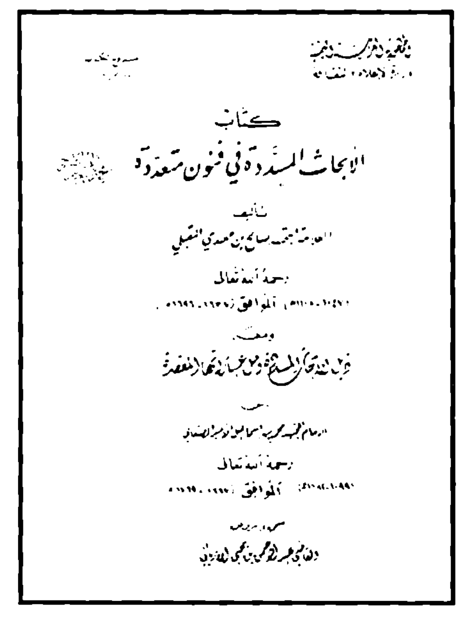
٢٠ ذي القعدة

١٤٠٦

١٩٨٦/٧/٢٦

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

تجاوز الله عنه



كتاب

الأبحاث المسددة في فنون متعددة

تأليف

العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبلي

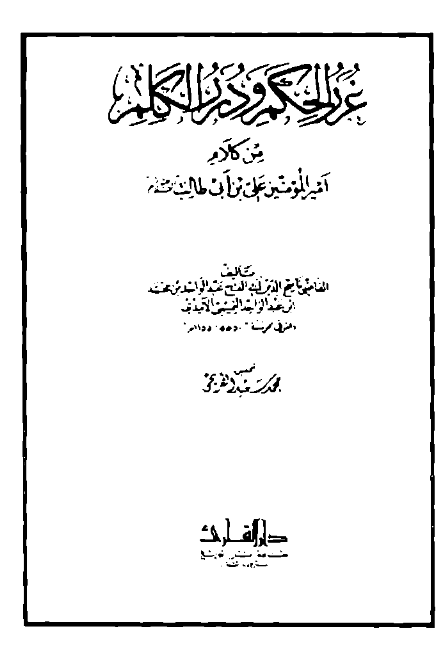
رحمه الله تعالى

ومعه

[illegible]

رحمه الله تعالى

القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني



غرر الحكم ودرر الكلم

من كلام

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

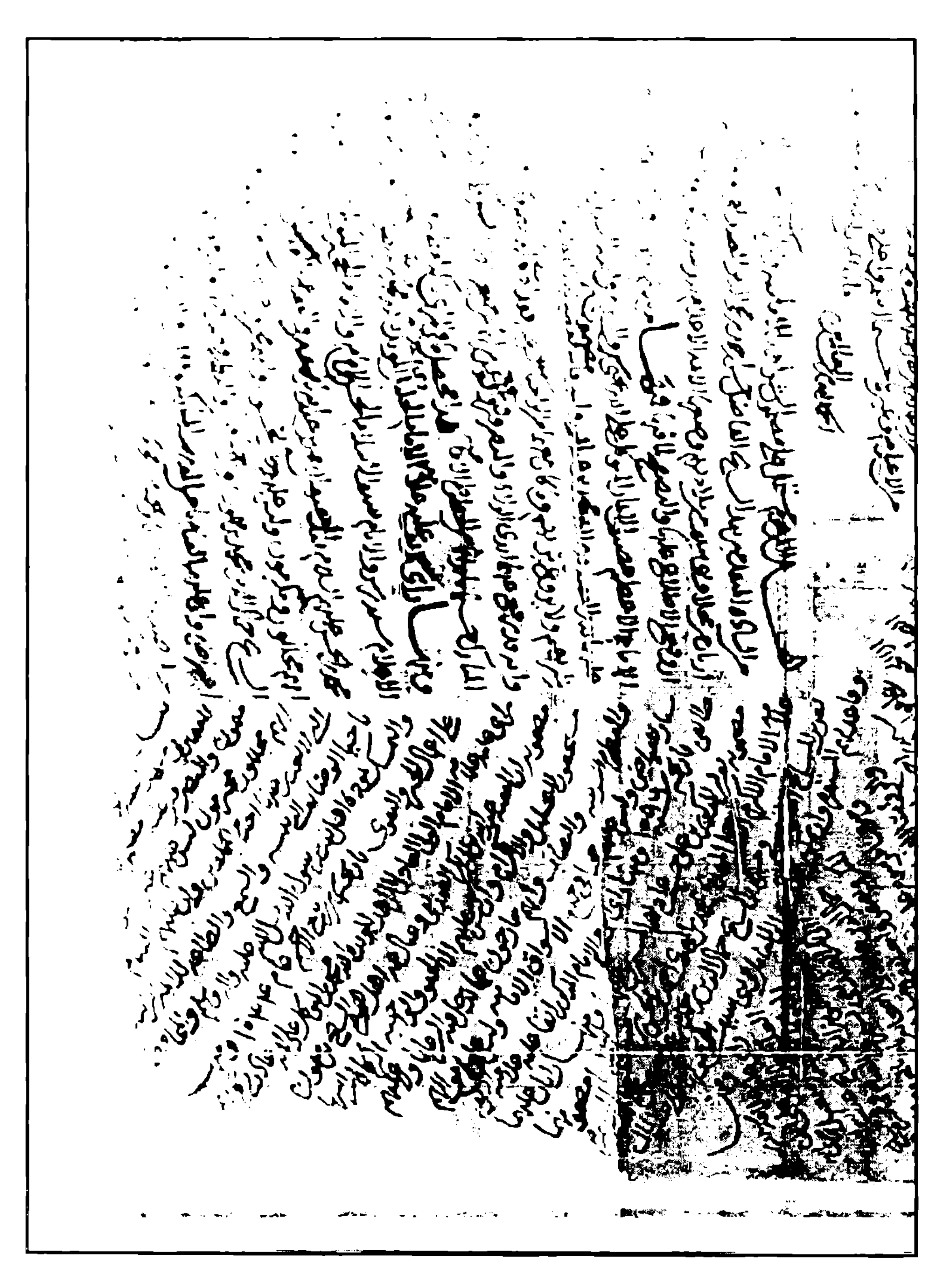
تأليف

القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد

بن عبد الواحد التميمي الآمدي

محمد سعيد الطريحي

دار القارئ



المرسوم الإمامي حول آل الإرياني

بسم الله الرحمن الرحيم
يهدى للأخ العالم الناقد الأستاذ محمد سعيد الطريحي مع التحية والتقدير
المؤلف
في ٢٨ شوال ١٤٠٩هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أربع وثائق تراثيّة توحيديّة يمنيّة ، جاءت في أربعة كُتَيِّبات ، صغيرة في حجمها ، كبيرة في فائدتها ، رفيعة في موضوعها ؛ فهي في مجموعها بَلْ وَفي كل واحد منها تدعو إلى إخلاص التوحيد لمن لا شريك له تعالى ، وتحرّم رفع القبور والاستغاثة بساكنيها لدفع الضّرر أو جلب النفع ، أو ندائهم واللجوء إليهم ، وتنقد نقداً شديداً القائلين بوحدة الوجود ونفاة الحكمة من مدعي التصوّف .
وهذه الكتيبات هي :

الأول : تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد .
للعلامة المجدّد السيد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله .

الثاني : شرح الصدور بتحريم رفع القبور .
للعلامة شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله .

الثالث : الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد .
للعلامة شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله .

الرابع : السيف الباتر لأعناق عبّاد المقابر .
للقاضي عقيل بن يحيى الإرياني رحمه الله .

ولاتحادها في الموضوع أصدرناها في مجلد واحد ليكمل بعضها بعضاً .

تقديم

بقلم

فخامة العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيى الارياني

الرئيس السابق للجمهورية العربية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

غَرَضَ عليَّ الاستاذ الفاضل الباحث محمد سعيد الطريحي حفظه الله واعانه كتاب « غرر الحكم ودرر الكلم » لجامعه العلامة القاضي ناصح الدين عبد الواحد التميمي الأمدي رحمه الله ، الكتاب الذي يحتوي على ما ينوف على احد عشر الفاً من حكم أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وسلامه عليه وكلّها حِكَمٌ حكيمة وقيم اخلاقية قويمة تُزينُ من يتصف بها فيتخلق بما ترغب فيه وتدعو إليه ، ويبتعد عما تنهى عنه وتحذر منه ، وقد التمس مني الأستاذ الباحث مدفوعاً بحسن الظن أن أحرر كلمة يصدر بها الكتاب الذي اعدّه للطباعة ، وقد طالعت ما حرره كتعريف بالكتاب وترجمة لمؤلفه فوجدته قد أوفى الموضوعين حقّهما ولم يَدَع مزيداً لمستزيد .

ولم يبق لي إلاّ أن أسجل الشكر الجزيل للأستاذ الباحث على اهتمامه بإخراج هذا الكتاب الجليل وأمثاله من كتب التراث الاسلامي فجزاه الله خير الجزاء وأجزل ثوابه .

أما صاحب الحكم الحكيمة سيدنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فماذا يمكنني أن أقول فيمن حبه تقى وبغضه نفاق وفي مناقبه يقول العلامة المجتهد السيد محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير الحسني اليمني رحمه الله في التحفة العلوية :

مَنْ سواه كان صنو المصطفى ؟   أو سواه بعده كان وصيّا

وأخــي قــال لــه خــير الــورى وهــو أمرٌ ظــاهــر ليس خفيــاً
وكــهــارون غــدا في شــأنــه مــنــه إلاّ أنــه لــيس نــبــيّــا

والتحفة العلوية تزيد على سبعين بيتاً ومما جاء فيها في وصف حِكَمِهِ عليه السلام قوله :

والــبــلاغــات الــيــه تــنــتــهــي نَهجُهُ فيهــا يُــرى النهج الســويّــا
إن رقى المِنبــرَ يــومــاً خــاطبــاً عــاد سحبــان لــديــه بــاقــليّــا
حِكَمُ الــيــونــان والفــرس مــعــاً مــا تُــداني مــنــه لفــظاً عــلويّــا
لازم المــحــرابَ والحــربَ إلى أن اتى أشقى الــورى الأمرَ الفَــرِيا

وقد شرح ناظمها العلامة الأمير رحمه الله هذه التحفة العلوية بكتاب « الروضة الندية » وأورد في الشرح الأدلة على ما تضمنته التحفة من مناقبه عليه السلام ورحم الله الأمير وأكرم نزله وسبحان الله بحمده سبحان الله العظيم .

حرر في
١٧ جمادى الثانية سنة ١٤٠٦ هـ
٢٦ شباط سنة ١٩٨٦ م

وكتبه
عبد الرحمن بن يحيى الأرياني
تجاوز الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل الدكتور محمد سعيد الطريحي حياكم الله
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تجدون مع هذا نسخة من الكتاب الصادر بعد وفاة
سيدي الوالد العلامة القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
رحمه الله، وكذلك بعض التعازي والمقالات والقصائد
الصادرة بعد وفاته. وكما أخبرتكم تلفونياً فالكتاب
كذلك قد حوى العديد من الأخطاء المطبعية إلى جانب
أن بعض أفضل ما كتب عن الوالد رحمه الله قد كان
بعد صدور الكتاب. وفي كل الأحوال ستطلعون
على الكتاب ثم إذا أمكن إبلاغي برأيكم على ضوء
ذلك شاكراً لكم اهتمامكم سائلاً المولى عز وجل لكم
التوفيق والسداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم
عبدالملك الإرياني
١٦/٧/٢٠٠٠

من نجل الإرياني السفير عبد الملك الإرياني إلى الطريحي



الرئيس الإرياني



الرئيس الإرياني مع المؤلف الطريحي



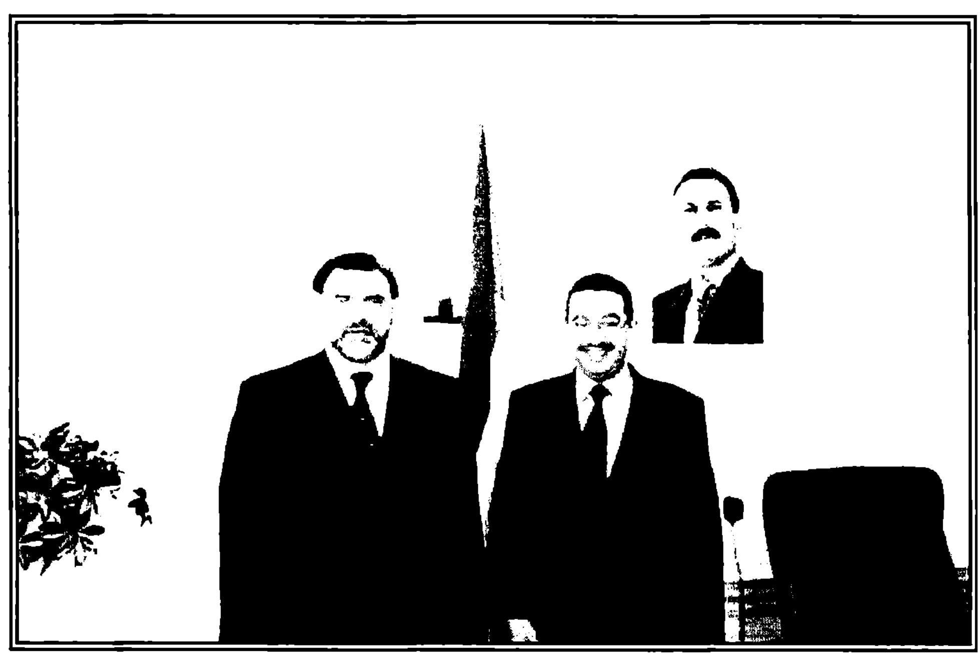
الرئيس الإرياني مع المؤلف



هجرحة إريان



الرئيس الإرياني مع المؤلف الطريحي



السفير عبد الملك نجل القاضي الإرياني مع المؤلف



الشيخ عبد الرحمن الإرياني، أحد أكبر الشخصيات العربية الإسلامية في القرن العشرين، وهو من الرواد الأوائل الذين خاضوا عدة أدوار طليعية واختزلها في شخصيته المتميزة، فهو العلامة الفقيه، والمفكر، والشاعر، والحكيم، والثائر المناضل، والإنسان الحر، ورجل التقريب والتسامح والمصالحة، ورئيس المجلس الجمهوري، والزعيم المتنور الذي قاد اليمن في ظروف تاريخية بالغة الدقة والتعقيد، واستطاع أن يحافظ على وحدة اليمن واستقلاله، مؤيدا بمعجزة ربانية بعد نجاته من الموت في ميدان الإعدام الذي أعد له ولرفاقه الأحرار الذين سبقوه فاستشهدوا على مذبح الحرية، ثم هيأ الله سبحانه له العمر المديد لمواصلة النضال وحماية الوطن وتحريره مع ثلة رائدة من مجايليه ورفاقه الأبطال.

اتصلت به وعرفته عن قرب، وأعجبت بحكمته وحنكته وأخلاقه وتواضعه، كما استفدت من خبرته وتجاربه ونصائحه، وغزارة علمه ومعرفته وثقافته، وبدافع من الود والاحترام لأستاذيته وأبوته الروحية كتبت وجمعت هذه الأوراق التي ضمَّت لمحات من سيرة حياته وسير الأعلام من أسرته العريقة (آل الإرياني) وقدمتها كعربون وفاء وذكر للأيام الرائعة التي قضيتها بجواره، ولأنني أجد أن من الواجب الديني والوطني والقومي الاهتمام بدراسة آثارهم وتتبع مآثرهم ومخطوطاتهم والبحث عن جهودهم الكبيرة في خدمة الأمة الإسلامية، وبذلك نحافظ على تراثنا ونصونه من التلف والفوات، ولنا وطيد الأمل بالجيل اليمني الجديد الذي يطمح إلى رفعة الأوطان وعزها بحفاظه على تراثه والاستفادة من سير نوابغه وأعلامه.



للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - ص. ب 25/309 - الغبيري
تلفاكس: 541980 1 961+ خليوي: 03/445510
E-Mail: daralrafidain@yahoo.com

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح